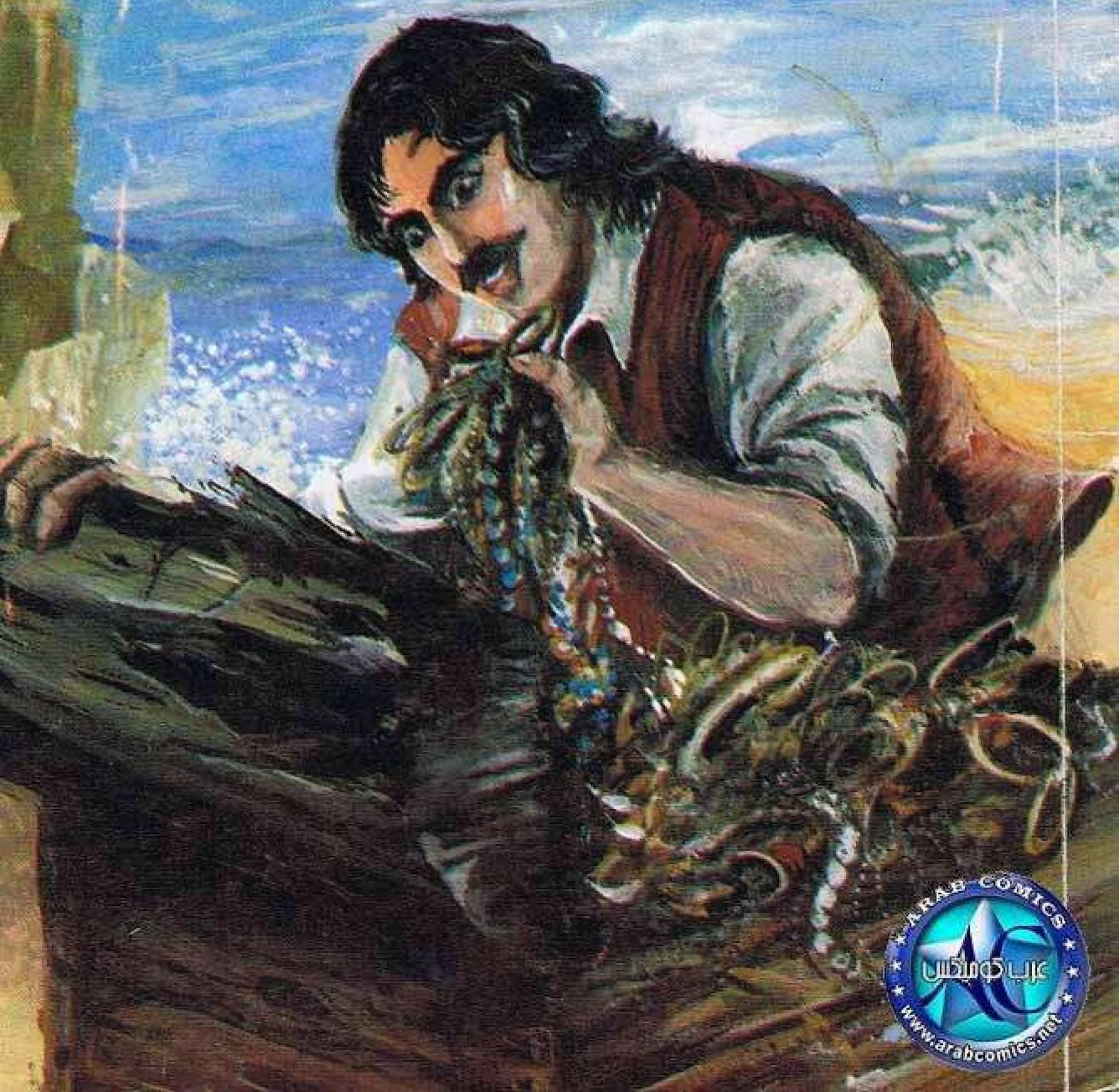
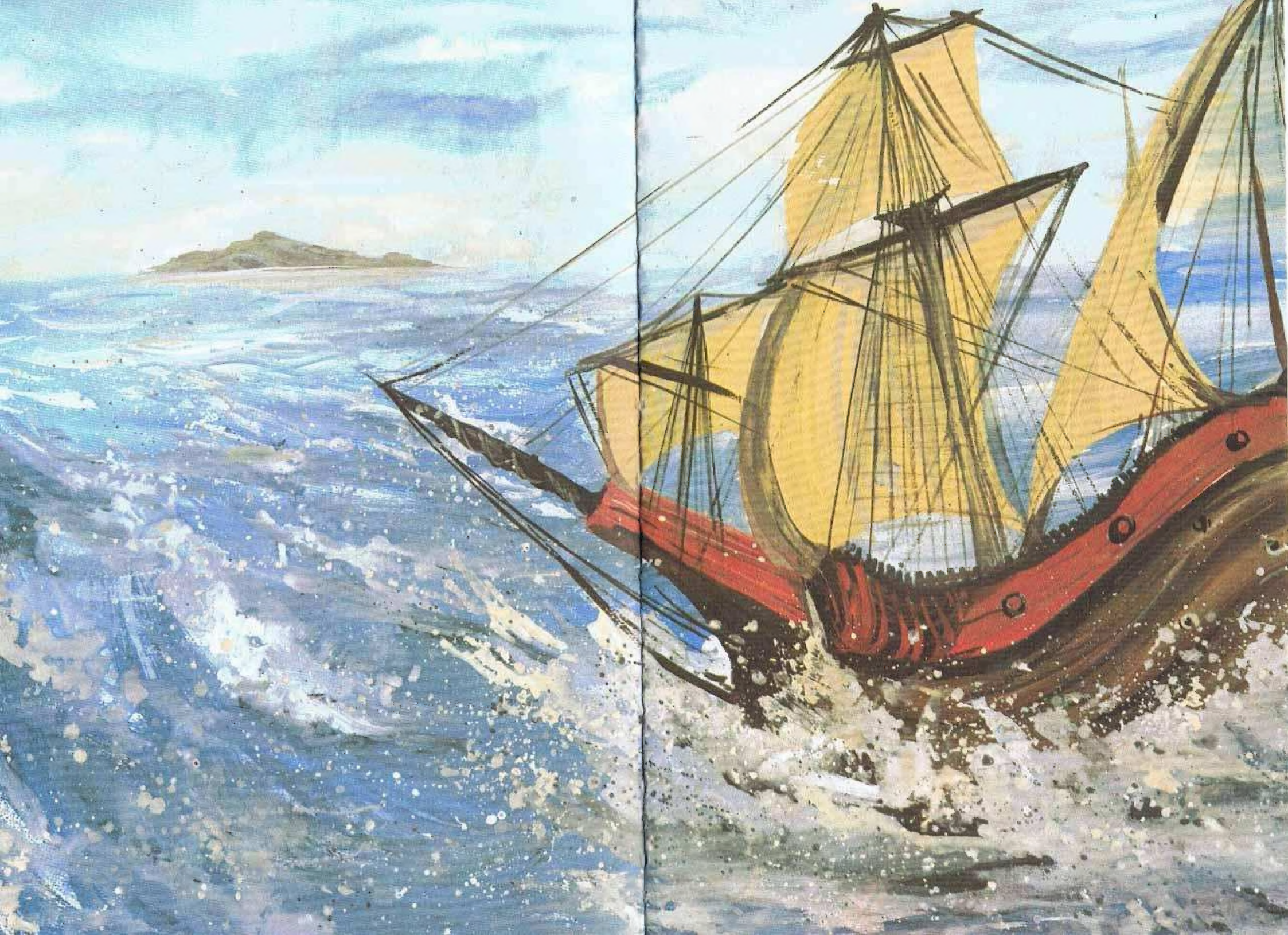


كونت مونت كريستو



الروايات المشهورة

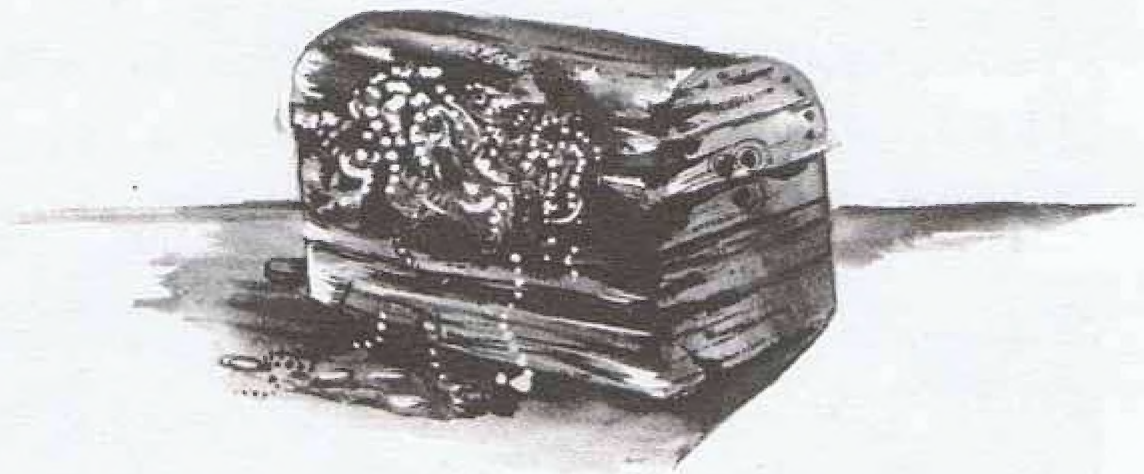




كونت مونت كريستو

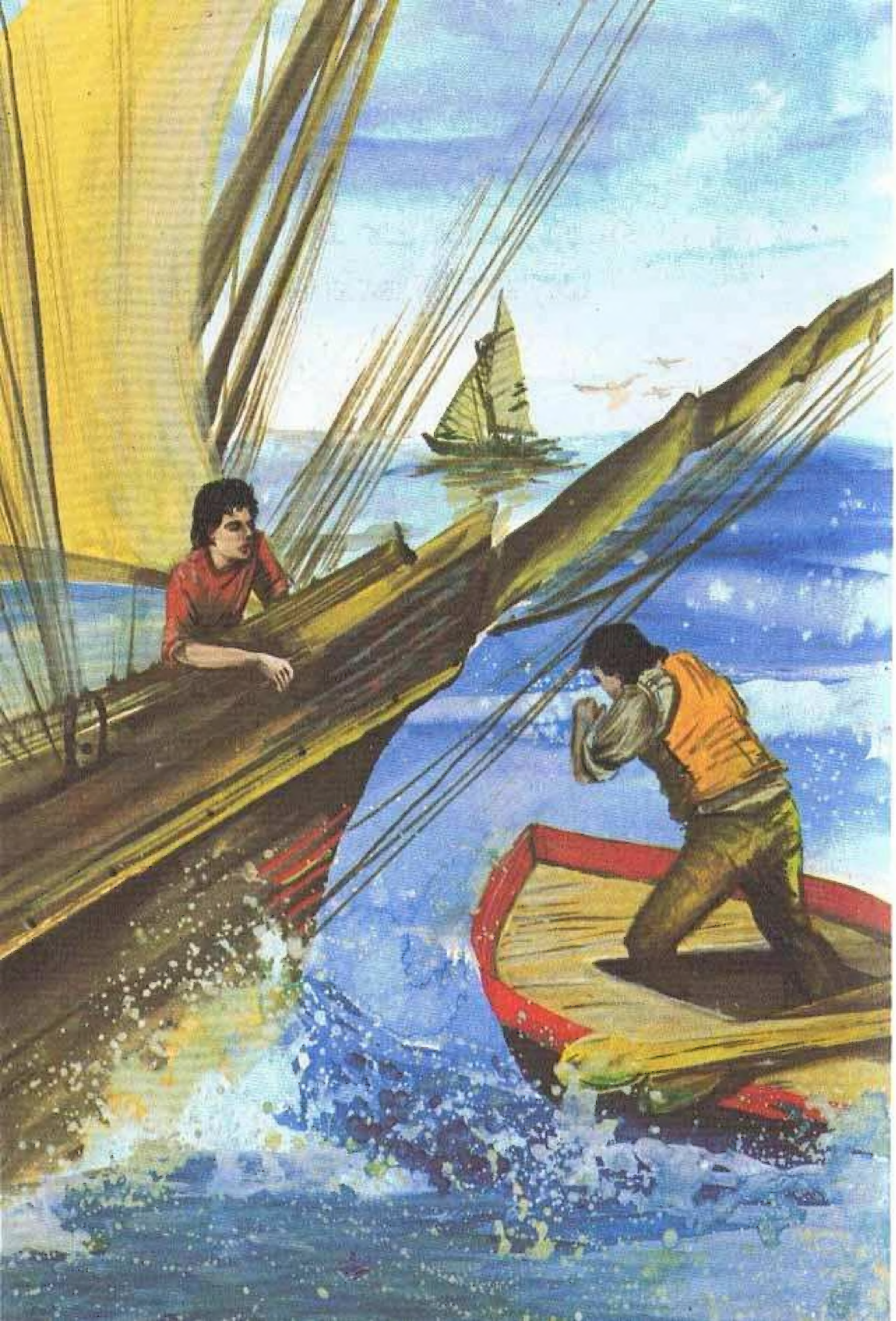


الروايات المشهورة



تأليف : ألكسندر ديماس
إعداد : سمعان اسكندر
رسوم : فتنة حسام الدين

مكتبة لبنان
بيروت



الفصل الأول عُودَةُ السَّفِينَةِ إِلَى الْوَطَنِ

إِذْ مُنُونِ دَانِي

فِي الرَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ مَآيُو سَنَةِ ١٨١٥ ، وَقَبِيلَ فِرَارِ نَابُلْيُونِ مِنْ
جَزِيرَةِ إلبا ، شُوهِدَتِ السَّفِينَةُ « فِرْعَوْن » عَلَى مَقَرَبَةٍ مِنْ مَارْسِيلِيَا ،
وَكَانَ عَلَى الشَّاطِئِ رَجُلٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَصْبِرَ حَتَّى تَصِلَ السَّفِينَةُ إِلَى
الشَّاطِئِ ؛ فَفَقَرَ فِي قَارِبٍ حَمَلَهُ إِلَى هُنَاكَ .

وَبَيْنَمَا كَانَ الْقَارِبُ يَقْتَرِبُ مِنَ السَّفِينَةِ ظَهَرَ عَلَى جَانِبِهَا شَابٌّ كَانَ
يَبْدُو عَلَيْهِ أَنَّهُ هُوَ الرَّبَّانُ . كَانَ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمُرِهِ أَسْوَدَ الشَّعْرِ
وَالْعَيْنَيْنِ ، وَكَانَتْ تَصَرُّفَاتُهُ إِلهَادِيَّةً هِيَ تَصَرُّفَاتِ رَجُلٍ اعْتَادَ مُوَاجَهَةَ
الْأَخْطَارِ .

صَاحَ الرَّجُلُ الَّذِي بِالْقَارِبِ : « أَهَذَا أَنْتَ يَا دَانِي ؟ مَاذَا
حَدَّثَ ؟ »

فَأَجَابَ الشَّابُّ : « لَقَدْ حَدَّثَ شَيْءٌ جَدُّ مُخْزِنٍ يَا سَيِّدُ مُورِيل ،

فَقَدْ فَقَدْنَا رَبَّانَا الشُّجَاعَ لُكْلُوكَ عِنْدَمَا كَانَتْ السَّفِينَةُ بِالْقُرْبِ مِنْ
سِيفِتَانِشِيَا . « وَالتَفَتَ إِلَى رِجَالِهِ وَأَصْدَرَ إِلَيْهِمْ أَمْرًا سَرِيعًا ، ثُمَّ عَادَ
فَالْتَفَتَ إِلَى مُورِيل . لَقَدْ كَانَتْ السَّفِينَةُ فِرْعَوْنَ مَلِكًا لِمُورِيل ، أَمَّا
إِذْمُون دَانْتِي فَقَدْ كَانَ الضَّابِطَ الْأَوَّلَ بَعْدَ رَبَّانِيهَا .

قَالَ مُورِيل : « وَلَكِنْ يَا إِذْمُون ، إِنَّا جَمِيعًا صَائِرُونَ إِلَى الْمَوْتِ
يَوْمًا ، وَلَا بُدَّ أَنْ يُفْسِحَ الشُّيُوخُ الطَّرِيقَ لِلشَّبَابِ . وَالْآنَ ، مَاذَا عَنِ
الْبَضَائِعِ الَّتِي عَلَى السَّفِينَةِ ؟ »

أَجَابَهُ إِذْمُون : « إِنَّهَا جَمِيعًا فِي أَمَانٍ تَامٍ يَا سَيِّدُ مُورِيل ، وَإِنَّهَا
لِتَسَاوِي كَثِيرًا مِنْ أَلْمَالِ . وَالْآنَ تَفْضُلُ بِالصُّعُودِ إِلَى السَّفِينَةِ ، فَهُنَا
دَانْغَلَرُز ، وَهُوَ الَّذِي يَضْطَلِعُ بِعَمَلِيَّاتِ الْبَيْعِ وَالشِّرَاءِ . أَمَّا أَنَا فَعَلَيَّ أَنْ
أُنْصَرِفَ لِتَفْقِدِ شُؤُونَ السَّفِينَةِ . »

فَصَعِدَ مُورِيل إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ بِسُرْعَةٍ حَيْثُ لَقِيَهُ دَانْغَلَرُز .

رِسَالَةٌ

كَانَ دَانْغَلَرُز شَابًا فِي نَحْوِ الْخَامِسَةِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِهِ ، وَكَانَ
وَجْهُهُ وَتَصَرُّفَاتُهُ يَتَعَنَّانِ عَلَى التُّفُورِ . وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ بَحَارَةِ السَّفِينَةِ
فِرْعَوْنَ مَنْ يُحِبُّهُ .

قَالَ دَانْغَلَرُز : « أَهْلًا يَا سَيِّدُ مُورِيل ! طَبْعًا سَمِعْتَ بِوَفَاةِ الرَّبَّانِ

لُكْلُوكَ الْفَاجِعَةِ ؟ »

أَجَابَ مُورِيل : « نَعَمْ ، لَقَدْ كَانَ رَجُلًا شَجَاعًا وَطَيِّبًا . »

فَقَالَ دَانْغَلَرُز : « وَبَحَارًا مُمْتَازًا كَبِيرَ السِّنِّ حَكِيمًا ، كَمَا يَنْبَغِي
لِرَجُلٍ يَعْمَلُ فِي شَرِكَةِ مُورِيل وَوَلَدِهِ . »

قَالَ مُورِيل : « وَلَكِنْ لَا حَاجَةَ بِالْإِنْسَانِ إِلَى أَنْ يَكُونَ كَبِيرَ السِّنِّ
كَتِي يَسْتَطِيعُ الْقِيَامَ بِعَمَلِهِ . إِنْ صَدِيقُنَا إِذْمُون — مَثَلًا — يَبْدُو أَنَّهُ يَعْرِفُ
عَمَلَهُ جَيِّدًا . »

قَالَ دَانْغَلَرُز وَهُوَ يَحْدِجُ إِذْمُون دَانْتِي بِنَظَرَةٍ ثَمَّتْ عَنْ عَدَمِ حُبِّهِ
لَهُ : « نَعَمْ .. نَعَمْ ! إِنَّهُ شَابٌّ ، وَفَوْقَ ذَلِكَ فَهُوَ وَاثِقٌ مِنْ نَفْسِهِ ، فَمَا
إِنْ تَوَفَّى الرَّبَّانُ حَتَّى يَادَرَ بِقِيَادَةِ السَّفِينَةِ دُونَ أَنْ يَسْتَشِيرَ أَحَدًا . وَعَلَى
هَذَا فَقَدْ تَسَبَّبَ فِي تَعْطِيلِنَا يَوْمًا وَنِصْفَ الْيَوْمِ فِي جَزِيرَةٍ إِلَّا بَدَلًا مِنْ
الْمَجِيءِ مُبَاشَرَةً إِلَى مَارْسِيلِيَا . »

قَالَ مُورِيل : « إِنْ تَوَلَّى قِيَادَةَ السَّفِينَةِ هُوَ وَاجِبُهُ لِأَنَّهُ كَانَ الضَّابِطَ
الْأَوَّلَ ، وَقَدْ كَانَ خَطَأً مِنْهُ أَنْ يُبَدَّدَ الْوَقْتُ فِي جَزِيرَةٍ إِلَّا لَوْ أَنَّ السَّفِينَةَ
كَانَتْ سَلِيمَةً لَا تَحْتَاجُ إِلَى أَيَّةِ إِصْلَاحَاتٍ . »

قَالَ دَانْغَلَرُز : « لَقَدْ كَانَتْ السَّفِينَةُ فِي أَحْسَنِ حَالٍ ، أَمَّا تَبْدِيدُ
الْوَقْتِ فَقَدْ كَانَ لِمُجَرَّدِ الْاسْتِمْتَاعِ بِالْكَزُولِ إِلَى الشَّاطِئِ . »

فَنَادَى صَاحِبُ السَّفِينَةِ صَائِحًا : « تَعَالَ إِلَى هُنَا يَا دَانِي ! »

فَأَجَابَ دَانِي : « لَحْظَةً يَا سَيِّدُ مُورِيل . »

ثُمَّ أَصْدَرَ أَمْرًا إِلَى رَجَالِهِ ، وَتَحَرَّكَتِ السَّفِينَةُ عَلَى إِثَرِهِ إِلَى الْمَكَانِ الْمُخَصَّصِ لَهَا ، ثُمَّ شَدَّتْ بِرِبَاطٍ وَثِيقٍ . وَبَعْدَ أَنْ أَصْبَحَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى مَا يُرَامُ ، جَاءَ دَانِي إِلَى مُورِيل قَائِلًا : « لَقَدْ فَرَعْتُ مِنْ عَمَلِي ، وَهَآنَذَا فِي خِدْمَتِكَ . »

عِنْدَئِذٍ تَرَاجَعَ دَانِغْلَرُزُ بِضَعِ خُطَوَاتٍ ، وَقَالَ مُورِيل : « أَحِبُّ أَنْ أَعْرِفَ السَّبَبَ الَّذِي حَادَا بِكَ إِلَى التَّوَقُّفِ فِي جَزِيرَةِ الْبَا . »

« الْحَقِيقَةُ أَنِّي لَا أَعْرِفُ يَا سَيِّدُ مُورِيل . لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ آخِرَ أَمْرٍ أَصْدَرَهُ إِلَيَّ الرَّبَّانُ لُكْلِرُك . لَقَدْ أَعْطَانِي وَهُوَ فِي النَّزْعِ الْآخِيرِ رِسَالَةً لِلْمَارْشَالِ بَرْتِرَان . »

فَتَلَقَّتْ مُورِيلَ حَوْلُهُ ، ثُمَّ جَذَبَ دَانِي إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ بِصَوْتٍ خَافِتٍ : « وَكَيْفَ حَالُ نَابُلْيُون ؟ »

« إِنَّهُ عَلَى قَدَرٍ مَا رَأَيْتُ فِي أَحْسَنِ حَالٍ . »

« هَلْ تَحَدَّثْتَ إِلَيْهِ ؟ »

أَجَابَ دَانِي : « بَلْ هُوَ الَّذِي تَحَدَّثَ إِلَيَّ . لَقَدْ سَأَلَنِي عَنِ

السَّفِينَةِ ، وَمَتَى غَادَرَتْ مَارْسِيلِيَا . كَمَا اسْتَفْسَرَ عَمَّا تَحْمِلُ مِنْ بَضَائِعٍ . وَاطْنُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ تَكُنِ السَّفِينَةُ تَحْمِلُ شَيْئًا وَكَانَتْ مِلْكِي أَنَا لَكَانَ قَدْ آتَبَاعَهَا مِنِّي . بَيِّنْ أَنِّي أَخْبَرْتُهُ أَنِّي لَسْتُ إِلَّا الضَّايِطُ الْأَوَّلُ عَلَيْهَا ، أَمَّا صَاحِبَاهَا فَهُمَا مُورِيلٌ وَوَلَدُهُ . عِنْدَئِذٍ قَالَ لِي : « آه ! إِنَّنِي أَغْرِفُهُمَا . إِنَّ آلَ مُورِيلِ أَصْحَابُ سَفْنٍ مُنْذُ سِنِينَ طَوِيلَةٍ ، وَلَكِنَّ أَحَدَهُمْ كَانَ جُنْدِيًّا مَعِي فِي سَرِيَّتِي فِي فَالَنْسِ . »

فَصَاحَ مُورِيلُ مُبْتَهَجًا : « هَذَا صَحِيحٌ ! إِنَّهُ عَمِّي بُولِيكَارُ مُورِيلُ ، الَّذِي أَصْبَحَ بَعْدَ ذَلِكَ نَقِيبًا فِي الْجَيْشِ . لَا بُدَّ يَا دَانِي مِنْ أَنْ تُخْبِرَ عَمِّي بِأَنْ نَابُلْيُونُ لَا يَزَالُ يَذْكُرُهُ ، وَلَسَوْفَ تَرَى عَيْنِيهِ تَبْرُقَانِ مِنَ الْفَرَحَةِ . لَقَدْ أَحْسَنْتَ صُنْعًا يَا دَانِي أَنْ تَقَدَّتَ مَا أَمَرَكَ بِهِ الرَّبَّانُ لُكْلِرُك ، وَلَكِنْ لَنْ أُخْفِيَ عَنْكَ أَنَّهُ لَوْ عَرَفَ النَّاسُ أَنَّكَ حَمَلْتَ رِسَالَةً إِلَى الْمَارْشَالِ بَرْتِرَان ، وَأَنَّكَ تَحَدَّثْتَ مَعَ نَابُلْيُون ، فَقَدْ يَجُرُّ هَذَا عَلَيْكَ الْمَتَاعِبَ . »

فَسَأَلَهُ دَانِي : « وَلَكِنْ لِمَذَا ؟ إِنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَعْرِفُ حَتَّى مَضْمُونِ الرِّسَالَةِ ، كَمَا أَنَّ الْأَسْئَلَةَ الَّتِي سَأَلْنِيهَا نَابُلْيُونُ كَانَ سَيَسْأَلُهَا أَيُّ إِنْسَانٍ آخَرَ . »

زِيَارَتَانِ

سَأَلَهُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ : « حَسَنٌ يَا عَزِيزِي دَانِي : هَلْ فَرَعْتَ آلَانَ

مِنْ عَمَلِكَ ؟ »

« نَعَمْ يَا سَيِّدُ مُورِيل . »

« هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا أَنْ تَأْتِي لِتَتَنَاوَلَ الْعِشَاءَ مَعِي ؟ »

« أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدُ مُورِيل ، لَكِنْ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ أَزُورَ وَالِدِي أَوَّلًا . »

وَبِالْمُنَاسَبَةِ ، هَلْ لَدَيْكَ أَنْبَاءٌ عَنْهُ ؟ »

« أَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِصِحَّةٍ طَيِّبَةٍ ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَرَهُ مُؤَخَّرًا . »

« نَعَمْ ، إِنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَعْتَكِفَ فِي غُرْفَتِهِ الصَّغِيرَةِ . »

« وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِحَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ طَوَالَ غِيَابِكَ . »

أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

أَجَابَ دَانْتِي : « نَعَمْ ، فَإِنَّ كِبَرِيَاءَ أَبِي شَدِيدَةً ، وَحَتَّى لَوْ لَمْ يَكُنْ »

عِنْدَهُ مَا يَسُدُّ بِهِ رَمَقَهُ لَمَا سَأَلَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ . »

« فَلْيَكُنْ كَمَا تُحِبُّ ، عَلَى أَنْ أَرَاكَ بَعْدَ أَنْ تَقُومَ بِزِيَارَةِ أَبِيكَ . »

« مَرَّةً أُخْرَى أَشْكُرُكَ يَا سَيِّدُ مُورِيل . لَكِنْ ثَمَّةَ شَخْصًا لَا بُدَّ لِي »

مِنْ زِيَارَتِهِ بَعْدَ ذَلِكَ . »

« بِالطَّبَعِ يَا دَانْتِي ، لَقَدْ نَسِيتُ ذَلِكَ . إِنَّهَا مَرْسِيدِيسَ الْجَمِيلَةُ »

طَبْعًا . لَقَدْ سَأَلْتَنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فِي غِيَابِكَ عَمَّا إِذَا كَانَ لَدَيَّ أَخْبَارٌ
عَنِ السَّفِينَةِ فِرْعَوْنَ . إِنَّكَ مَحْظُوظٌ يَا إِذْمُونُ أَنْ كَانَتْ لَكَ حَبِيبَةٌ جَمِيلَةٌ
بِهَذَا الشَّكْلِ . »

فَأَجَابَ الْبَحَّارُ الشَّابُّ : « إِنَّهَا لَمْ تَعُدْ آلَانَ مُجَرَّدَ حَبِيبَةٍ ، فَقَدْ
قَبِلْتُ أَنْ تَتَزَوَّجَنِي . »

قَالَ صَاحِبُ السَّفِينَةِ : « حَسَنٌ ، حَسَنٌ يَا عَزِيزِي إِذْمُونُ . يَنْبَغِي
أَنْ أَتُرَكَكَ إِذَا . هَلْ أَنْتَ بِحَاجَةٍ إِلَى نَقُودٍ ؟ »

« كَلَّا ، شُكْرًا ، فَمَعِيَ مَرْتَبُ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ لَمْ أَنْفَقْهُ بَعْدُ . »

« كَمْ أَنْتَ مُدَبِّرٌ يَا إِذْمُونُ ! »

« إِنْ أَبِي فَقِيرٌ كَمَا تَعْرِفُ يَا سَيِّدُ مُورِيل . »

« نَعَمْ ... نَعَمْ . وَأَنْتَ وَلَدٌ بَارٌّ . وَآلَانَ أَسْرِعَ لَتَرَى أَبَاكَ . »

« شُكْرًا يَا سَيِّدُ مُورِيل . وَبِالْمُنَاسَبَةِ ، أَرْجُو أَنْ تَسْمَحَ لِي بِأَسْبُوعَيْنِ
إِجَازَةً . »

« لِكَيْ تَتَزَوَّجَ ؟ »

« نَعَمْ ، لِكَيْ أَتَزَوَّجَ أَوَّلًا ، ثُمَّ لِأَذْهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى بَارِيسَ . »

« مُوَافِقٌ طَبْعًا . خُذْ مَا تَشَاءُ مِنْ إِجَازَةٍ . وَلَكِنْ يَا دَانْتِي لَا بُدَّ أَنْ
تَعُودَ فِي غُضُونِ شَهْرٍ ؛ إِذْ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تُبْحَرَ السَّفِينَةُ بِدُونِ رُبَانِهَا . »
فَصَاحَ دَانْتِي وَعَيْنَاهُ تَبَرَّقَانِ حُبُورًا : « بِدُونِ رُبَانِهَا ؟ ! »

وَشَدَّ عَلَى يَدِ صَاحِبِ السَّفِينَةِ قَائِلًا : « أَحَقًّا سَتَجْعَلُنِي رُبَانَهَا
يَا سَيِّدُ مُورِيل ؟ إِنِّي أَشْكُرُكَ أَجْزَلَ الشُّكْرِ بِالنِّيَاةِ عَنْ كُلِّ مَنْ أَبِي
وَمَرْسِيدِي . »

« الْعَفْوُ يَا إِذْمُون . وَآلَانَ أَذْهَبَ إِلَى وَالِدِكَ ، ثُمَّ أَذْهَبَ فَرَزُ
مَرْسِيدِي ، وَبَعْدَ ذَلِكَ أَرَاكَ . »

« هَلْ تُحِبُّ أَنْ آخُذَكَ مَعِيَ إِلَى الشَّاطِئِ ؟ »

« كَلَّا ، شُكْرًا . إِنَّنِي سَأُبْقَى قَلِيلًا لِلْقِيَامِ بِبَعْضِ الْأَعْمَالِ مَعَ
دَانْغَلَرَز . قُلْ لِي هَلْ سَرَّتْكَ صُحْبَتُهُ فِي هَذِهِ الرَّحْلَةِ ؟ »

« أَتَعْنِي : هَلْ هُوَ صَدِيقٌ مُخْلِصٌ ؟ الْجَوَابُ إِذَا : لَا ، بَلْ إِنِّي
لَا أَظُنُّ أَنَّهُ يُحِبُّنِي أَبَدًا مُنْذُ أَنْ نَشَيْتَ بَيْنَنَا مُشَادَّةً فِي إِحْدَى الْمَرَّاتِ
بِالْقُرْبِ مِنْ جَزِيرَةِ مَوْتِ كَرِيستُو . وَلَكِنْ إِذَا كُنْتَ تَقْصِدُ : هَلْ كَانَ
يُودِي عَمَلَهُ كَمَا يَتَّبَعِي ؟ فَلَيْسَ عِنْدِي مَا آخُذُهُ عَلَيْهِ مِنْ هَذِهِ
الْنَاحِيَةِ . »

« وَلَكِنْ قُلْ لِي يَا إِذْمُون : هَبْ أَنَّكَ رُبَانُ السَّفِينَةِ فَرَعُونَ أَ كُنْتَ

تُبْقِي عَلَى دَانْغَلَرَز ؟ »

« مَا دُمْتُ أَنْتَ رَاضِيًا عَنْ عَمَلِهِ فَإِنِّي عَنْهُ رَاضٍ . »

« إِنَّكَ حَقًّا لِنِعْمِ الرَّجُلِ يَا دَانْتِي . »

« هَلْ تَسْمَحُ لِي بِأَسْتِخْدَامِ قَارِبِكَ يَا سَيِّدُ مُورِيل ؟ »

« بِكُلِّ سُورٍ . »

« مَرَّةً أُخْرَى ، أَشْكُرُكَ أَجْزَلَ الشُّكْرِ يَا سَيِّدُ مُورِيل . »

ثُمَّ شَبَّعَهُ صَاحِبُ السَّفِينَةِ بِنَظَرَاتِهِ إِلَى أَنْ بَلَغَ الشَّاطِئَ ، وَاتَّسَدَّ وَسْطَ
الزَّحَامِ . أَمَّا دَانْغَلَرَز فَقَدْ كَانَ يَقِفُ خَلْفَهُ ، يُشَيِّعُ الشَّابَّ أَيْضًا ، وَلَكِنْ
بِنَظَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تَمَامًا .

تَشْكُو مِنْ شَيْءٍ ؟ لَا بُدَّ أَنَّكَ جَوْعَانٌ أَوْ عَطْشَانٌ ، أَيْنَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ هُنَا ؟ »

فَأَجَابَ الْأَبُ الْعَجُوزُ : « لَيْسَ فِي الْبَيْتِ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنِّي لَا أُحْتَاجُ إِلَى شَيْءٍ مَا دُمْتُ مَعِي . »

« لَقَدْ أُعْطِيتُكَ كَثِيرًا مِنَ التَّقْوَدِ عِنْدَمَا تَرَكْتُكَ قَبْلَ ثَلَاثَةِ أَشْهُرٍ . »

« نَعَمْ ، هَذَا صَحِيحٌ ، وَلَكِنَّكَ نَسِيتَ أَنَّهُ كَانَ لَا بُدَّ أَنْ تُسَدِّدَ مَا عَلَيْنَا مِنْ دَيْنٍ لِصَدِيقِنَا كَادِيرُوسَ . لَقَدْ طَالَبَنِي بِالتَّسْدِيدِ وَإِلَّا ذَهَبَ إِلَى السَّيِّدِ مُورِيلَ وَأَخَذَ مِنْهُ التَّقْوَدَ ، فَأَعْطَيْتُهُ مَا طَلَبَ . »

« وَلَكِنْ يَا أُمِّي ، لَقَدْ كَانَ مَا عَلَيْنَا لَهُ أَكْثَرُ مِنْ نِصْفِ الْمَبْلَغِ الَّذِي تَرَكْتَهُ لَكَ ! مَعْنَى هَذَا أَنَّكَ عِشْتَ طِيلَةَ الْأَشْهُرِ الثَّلَاثَةِ عَلَى نِصْفِ مَا أُعْطِيتُكَ . لِمَاذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ ؟ خُذْ يَا أُمِّي ، خُذْ هَذَا الْمَالَ وَأَرْسِلْ مَنْ يَشْتَرِي طَعَامًا فِي الْحَالِ . »

قَالَ ذَلِكَ وَهُوَ يَضَعُ عَلَى الْمَائِدَةِ كُلَّ مَا كَانَ مَعَهُ مِنْ مَالٍ : اثْنَتَيْ عَشْرَةَ قِطْعَةً ذَهَبِيَّةً ، وَخَمْسَ قِطْعٍ أَوْ سِتًّا فِضِّيَّةً ، وَبَعْضَ الْعُمَلَاتِ الْآخَرَى .

قَالَ الْأَبُ الْعَجُوزُ : « كَلَّا ، كَلَّا ، إِنَّنِي لَا أُحْتَاجُ إِلَى كُلِّ هَذَا . وَلَكِنْ هَا هُوَ ذَا كَادِيرُوسَ : لَقَدْ سَمِعَ بِعُودَتِكَ فَجَاءَ يُرَحِّبُ بِكَ . »

الفصل الثاني الأب وأبنته

الأب العجوز

انْعَطَفَ دَائِتِي فِي شَارِعِ ضَيْقٍ ، وَدَخَلَ مَنْزِلًا صَغِيرًا ، ثُمَّ انْتَهَرَ لَحْظَةً أَمَامَ الْحَجَرَةِ الَّتِي يَقْطَعُهَا أَبُوهُ ، وَكَانَ الْبَابُ مُوَارِبًا ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ يَعْرِفُ أَنَّ السَّفِينَةَ فِرْعَوْنٌ قَدْ وَصَلَتْ ، فَصَاحَ عِنْدَمَا فُوجِيَ بِأَبْنَيْهِ أَمَامَهُ : « أَهُوَ أَنْتَ يَا إِذْمُونُ ؟ يَا أَيْنِي الْعَزِيزُ ! إِنَّنِي لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ وَصُولَكَ آلَانَ ، تَعَالَى وَأُخْبِرْنِي بِكُلِّ مَا حَدَثَ لَكَ . »

« لَقَدْ مَاتَ الرَّبَّانُ الطَّيِّبُ لِكُلْرُكِ يَا أَبَتَاهُ ، وَأَنَا فِي أَشَدِّ الْحُزَنِ لِذَلِكَ ، بَيِّنْ أَنَّ السَّيِّدَ مُورِيلَ قَدْ أَخْبَرَنِي أَنَّي سَأَخْذُ مَكَانَهُ . أَتَعْرِفُ يَا أُمِّي مَا مَعْنَى هَذَا ؟ فَكَّرْتُ قَلِيلًا ، إِنَّ مَعْنَاهُ أَنَّنِي سَأَكُونُ رَبَّانًا وَأَنَا لَا أُرَالُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ عُمْرِي ، وَبِمُرْتَبِ مُعَرٍّ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْلُمُ بِهِ بَحَارٌ فَقِيرٌ مِثْلِي ؟ إِنَّنِي أَتَوَيُّ أَنْ أُشْتَرِيَ لَكَ بِأَوَّلِ تَقْوَدٍ أَقْبَضُهَا بَيْتًا جَدِيدًا ... وَلَكِنْ يَا أَبَتَاهُ ، مَاذَا هُنَالِكَ ؟ خَبِّرْنِي : هَلْ

« آه ! إنَّ لِسَانَهُ يَقُولُ شَيْئًا عَلَى حِينٍ يُفَكِّرُ فِي شَيْءٍ آخَرَ . وَلَكِنَّهُ جَارُنَا عَلَى كُلِّ حَالٍ ، فَضَّلَا عَنْ أَنَّهُ مَدَّ يَدَ الْمُسَاعَدَةِ إِلَيْنَا مَرَّةً ، فَأَهْلًا بِهِ إِذَا . »

وَمَا إِنَّ أُنْتُمْ كَلَامَهُ حَتَّى ظَهَرَ رَأْسُ كَادِيرُوسِ الْأَسْوَدُ مِنْ خِلَالِ الْبَابِ .

كَادِيرُوسُ

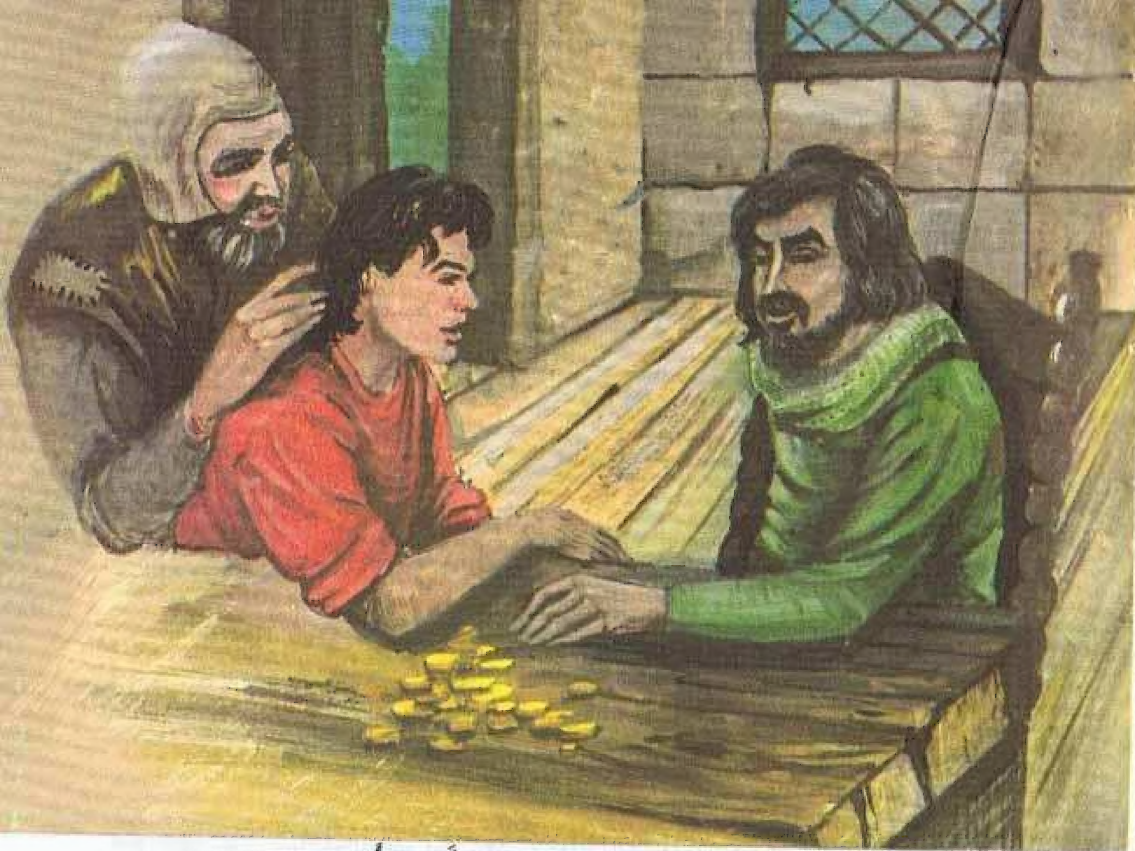
قَالَ كَادِيرُوسُ : « هَا أَنْتَ ذَا قَدْ عُدْتُ يَا إِدْمُونُ ! أَهْلًا بِكَ ! »

أَجَابَ دَانْتِي مُحَاوِلًا أَنْ يُخْفِيَ مَشَاعِرَهُ الْحَقِيقِيَّةَ نَحْوَ كَادِيرُوسِ : « نَعَمْ أَيُّهَا الْجَارُ . لَقَدْ عُدْتُ ، وَإِنِّي عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ أَقْدِمَ لَكَ الْعَوْنَ بِأَيِّ سَبِيلٍ . »

صَاحَ كَادِيرُوسُ وَهُوَ يُسَدِّدُ بَعَيْنَيْهِ نَظْرَاتٍ شَرِهةً إِلَى التَّقْوِدِ الذَّهَبِيَّةِ الْمُلْقَاةِ عَلَى الْمَائِدَةِ : « لَقَدْ عُدْتُ يَا صَدِيقِي وَمَعَكَ كَثِيرٌ مِنْ أَمْالٍ . »

قَالَ دَانْتِي وَقَدْ أَذْرَكَ مَعْنَى نَظْرَاتِ كَادِيرُوسِ إِلَى التَّقْوِدِ : « إِنَّهَا لَيْسَتْ تُقْوِدِي بَلْ هِيَ تُقْوِدُ أَبِي . اُعْدهَا يَا أَبِي إِلَى الصُّنْدُوقِ . أَمَّا إِذَا أَحْتَاجَ جَارُنَا الْعَزِيزُ إِلَى شَيْءٍ مِنْهَا ، فَسَوْفَ يَسْرُنَا أَنْ نُقْرِضَهُ . »

« شُكْرًا ، شُكْرًا . فَلَسْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَى شَيْءٍ . لَقَدْ جِئْتُ لِأَسْعَدَ



« بِلِقَائِكَ ، بَعْدَ أَنْ قَابَلْتُ صَدِيقِي دَانْغَلَرَزَ الَّذِي أَخْبَرَنِي بِعَوْدَتِكَ . »
صَاحَ الْأَبُ الْعَجُوزُ : « يَا لَكَ مِنْ رَجُلٍ طَيِّبٍ يَا كَادِيرُوسُ ! » ثُمَّ
الْتَفَتَ إِلَى أَبِيهِ الْوَاقِفِ إِلَى جَوَارِهِ وَقَالَ لَهُ : « إِنَّهُ نَعَمْ الصَّدِيقُ لَنَا
يَا وَلَدِي ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »
وَبَدَتْ عَلَى وَجْهِ كَادِيرُوسِ نَظْرَةٌ خَبِيْثَةٌ وَهُوَ يَقُولُ لِإِدْمُونِ : « لَقَدْ
سَمِعْتُ أَنَّ مُورِيلَ مَسْرُورَ بِكَ ، وَأَنْتَ تَأْمُلُ فِي أَنْ تُصْبِحَ الرَّبَّانَ
الْجَدِيدَ . »

« نَعَمْ ، أَتَوَقَّعُ ذَلِكَ . » ثُمَّ أَهْدَى رَغْبَتَهُ فِي مُغَادَرَةِ الْمَكَانِ ، قَائِلًا
لَأَبِيهِ : « وَالآنَ يَا أَبِي ، بَعْدَ أَنْ رَأَيْتُكَ وَأَطْمَئِنْتُ عَلَيْكَ ، عَلَيَّ أَنْ أَقُومَ

« اذْهَبْ يَا وَلَدِي . بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي زَوْجَتِكَ ! »

صاحَ كادِيرُوسَ ساخِرًا : « زَوْجَتُهُ ؟ ! إِنَّهَا لَمْ تُصْبِحْ بَعْدَ زَوْجَتِهِ . فَمَرْسِيدِيسَ فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ وَمِنْ عَادَةِ الْجَمِيلَاتِ أَنْ يَحُومَ حَوْلَهُنَّ شُبَّانٌ كَثِيرُونَ . وَلَكِنْ بِمَا أَنْتَ سَوْفَ تَكُونُ الرَّبَّانَ ... »

وَقَاطَعُهُ دَانْتِي قَائِلًا : « كَفَى ! إِنِّي أَحْسِنُ الظَّنَّ بِالنِّسَاءِ ، وَخَاصَّةً بِمَرْسِيدِيسَ ، الَّتِي أَنَا عَلَى يَقِينٍ أَنَّهَا سَتَكُونُ صَادِقَةً مَعِيَ سِوَاءَ أَكُنْتُ أَنَا الرَّبَّانَ أَوْ لَمْ أَكُنْ . » وَغَادَرَ الْحَجَرَةَ .

أَمَّا كادِيرُوسَ فَقَدْ ظَلَّ فِي مَكَانِهِ لِعِدَّةٍ دَقَائِقَ ، ثُمَّ خَرَجَ هُوَ الْآخِرُ مُتَوَجِّهًا إِلَى النَّاصِيَةِ الْقَرِيبَةِ حَيْثُ قَابِلُ دَانْغَلَرُزُ الَّذِي كَانَ يَنْتَظِرُهُ .

قَالَ كادِيرُوسَ : « إِنِّي عَائِدٌ مِنْ عِنْدِهِ لَتَوَي . »

« هَلْ تَحَدَّثَ عَنْ أُمِّيَّتِي فِي أَنْ يُصْبِحَ رَبَّانًا ؟ »

« لَقَدْ وَعَدَهُ مُورِيلُ بِذَلِكَ . »

« إِذَا فَهُوَ مَسْرُورٌ بِهَذَا الْوَعْدِ . »

« بِالتَّأَكُّيدِ . وَلَقَدْ عَرَضَ أَنْ يُسَاعِدَنِي كَأَنِّي أَنَا الْجَارُ الْفَقِيرُ وَهُوَ الرَّجُلُ الْغَنِيُّ . »

قَالَ دَانْغَلَرُزُ بِهَدْوٍ : « إِنَّهُ لَمْ يُصْبِحِ الرَّبَّانَ بَعْدَ ؛ إِذَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَوْقِفَ ذَلِكَ لَوْ شِئْنَا . أَلَا يَزَالُ يُحِبُّ تِلْكَ الْفَتَاةَ ؟ »

« نَعَمْ ، لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ رُبَّمَا لَا تَزَالُ ثَمَّةَ بَعْضِ الْعُقَبَاتِ ، فَفِي كُلِّ مَرَّةٍ أَرَى مَرْسِيدِيسَ أَجْدهَا فِي صُحْبَةِ ذَلِكَ الْفَتَى فِرْنَانَ ، الَّذِي تَقُولُ عَنْهُ إِنَّهُ أَبْنُ أَخٍ أَبِيهَا . »

قَالَ دَانْغَلَرُزُ : « هَلُمَّ تَبْرَحْ هَذَا الْمَكَانَ ، وَلْتَذْهَبْ إِلَى مَقْهَى لَارِيْزِيرَفَ لِتَشْرَبَ الشَّايَ وَتَنْتَظِرَ أَنْ نَسْمَعَ .. مَا سَوْفَ نَسْمَعُ . »

« هَلُمَّ بِنَا عَلَى أَنْ تَدْفَعَ أُنْتُ ثَمَنَ الشَّايِ . »

ما تقولين . أخبريني ثانيةً أَنَّهُ رَغِمَ أَنْ أُمِّكَ قَدْ مَنَحْتَنِي الْآمَلَ فِي أَنْ
تَكُونِي شَرِيكَةً حَيَاتِي ، فَإِنَّكَ تَرَفُضِينَنِي . إِنَّكَ تَعْبِشِينَ بِسَعَادَتِي ،
وَلَا تُعْنِي حَيَاتِي أَوْ مَوْتِي شَيْئًا بِالنَّسَبَةِ لَكَ . لَقَدْ ظَلِلْتُ أَحْلَمُ عَشْرَةَ
أَعْوَامٍ بِأَنْ أَكُونَ زَوْجَكَ ، وَبَنَيْتُ حَيَاتِي عَلَى هَذَا الْآمَلِ . »

أَجَابَتْ مَرْسِيدِيْس : « أَنَا لَمْ أُعِثْ بِكَ قَطُّ ، وَكُنْتُ دَائِمًا أَقُولُ
لَكَ إِنِّي أُحِبُّكَ كَمَا أُحِبُّ أَخِي ، وَلَكِنْ لَا تَتَوَقَّعْ مِنِّي أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ
الْأُخْتِ لِأَخِيهَا . كَذَلِكَ قُلْتُ لَكَ إِنْ قَلْبِي لَيْسَ لَكَ بَلْ لِشَخْصٍ آخَرَ .
أَلَيْسَ كَذَلِكَ يَا فِرْنَانَ ؟ »



الفصل الثالث

مَرْسِيدِيْس

فِرْنَانَ وَمَرْسِيدِيْس

كَانَ دَانْغَلَرُزُ وَكَادِيرُوسُ يَجْلِسَانِ مَعًا إِلَى مَائِدَةٍ وَاحِدَةٍ فِي ظِلِّ
شَجَرَةٍ . وَفِي أَحَدِ الْبُيُوتِ الَّتِي تَبْعُدُ عَنْهُمَا حَوَالِي مِئَةِ مِثْرٍ كَانَتْ تَقِفُ
فَتَاةٌ جَمِيلَةٌ عَلَى مَقَرَّةٍ مِنَ الْحَائِطِ . كَانَ شَعْرُهَا فَاحِمًا كَسَوَادِ اللَّيْلِ
وَعَيْنَاهَا حَالِكَتَيْنِ وَرَائِعَتَيْنِ ، وَبِالْقُرْبِ مِنْهَا وَقَفَ شَابٌّ فِي الْعَشْرِينَ مِنْ
عُمُرِهِ كَانَ يَدُو عَلَى وَجْهِهِ الْغَضَبُ وَالْخَوْفُ . قَالَ لَهَا :

« مَرْسِيدِيْس ، لَقَدْ حَلَّ شَهْرُ مَايُو مَرَّةً أُخْرَى فَأَخْبِرِينِي : أَلِهَذَا هُوَ
الْمَوْعِدُ الَّذِي اتَّفَقْنَا عَلَى الزَّوْاجِ فِيهِ ؟ »

« لَقَدْ أُجِبْتُكَ يَا فِرْنَانَ عَنْ هَذَا التَّسْأُولِ مِثَابَ الْمَرَّاتِ ، وَكَانَتْ
إِجَابَاتِي فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَاحِدَةً كَمَا تَعْلَمُ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

« إِذَا قَوْلُهَا مَرَّةً أُخْرَى ، قَوْلُهَا لَعَلِّي فِي آخِرِ الْمَطَافِ أَصْدَقُ

« بلى يا مرسيديس ، لقد قلت ذلك لي مرارا . لكنني أسألك الآن
وللمرة الأخيرة أهدا هو قرارك النهائي ؟ »

وجاء رد مرسيديس هادئا وهي تقول : « أنا أحب إدْمون دائني ،
ولن أكون زوجة لسواه . »

عَدُو

أحس فرنان بالهزيمة ، فنكس رأسه ، وفجأة نظر إلى مرسيديس
وسألها : « ولنفرض أنه مات ؟ »

« إذا مات فسأموث أنا أيضا . »

« وإذا كان قد نسيك ؟ »

وكان القدر في تلك اللحظة أراد أن يسخر من فرنان ؛ إذ سمعا
صوتا يناديها من خارج البيت مملوءا بهجة وخبورا : « مرسيديس !
مرسيديس ! »

كان النداء مفاجأة لمرسيديس ، فاشرق وجهها بالحب وقالت
لفرنان : « إنه لم ينسني يا فرنان ! لم ينسني كما كنت تقول لي منذ
لحظة . ها هو ذا إدْمون ! وأسرعت نحو الباب تفتحه قائلة : « هاأنذا
يا إدْمون ! هاأنذا ! »

وتعانق إدْمون ومرسيديس ، كان ليس في العالم أحد غيرهما ، على
حين راحت أشعة شمس مارسيليا الذهبية تغمرها كأنها نور من
السماء .

وأطلق فرنان خارجا من البيت يجري كالمجنون ويصيح : « آه !
ما أشد حماقتي ! من يتقدي من ذلك الرجل ؟ »

ووصل إلى سمعه صوت يناديه : « فرنان ! إلى أين تعدو ؟ »
توقف فرنان عن العدو ، فرأى كاديروس جالسا مع دانغلرز إلى
مائدة تحت شجرة .

قال له كاديروس معايبا : « أبلغت بك العجلة حدا جعلك لا ترى
صديقك ؟ »

فأجبه نحوهما فرنان يجر قدميه في خطي بطينة متشاقلة .

وعندما دنا منهما رمق كاديروس صديقه دانغلرز بنظرة غريبة ، ثم
قدم له فرنان قائلا : « هذا فرنان يا دانغلرز . إنه واحد من أمهر صيادي
السمك في مارسيليا . وهو يحب فتاة جميلة اسمها مرسيديس ، لكن
الأمور لا تسير وفق هواه ؛ فهي تحب إدْمون دائني الضابط الأول
في السفينة فرعون . لقد أصبح للضابط الأول ، فيما يبدو ، عدو
آخر . »

سَأَلَ دَانْغَلَرُزُ : « مَتَى سَتَيْتُمُ الزَّوْاجَ ؟ »

أَجَابَ فِرْنَانَ : « لَمْ يَتَحَدَّدْ بَعْدُ . »

لَكِنَّ كَادِيرُوسَ قَالَ مُؤَكَّدًا : « بَلْ سَتَوْفَ يَتَحَدَّدُ ، كَمَا سَتَيْتُمُ بِالتَّأَكِيدِ تَعْيِينَ دَائِي رُبَانًا لِلْسَّفِينَةِ فِرْعَوْنَ ، أَلَيْسَ ذَلِكَ صَحِيحًا يَا دَانْغَلَرُزُ ؟ »

قَالَ دَانْغَلَرُزُ : « حَسَنُ ! فَلْيَحْيَا الرُّبَانُ إِدْمُونُ دَائِي زَوْجُ مَرْسِيدِيسَ الْجَمِيلَةِ ! »

كَسَتْ عَيْنِي فِرْنَانَ مَسْحَةً بُوَسٍ بَدَتْ وَاضِحَةً عَلَى وَجْهِهِ . وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ظَهَرَ إِدْمُونُ وَمَرْسِيدِيسُ يَتَأَبَّطُ أَحَدُهُمَا ذِرَاعَ الْآخَرِ فِي سَعَادَةٍ بِالْعَةِ .

قَامَ كَادِيرُوسُ مِنْ مَقْعَدِهِ وَهُوَ يَصِيحُ قَائِلًا : « أَلَا تَرَى أَصْدِقَاءَكَ يَا إِدْمُونُ ؟ أَمْ أَنَّ كِبْرِيَاءَكَ تَمْنَعُكَ مِنْ أَنْ تَتَحَدَّثَ إِلَيْهِمْ ؟ »

أَجَابَ إِدْمُونُ : « لَا يَا صَدِيقِي الْعَزِيزَ ، إِنِّي لَسْتُ مُتَكَبِّرًا ، وَلَكِنِّي سَعِيدٌ وَقَدْ غَمَرَتْني السَّعَادَةُ حَتَّى حَجَبَتْ عَنِّي رُؤْيَتَكُمْ . »

قَالَ دَانْغَلَرُزُ : « صَحِيحٌ ! وَهَذَا سَبَبٌ وَجِيهٌ ! لَكِنَّ مَتَى يَتَيْتُمُ

« بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ : رُبَّمَا غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ، هُنَا فِي لَارِيْرِيرَف . وَنَأْمُلُ أَنْ تَحْضُرَ أَنْتَ وَكَادِيرُوسُ . »

الْتَقَطَ كَادِيرُوسُ خَيْطَ الْحَدِيثِ فَتَسَاءَلَ ضَاحِكًا : « وَمَاذَا عَنْ فِرْنَانَ ؟ أَمْ دَعُوهُ هُوَ أَيْضًا إِلَى الْحَفْلِ ؟ »

أَجَابَ إِدْمُونُ : « بِالطَّبَعِ فَهُوَ أَخِي ، لِأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ أَخٍ لَزَوْجَتِي ، وَلَنْ تَكْتَمِلَ سَعَادَتُنَا إِلَّا بِحُضُورِهِ حَقْلَ زَوَاجِنَا . »

وَأَرَادَ فِرْنَانَ أَنْ يَقُولَ شَيْئًا ، وَلَكِنَّ لِسَانَهُ لَمْ يُسَعِّفْهُ بِكَلِمَةٍ . أَمَّا دَانْغَلَرُزُ فَقَالَ : « غَدًا أَوْ بَعْدَ غَدٍ ! إِنَّكُمَا فِي عَجَلَةٍ أَيُّهَا الرُّبَانُ . »

قَالَ إِدْمُونُ : « أَنَا لَسْتُ رُبَانًا بَعْدُ يَا دَانْغَلَرُزُ . أَمَّا أَنَا فِي عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِنَا فَهَذَا صَحِيحٌ ، إِذْ عَلَيَّ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى بَارِيسَ . »

« بَارِيسَ ؟ هَلْ تَعْنِي أَنَّ لَدَيْكَ عَمَلًا هُنَاكَ ؟ »

« لَيْسَ عَمَلًا خَاصًّا بِي ، لَكِنَّهُ أَمْرٌ يَخُصُّ الرُّبَانَ لِكُلِّكَ كَلَّفَنِي بِهِ وَهُوَ يُحْتَضَرُ . »

قَالَ دَانْغَلَرُزُ : « نَعَمْ ! نَعَمْ ! مَفْهُومٌ ! » ثُمَّ أَضَافَ قَائِلًا لِنَفْسِهِ : « إِلَى بَارِيسَ ، لِتَحْمِيلِ رِسَالَةِ أَلَمَارْشَالِ بَرْتِرَانَ إِلَى هُنَاكَ ، مَا فِي ذَلِكَ



شك . لقد حطرت لي فكرة . إنك لم تُصيح ربانا للسفينة فرعون
بعد يا صديقي دائني . « ثم ألقت إلى إدمون الذي كان يتعد مغادرا
المكان ، وصاح به : « رحلة سعيدة يا إدمون ! » فرد عليه إدمون في
صوت ودود : « شكرا ! » ثم مضى العاشقان في طريقهما وقد فاض
قلباهما حُبورا .

مهمة قذرة

نادى دانغلز على صبي المقهى وطلب منه أن يحضر له قلمًا
وورقًا ، فلما جاءه بهما قال كاديروس : « غريب أن يكون القلم أشد
فتكا للرجل من بلطية تتربص له بها في ظلام الليل ! »

وسألهما فرنان : « ماذا تزمعان أن تفعلان ؟ »

أجابه دانغلز : « سأخبرك بالأمر . لقد عاد دائني لتوه من رحلة
توقف خلالها في جزيرة إلبا . سوف ترسل خطابا إلى مسئول في
الحكومة نقول فيه إن دائني من رجال نابليون ، وأنه يعمل على إعادته
إلى فرنسا حاكما لها بدلا من ملكنا المعظم . »

صاح فرنان على الفور : « سوف أكتب أنا هذا الخطاب . » غير
أن دانغلز قاطعه قائلا : « كلا يا فرنان ، لا تفعل ! وإلا خسرت قلب
مُرسيديس إلى الأبد . فمن الأفضل أن أخطئه أنا بيدي اليسرى . »
وبدأ دانغلز يكتب :

« يعتقد أحد أصدقاء الملك أن من مصلحة أعوان الملك أن يحاطوا
علما بأن إدمون دائني ، أخذ بحارة السفينة فرعون قد أحضر معه من
جزيرة إلبا رسالة ليُسلمها إلى نابليون في باريس ، وإذا قبضتم عليه
فسوف تُعثر على الرسالة في حوزته أو في منزل أبيه أو داخل غرفته
بالسفينة . »

فرغ دانغلز من كتابة الخطاب ، ووضعها داخل ظرف كتب عليه
اسم « فيلفور » ، ثم تنفس الصعداء وهو يقول : « بهذا نكون قد
فرغنا من الأمر ! »

فَعَقَّبَ كَادِيرُوسُ بِقَوْلِهِ : « نَعَمْ فَرَعْنَا مِنْهُ ، وَلَكِنَّهَا مُهِمَّةٌ قَدِيرَةٌ . »
ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ لِيَأْخُذَ الْخِطَابَ .

فَقَالَ دَانْغَلَرُزُ : « إِذَا فَلَنْ تُرْسِلَهُ . » ثُمَّ أَلْقَى بِهِ عَلَى الْأَرْضِ .

قَالَ كَادِيرُوسُ : « وَهُوَ كَذَلِكَ . هَيَّا بِنَا . » ثُمَّ أَلْتَفَتَ إِلَى فِرْنَانَ
سَائِلًا : « أَلَنْ تَأْتِيَ مَعَنَا يَا فِرْنَانُ ؟ »

أَجَابَهُ فِرْنَانُ : « نَعَمْ ، سَأُبْقَى هُنَا . »

إِنْطَلَقَ دَانْغَلَرُزُ وَكَادِيرُوسُ صَوَّبَ الْمِیَاءَ ، وَمَا كَادَا يَتَّبِعَانِ قَلِيلًا
حَتَّى أَلْتَفَتَ دَانْغَلَرُزُ وَرَاءَهُ ، فَرَأَى فِرْنَانَ يَلْتَقِطُ الْخِطَابَ مِنَ الْأَرْضِ ،
وَرَأَحَ يَعْدُو بِهِ نَحْوَ الْمَدِينَةِ .

بِاسْمِ الْقَانُونِ

أَشْرَقَتْ شَمْسُ الصَّبَاحِ صَافِيَةً جَمِيلَةً ، فَصَبَغَتْ السَّمَاءَ بِلَوْنِ
الذَّهَبِ ، وَكَسَتْ زَبَدَ الْبَحْرِ بَيَاضًا نَاصِعًا كَالثَّلْجِ .

وَكَانَتْ قَدْ أُعِدَّتْ فِي مَقْهَى لَارِيْزِيْرِفَ وَلِيْمَةٌ شَهِيَّةٌ آخِيفَالًا
بِالزَّوْاجِ ، وَكَانَ هُنَاكَ كَثِيرُونَ مِنْ بَحَّارَةِ السَّفِينَةِ فِرْعَوْنَ ، وَأَصْدِقَاءُ
آخَرُونَ لِدَانْتِي مُرْتَدِّينَ جَمِيعُهُمْ أَفْحَمَ الْثِيَابِ .

وَعَلَتْ الْأَصْوَاتُ مُعْلِنَةً مَقْدَمَ مُوْرِيلَ ، الَّذِي فَهِمَ بَحَّارَةُ السَّفِينَةِ مِنْ

حُضُورِهِ الْعَرَسَ أَنَّ دَانْتِي هُوَ رُبَّانُ السَّفِينَةِ الْمُنْتَظَرِ . وَكَانَ دَانْتِي مُوَضِعَ
حُبٍّ وَتَقْدِيرٍ مِنَ الْجَمِيعِ ، وَمِنْ ثَمَّ أَرْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمْ وَقَفَا طَوِيلًا نَعْلِنُ
عَنْ بَهْجَتِهِمْ .

وَسَأَلَتْ مَرْسِيْدِيْسُ بِصَوْتٍ عَذِيبٍ رَنَانَ : « هَلْ تَبْدَأُ ؟ إِنَّهَا الثَّانِيَةُ
الْآنَ ، وَالنَّاسُ فِي أَنْتِظَارِنَا . »

فَقَامَ الْمَدْعُوْنَ وَأَخَذُوا يَنْتَظِمُونَ صَفًّا وَاحِدًا ، فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي
وَصَلَ فِيهَا إِلَى أَسْمَاعِهِمْ صَوْتُ ثَلَاثِ طَرَقَاتٍ عَلَى الْبَابِ ، وَصَوْتُ
رَجُلٍ يَقُولُ : « افْتَحُوا بِاسْمِ الْقَانُونِ . » ثُمَّ دَخَلَ ضَابِطٌ يَتَّبِعُهُ أَرْبَعَةُ
جُنُودٍ ، وَسَأَلَ : « أَيْنَ الْمَدْعُوُّ إِذْمُونُ دَانْتِي ؟ »

أَجَابَ إِذْمُونُ : « هَآنَذَا ! لَكِنْ لِمَاذَا تَطْلُبُونَنِي ؟ »

« لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُخْبِرَكَ . وَلَكِنَّكَ سَوْفَ تَعْرِفُ السَّبَبَ فِيمَا
بَعْدَ . »

إِلْتَفَتَ إِذْمُونُ إِلَى الْمَدْعُوِّينَ قَائِلًا : « لَا دَاعِي لِلْقَلْقِ أَبْهَا الْأَصْدِقَاءُ .
لَا بُدَّ أَنْ ثَمَّةَ لُبْسًا ، وَسَوْفَ يَزُولُ هَذَا اللَّبْسُ حَالًا . هَذَا كُلُّ
مَا هُنَاكَ ، وَأَنَا مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ . »

قَالَ دَانْغَلَرُزُ : « بِالتَّأَكِيدِ ثَمَّةَ لُبْسٍ مَا لَيْسَ إِلَّا . »

وَهَبَطَ دَانْتِي إِلَى الْفِنَاءِ يَتَّبِعُهُ الْجُنُودُ ، عَلَى حِينِ صَرَخَتْ مَرْسِيْدِيْسُ

الفصل الرابع القاضي

« أَلَيْكَ أَعْدَاءُ ؟ »

مَدَّ الْقَاضِي فَيْلْفُورُ يَدَهُ وَتَنَاوَلَ وَرَقَةً مِنْ أَحَدِ رِجَالِهِ ، وَقَالَ لَهُ :
« أَذْخِلِ السَّجِينَ . »

وَدَخَلَ دَانِي .

سَأَلَهُ الْقَاضِي : « مَا أَسْمُكَ وَمَا وَظِيفَتُكَ ؟ »

فَأَجَابَ الشَّابُّ : « إِسْمِي إِدْمُونُ دَانِي وَأَعْمَلُ ضَابِطًا لِلْسَّفِينَةِ
فِرْعَوْنَ ، إِحْدَى سَفُنِ مُورِيل . »

« عَمْرُكَ ؟ »

« عِشْرُونَ عَامًا . »

« مَاذَا كُنْتَ تَفْعَلُ لِحِظَةٍ أَنْ قُبِضَ عَلَيْكَ ؟ »



قَائِلَةً : « كَانَ اللَّهُ مَعَكَ يَا أَعَزُّ النَّاسِ . »

فَقَالَ لَهَا دَانِي وَهُوَ يَبْتَغِدُ : « وَمَعَكَ أَنْتِ أَيْضًا يَا مِرْسِيدِي .
لَا تَقْلَقِي ، فَسَوْفَ أَعُودُ حَالًا . »

« كُنْتُ أُحْتَمِلُ بِرِفَافِي . » ثُمَّ تَهَدَّجَ صَوْتُهُ . فَقَدْ كَانَتْ فِكْرُهُ
الْإِتِّقَالَ مِنَ السَّعَادَةِ الَّتِي كَانَ فِيهَا إِلَى حَيْثُ هُوَ الْآنَ أَقْسَى مِمَّا
يَحْتَمِلُ .

« تَحْتَمِلُ بِرِفَافِكَ ؟ ! »

« نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، كُنْتُ أَوْشِكُ أَنْ أَتَزَوَّجَ فَتَاةً أُحِبُّهَا مُنْذُ ثَلَاثِ
سَنَوَاتٍ . »

وَشَعَرَ فِيلْفُورُ بِحُزْنٍ شَدِيدٍ عِنْدَ سَمَاعِهِ هَذَا ، لَكِنَّهُ اسْتَمَرَّ فِي
اسْتِجْوَابِهِ :

« هَلْ كُنْتُ جُنْدِيًّا تَحْتَ قِيَادَةِ نَابُلْيُون ؟ »

« لَقَدْ كُنْتُ عَازِمًا عَلَى الْإِنْضِمَامِ لِإِخْدِي سَفِينِهِ عِنْدَمَا سَقَطَ عَنْ
كُرْسِيِّ الْحُكْمِ . »

« يُقَالُ إِنَّكَ رَجُلٌ خَطِرٌ ، وَإِنَّكَ تَعْمَلُ عَلَى عَوْدَةِ نَابُلْيُونِ إِلَى
الْحُكْمِ ، فَمَا قَوْلُكَ ؟ »

« أَنَا ؟ خَطِرٌ ؟ إِنْ سِنِي لَا تَتَجَاوَزُ الْعِشْرِينَ ، وَلَا أَعْلَمُ شَيْئًا عَنْ
هَذِهِ الْأُمُورِ وَلَا أَفَكِّرُ فِيهَا . إِنْ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ فَقَطْ هِيَ الَّتِي تَشْغَلُنِي :
حُبِّي لِأُمِّي ، وَحُبِّي لِمُورِيل ، ثُمَّ حُبِّي الْأَكْبَرَ لِمَرْسِيدِيس . ذَلِكَ
يَا سَيِّدِي هُوَ كُلُّ مَا اسْتَطَعْتُ أَنْ أَقُولَهُ لَكَ . »

« أَلَيْكَ أُعْدَاءٌ ؟ »

« أُعْدَاءٌ ؟ ! لَسْتُ مُهِمًّا إِلَى الْحَدِّ الَّذِي يَكُونُ لِي فِيهِ أُعْدَاءٌ .
صَحِيحٌ أَنَّ هُنَاكَ عَلَى السَّفِينَةِ عَشْرَةَ رِجَالٍ أَوْ أَكْثَرَ قَلِيلًا يَخْضَعُونَ
لِأَوَامِرِي ، لَكِنَّكَ لَوْ رُحْتَ تَسْأَلُهُمْ عَنِّي لَأَجْمَعُوا كُلُّهُمْ عَلَى أَنَّهُمْ
يُحِبُّونَنِي ، لَا كَوَالِدٍ لَهُمْ ، فَأَنَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ ، بَلْ كَأَخٍ أَكْبَرَ . »

« إِنَّكَ تَوْشِكُ أَنْ تُصْبِحَ رَبَّنَا لِسَفِينَةٍ وَأَنْتَ لَا تَزَالُ فِي الْعِشْرِينَ مِنْ
عُمْرِكَ ، وَتَسْتَزَوِّجُ فَتَاةً جَمِيلَةً تُحِبُّكَ . فَلَعَلَّ هَذَا هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ
ثَمَّةَ مَنْ يُعَادِيكَ . »

« قَدْ يَكُونُ هَذَا صَحِيحًا يَا سَيِّدِي الْقَاضِي ، فَأَنْتَ أَعْلَمُ بِالنَّاسِ
مِنِّي . »

وَقَدَّمَ فِيلْفُورُ وَرَقَةً لِإِذْمُونٍ قَائِلًا : « لَقَدْ جَاءَنِي هَذِهِ الْوَرَقَةُ ، فَهَلْ
تَعْرِفُ خَطَّ مَنْ هَذَا ؟ »

قَرَأَ دَائِئِي الْوَرَقَةَ ، وَسَرَّعَانَ مَا كَسَتْ وَجْهَهُ سَحَابَةٌ مِنَ الْحُزْنِ ،
وَأَجَابَ : « كَلَّا يَا سَيِّدِي ، لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَتَعَرَّفَ عَلَى كَاتِبِ هَذِهِ
الرَّسَالَةِ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَمِنْ الْوَاضِحِ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِدَوْدَ لِي . »

وَلَمَّا كَانَ فِيلْفُورُ قَاضِيًا نَافِذَ الْبَصِيرَةِ ، فَقَدْ اسْتَطَاعَ أَنْ يَسْتَشِفَّ
مِنْ وَرَاءِ كَلِمَاتِ دَائِئِي الرَّقِيقَةِ صَلَابَةً وَعَظْمًا ، وَقَالَ : « وَالْآنَ خَبِّرْنِي

بِرتران ، ثُمَّ سَلَّمَهُ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَانْتَظَرَ ، فَقَدْ يُعْطِيكَ هُوَ بِدَوْرِهِ رِسَالَةً
أُخْرَى وَيَطْلُبُ مِنْكَ أَنْ تُسَلِّمَهَا إِلَى شَخْصٍ مَا . وَهَكَذَا تَكُونُ قَدْ قُمْتَ
بِالْمِهْمَةِ الَّتِي كُنْتَ سَاقِوْمُ أَنَا بِهَا لَوْ أَنِّي بَقِيتُ حَيًّا ، .

« مَاذَا فَعَلْتَ عِنْدَيْدٍ ؟ »

« قُمْتُ بِمَا طُلِبَ مِنِّي ، وَفِي مِثْلِ ظُرُوفِي لَمْ يَكُنْ لِأَيِّ شَخْصٍ أَنْ
يَفْعَلَ غَيْرَ مَا فَعَلْتُ ، فَإِذَا كَانَ الْعُرْفُ قَدْ قَضَى فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ
يَسْتَجِيبَ النَّاسُ لِرَغَبَاتِ إِنْسَانٍ يُحْتَضَرُ ، فَإِنَّ الْأَمْرَ بِالنَّسْبَةِ لِلْبَحَارَةِ
يَكُونُ أَشَدَّ ؛ إِذْ تُصِيرُ رَغَبَاتُ الرَّبَّانِ الْأَخِيرَةِ أَوْامِرَ .

« وَعِنْدَمَا وَصَلْتُ إِلَيْهَا ذَهَبْتُ وَخَدِي إِلَى الشَّاطِئِ ، وَسَلَّمْتُ الرِّسَالَةَ
لِلْمَارْشَالِ بِرْتِرَان ، فَأَعْطَانِي هُوَ بِدَوْرِهِ رِسَالَةً لِأَسَلِّمَهَا إِلَى شَخْصٍ فِي
بَارِيس . فَجِئْتُ إِلَى هُنَا لِأُزَوِّرَ خَطِيبَتِي ، وَنُعَدُّ مَعًا حَفْلَ زِفَافِنَا الَّذِي
بَدَأَتْ مَرَّاسِمُهُ بِالْفِعْلِ ، وَكُنْتُ أَتَوِي أَنْ أَتَوَجَّهَ إِلَى بَارِيس غَدًا . »

نَوَارْتِييه

إِسْتِطَاعَ فِيلَقُورِ أَنْ يَسْتَشِيفَ الصَّدْقَ ثَانِيَةً وَرَاءَ كَلِمَاتِ دَانْتِي ، فَقَالَ
لَهُ : « يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّكَ تَقُولُ الْحَقِيقَةَ ، غَيْرَ أَنَّ هُنَاكَ مَا آخُذُهُ عَلَيْكَ :
لَقَدْ كَانَتْ طَاعَتُكَ لِرَأْسِكَ عَمِيَاءَ ، فَلَمْ تَكُنْ حَصِيْفًا بِحَيْثُ تَتَرَوَى
أَوْ تَبْحَثُ الْأُمُورَ بِحِكْمَةٍ مِمَّا جَلَبَ عَلَيْكَ الْمَتَاعِبَ الْكَثِيرَةَ . أُعْطِنِي



لَا كَسَجِينٍ لِقَاضِيهِ ، بَلْ كَرَجُلٍ لِرَجُلٍ : مَا مَدَى الصَّدْقِ فِي هَذِهِ
الرِّسَالَةِ ؟ »

« لَيْسَ فِيهَا ذَرَّةٌ مِنَ الصَّدْقِ يَا سَيِّدِي ، وَسَوْفَ أُخْبِرُكَ بِالْحَقِيقَةِ
كَامِلَةً . عِنْدَمَا سَقَطَ الرَّبَّانُ لُكُلُوكَ مَرِيضًا ، كُنَّا قَدْ غَادَرْنَا مِينَاءَ
نَابُولِي ، غَيْرَ أَنَّهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ عِنْدَمَا أَشْتَدَّ عَلَيْهِ مَرَضُهُ وَأَحْسَنَ بِدُنُو
أَجَلِهِ نَادَانِي قَائِلًا : ' يَا عَزِيزِي دَانْتِي ، عِذْنِي أَنْ تَفْعَلَ مَا أَطْلُبُهُ مِنْكَ ،
إِنَّهُ أَمْرٌ جَدُّ هَامٍّ ، . وَلَمَّا وَعَدْتُهُ أَنْ أَفْعَلَ مَضَى فِي حَدِيثِهِ قَائِلًا : ' إِنَّكَ
سَتَكُونُ الرَّبَّانَ بَعْدَ مَوْتِي . إِذْهَبْ إِلَى جَزِيرَةِ إِيْلَا ، وَابْحَثْ عَنِ الْمَارْشَالِ

الرَّسَالَةَ الَّتِي أَحْضَرْتَهَا مَعَكَ مِنْ إِبْلَا ، وَعِذْنِي أَنْ تُمَثِّلَ أَمَامِي مَرَّةً أُخْرَى
إِذَا مَا اسْتَدْعَيْتُكَ . وَتَسْتَطِيعَ آلَانَ أَنْ تَنْصَرِفَ وَتَرْجِعَ إِلَى
أَصْدِقَائِكَ . »

صَاحَ دَانْتِي فَرِحًا : « أَيْعْنِي ذَلِكَ أَنِّي حُرٌّ ؟ »

« نَعَمْ ، عَلَى أَنْ تُسَلِّمَنِي الرَّسَالَةَ الَّتِي مَعَكَ . »

« لَكِنَّ الرَّسَالَةَ فِي حُوزَتِكَ فَعَلًا يَا سَيِّدِي الْقَاضِي ، فَقَدْ أَخَذُوهَا
مِنِّي ضِمْنِ رِسَائِلِ أُخْرَى أَرَاهَا هُنَاكَ عَلَى الْمِنْضَدَةِ . »

مَدَّ دَانْتِي يَدَهُ يَأْخُذُ قُبْعَتَهُ لِيَمْضِي ، فَاسْتَوْقَفَهُ فِيلْفُورُ وَسَأَلَهُ :
« مَا اسْمُ الشَّخْصِ الْمُرْسَلَةِ إِلَيْهِ الرَّسَالَةُ ؟ »

« نَوَارْتِييه ، بِشَارِعِ هِرُونِ بِيَارِيْس . »

لَوْ أَنَّ سَقْفَ الْحُجْرَةِ لَحُظَّتْهَا سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ ، لَمَا أَتَابَ فِيلْفُورُ
مَا أَتَابَهُ مِنْ دَهْشَةٍ .

فَقَدْ رَاحَ يُرَدِّدُ بِصَوْتٍ خَفِيفٍ كَأَنَّهُ يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ :
« نَوَارْتِييه ! نَوَارْتِييه ! » مِمَّا جَعَلَ دَانْتِي يَقْتَرِبُ مِنْهُ وَيَسْأَلُهُ : « نَعَمْ
يَا سَيِّدِي ! هَلْ تَعْرِفُهُ ؟ »

أَجَابَهُ فِيلْفُورُ : « كَلَّا بِالطَّبَعِ ، وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَكُونَ خَادِمٌ أَمِينٌ

لِلْمَلِكِ مِثْلِي عَلَى مَعْرِفَةٍ بِمَنْ يَعْمَلُونَ عَلَى تَجْرِيدِهِ مِنْ سُلْطَانِهِ وَإِعَادَةِ
نَابُلْيُونِ إِلَى الْحُكْمِ ؟ »

اسْتَبَدَّ الْخَوْفُ بِدَانْتِي ، وَمَلَأَتْهُ كَلِمَاتُ فِيلْفُورِ رُغْبًا ، فَرَاحَ يَسْأَلُ
مُسْتَفْسِرًا : « هَلْ حَقًّا أَرَادُوا ذَلِكَ يَا سَيِّدِي ؟ لَقَدْ سَبَقَ لِي يَا سَيِّدِي
الْقَاضِي أَنْ قُلْتُ لَكَ إِنِّي لَا أُعْرِفُ شَيْئًا عَمَّا جَاءَ فِي الرَّسَالَةِ . »

« نَعَمْ ، لَكِنَّكَ تَعْرِفُ اسْمَ الشَّخْصِ الْمُرْسَلَةِ إِلَيْهِ الرَّسَالَةَ ، أَلَيْسَ
كَذَلِكَ ؟ »

« بِالطَّبَعِ ، فَقَدْ قَرَأْتُهُ كَيْ أُعْرِفَ إِلَى مَنْ سَأَسَلُهَا . »

وَبَدَتْ عَلَى وَجْهِ فِيلْفُورِ صُفْرَةٌ كَصُفْرَةِ الْمَوْتِ وَهُوَ يَسْأَلُ دَانْتِي :
« هَلْ أَطْلَعْتَ أَحَدًا عَلَى الرَّسَالَةِ ؟ »

« لَمْ يَطْلِعْ عَلَيْهَا أَحَدٌ يَا سَيِّدِي . »

وَقَرَأَ فِيلْفُورُ الرَّسَالَةَ ثُمَّ غَطَّى وَجْهَهُ بِيَدَيْهِ ، وَأَخَذَ يُفَكِّرُ : « آه لَوْ
عَرَفَ هَذَا الشَّابُّ مَا تَحْتَوِيهِ الرَّسَالَةُ ! آه لَوْ عَرَفَ أَنِّي اسْتَبَدَلْتُ
بِاسْمِي آسْمًا آخَرَ ، وَأَنَّ نَوَارْتِيِيهَ هَذَا هُوَ أَنِّي ! إِذَا لَضِيعْتُ ! »

« دَعْنِي أَتَاكُذُّ »

نَظَرَ فِيلْفُورُ إِلَى عَيْنِي دَانْتِي مُحَاوِلًا أَنْ يَقْرَأَ أَفْكَارَهُ ثُمَّ قَالَ لَهُ :

« كُنْتُ أُمِّلُ أَنْ أَفْرَجَ عَنْكَ اللَّيْلَةَ ، لَكِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ . وَعَلَيَّ أَنْ أَبْقِيَكَ
لِبَعْضِ الْوَقْتِ ، وَسَوْفَ أُحَاوِلُ أَنْ يَكُونَ بَقَاؤُكَ هُنَا أَقْصَرَ مَا يُمَكِّنُ ؛
إِذْ لَيْسَ ثَمَّةَ دَلِيلٍ ضِدَّكَ غَيْرَ هَذَا الْخِطَابِ ، وَهَئِذَا كَمَا تَرَى الْقَبِيهَ
فِي النَّارِ . »

قَالَ ذَلِكَ ، وَأَخَذَ الرَّسَالَةَ الْمَوْضُوعَةَ أَمَامَهُ عَلَى الْمِنْضَدَّةِ ، وَالْقَى
بِهَا فِي نَارِ الْمِدْفَأَةِ الْمُشْتَعِلَةِ ، وَانْتَظَرَ حَتَّى اخْتَرَقَتْ تَمَامًا .

وَصَاحَ دَائِي مُبْتَهَجًا وَهُوَ يَرَى دَلِيلَ اتِّهَامِهِ يَحْتَرِقُ : « مَا أَطِيبَ
قَلْبِكَ يَا سَيِّدِي الْقَاضِي ! »

غَيْرَ أَنْ قِيلْفُورَ قَالَ لَهُ : « أَنْصِتْ إِلَيَّ : بِمَقْدُورِكَ أَنْ تَثِقَ بِي بَعْدَ
الَّذِي فَعَلْتَهُ الْآنَ . وَسَتَبْقَى هُنَا اللَّيْلَةَ ، وَإِذَا اسْتَجُوبَكَ أَحَدٌ ،
فَلَا تُخْبِرُهُ بِشَيْءٍ عَنْ هَذِهِ الرَّسَالَةِ ، وَلَا تُنْطِقْ بِاسْمِ نَوَارْتِيهِه . »

« أَعِدْكَ سَيِّدِي الْقَاضِي . »

« أَهِيَ الرَّسَالَةُ الْوَحِيدَةُ الَّتِي كَانَتْ مَعَكَ ؟ »

« نَعَمْ . »

وَدَقَّ قِيلْفُورَ جَرَسًا أَمَامَهُ فَدَخَلَ أَحَدُ الْجُنُودِ ، فَأَمَرَ الْقَاضِي دَائِي
أَنْ يَتَّبِعَ الْجُنْدِيَّ . وَمَا إِنْ أَغْلَقَ الْبَابُ وَرَاءَهُمَا حَتَّى ارْتَمَى قِيلْفُورَ عَلَى
مَقْعَدٍ قَائِلًا : « أَهْكَذَا دَائِمًا يَا أَبِي تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ سَعَادَتِي ؟ تَرَى

مَاذَا كَانَ يَحْدُثُ لَوْ أَنَّ بَعْضَهُمْ قَدْ عَرَفَ أَمْرَ الرَّسَالَةِ ؟ أَلَا تَكُونُ هَذِهِ
هِيَ نِهَائِي ؟ لَكِنِّي عَلَيَّ أَنْ أَتَأَكَّدَ ، تَمَامًا ، أَنَّ أَحَدًا لَنْ يَعْرِفَ أَمْرَ تِلْكَ
الرَّسَالَةِ . »



الفصل الخامس السجن

أين ؟

اقتيدَ دائتي إلى حُجْرَةٍ صَغِيرَةٍ نَظِيفَةٍ ، بِهَا نافِذَةٌ وَاحِدَةٌ بِقُضْبَانٍ حَدِيدِيَّةٍ . وَحَلَّ الْمَسَاءُ ، وَمَعَهُ الظُّلَامُ ، وَجَلَسَ دائتي فِي الظُّلْمَةِ ، وَلَمْ يَكُنْ قَدْ فَقَدَ الْأَمَلَ تَمَامًا ، فَكَانَ دَائِمًا يُسْرِعُ صَوْبَ الْبَابِ مَعَ كُلِّ صَوْتٍ يَصِلُ إِلَى أُذُنَيْهِ مِنَ الْخَارِجِ .

وَفِي حَوَالِي الْعَاشِرَةِ كَانَ الْيَأْسُ قَدْ بَدَأَ يَتَمَلَّكُهُ لَكِنْ لَمْ تَمْضِ لَحْظَةٌ حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَسْمَاعِهِ وَقَعَ خُطُوبَاتٍ عِنْدَ الْبَابِ وَدَوْرَانُ الْمِفْتَاحِ فِيهِ .

وَدَخَلَ ضَابِطٌ وَمِنْ خَلْفِهِ أَرْبَعَةُ جُنُودٍ ، فَأَخَذُوهُ مَعَهُمْ إِلَى الْخَارِجِ ، ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهِ عَبْرَ طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَنْتَهَى بِهِمُ الْمَطَافُ إِلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ . وَكَانَ هُنَاكَ جُنُودٌ آخَرُونَ ، فَأَخَذُوا يَنْظُرُونَ إِلَى دائتي بِفُضُولٍ بَيْنَمَا كَانَ يَتَمُّ انْزَالُهُ فِي قَارِبٍ صَغِيرٍ سَرَّعَانَ مَا انْطَلَقَ بِهِ .

فِي الدَّقَائِقِ الْأُولَى غَمَرَ دائتي سُرُورٌ طَاغٍ وَهُوَ يَتَنَسَّمُ هَوَاءَ اللَّيْلِ الْمُنْعِشِ ، غَيْرَ أَنَّ إِحْسَاسًا بِالْحُزَنِ دَاخَلَهُ عِنْدَمَا جَاوَزَ الْقَارِبُ لَارِيْزِيرَفَ .

وَسَأَلَ : « إِلَى أَيْنَ تَقْتَادُونَنِي ؟ »

لَمْ يَتَلَقَ غَيْرَ رَدٍّ مُقْتَضِبٍ مِنْ كَلِمَتَيْنِ : « سَوْفَ نَعْرِفُ . »

فَحَاوَلَ أَنْ يَعْتَرِضَ قَائِلًا : « وَلَكِنْ ... »

غَيْرَ أَنَّ الضَّابِطَ عَاجِلُهُ يَقُولُهُ : « غَيْرَ مَسْمُوحٍ لَنَا أَنْ نُرَدَّ عَلَى آيَةِ
أَسْئَلَةٍ . »

وَأَتَابَتْهُ أَلْهَوَاجِسُ وَالْأَفْكَارُ السَّودَاءُ : أَمِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونُوا
مُتَّجِهِينَ بِهِ صَوْبَ نُقْطَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ الشَّاطِئِ ؟ أَلَيْسَ مِمَّا يَدْعُو إِلَى
الْأَطْمِئْنَانِ أَنَّ الْقَارِبَ صَغِيرٌ لَا يَقْوَى عَلَى الْإِبْحَارِ لِمَسَافَةِ طَوِيلَةٍ ؟
وَالْقَاضِي ، أَلَمْ يَهْدِئْ مِنْ رُوعِهِ وَيُنَبِّئَهُ بِأَنَّهُ لَا شَيْءَ يَدْعُوهُ إِلَى الْخَوْفِ
إِذَا لَمْ يُصْرَخْ بِأَسْمِ نَوَارْتِيهِ ؟ أَلَمْ يَكُنِ الرَّجُلُ كَرِيمًا مَعَهُ إِذْ أُخْرِقَ
أَمَامَهُ مُسْتَنَدَ إِدَائَتِهِ الْوَحِيدَ ؟

وَأَنْتَظِرُ دَائِتِي صَامِتًا مُحَاوِلًا التَّحْدِيقَ فِي الظَّلَامِ ، فَاسْتَشَفَّ أَتْهَمُ
يَتَّجِهُونَ بِهِ إِلَى غُرُضِ الْبَحْرِ بَعِيدًا عَنْ كُلِّ مَنْ هُوَ حَيِّبٌ إِلَى نَفْسِهِ .

وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَهْدَأَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَاتَّجَهَ إِلَى أَقْرَبِ جُنْدِيٍّ إِلَيْهِ
وَأَمْسَكَ يَدَهُ قَائِلًا : « مِنْ فَضْلِكَ يَا صَدِيقِي ، أَخْبِرْنِي إِلَى أَيْنَ نَحْنُ
ذَاهِبُونَ ؟ إِنْ أَسْمَعِي إِذْمُونِ دَائِتِي ، وَأَشْتَغِلْ بِحَارًا ، وَأُحِبُّ رَبِّي
وَمَلِكِي . قُلْ لِي : إِلَى أَيْنَ أَنْتُمْ مَاضُونَ بِي ؟ »

سَأَلَهُ الْجُنْدِيُّ بِدَهْشَةٍ : « كَيْفَ تَكُونُ مِنْ مَوَالِدِ مَارْسِيلِيَا ، وَتَعْمَلُ
بَحَارًا ، وَلَا تَعْرِفُ مَعَ ذَلِكَ إِلَى أَيْنَ أَنْتَ ذَاهِبٌ ؟ »

« أَنَا بِالْفِعْلِ لَا أَعْرِفُ شَيْئًا . »

« إِذَا تَلَفْتُ حَوْلَكَ . »

وَوَقَفَ دَائِتِي يَنْظُرُ أَمَامَهُ ، فَرَأَى عَلَى مَسَافَةِ مِثَّةٍ مِثْرَ صَخْرَةٍ عَالِيَةٍ .
تَبَيَّنَهَا فَإِذَا هِيَ تِلْكَ الصَّخْرَةُ السَّودَاءُ الرَّهِيْبَةُ الَّتِي شِيدَتْ عَلَيْهَا قَلْعَةُ
« إِف » الشَّهِيرَةِ ، وَهِيَ سِجْنٌ بَيْنِي مِنْذُ نَحْوِ ثَلَاثِمِئَةِ عَامٍ .

إِذَا فَهِنَا خَاتِمَةُ الْمَطَافِ ! هُنَا فِي هَذَا الْمَكَانِ الَّذِي تُرَوَى الْأَسَاطِيرُ
حَوْلَهُ وَحَوْلِ السُّجَنَاءِ الَّذِينَ يَدْخُلُونَهُ فَلَا يَعُودُونَ مِنْهُ أَبَدًا .

وَتَمَزَّقَتْ بِالنَّسْبَةِ لَهُ كُلُّ خُيُوطِ الْأَمَلِ فِي النَّجَاةِ .

قَلْعَةُ إِف

لَمْ يُصَدِّقْ دَائِتِي عَيْنِيهِ ، فَصَرَخَ : « لِمَاذَا نَحْنُ ذَاهِبُونَ إِلَى
هُنَاكَ ؟ » فَضَحِكَ الْجُنْدِيُّ .

وَمَضَى دَائِتِي قَائِلًا : « إِنَّكُمْ لَنْ تَسْجُنُونِي هُنَا . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟
إِنَّ هَذَا السَّجْنَ مُحَصَّصٌ فَقَطْ لِلْسُّجَنَاءِ الْخَطِيرِينَ ، أَعْدَاءِ الْمَلِكِ . ثَرَى
هَلْ ثَمَّةَ قُضَاةٍ فِي قَلْعَةِ إِف ؟ »

فَرَدَّ عَلَيْهِ الْجُنْدِيُّ : « أَيُّ قُضَاةٍ ؟ لَقَدْ رَأَاكَ الْقَاضِي وَاسْتَجَوَّبَكَ . »

« لَكِنَّ السَّيِّدَ فِيلْفُورَ وَعَدَنِي ... »

« لَسْتُ أَعْرِفُ شَيْئًا عَمَّا قَدَّمَهُ لَكَ السَّيِّدُ فِيلْفُورُ مِنْ وُعُودٍ لِكُنِّي
أَعْرِفُ شَيْئًا وَاحِدًا هُوَ أَنَّنا مَاضُونَ بِكَ إِلَى قَلْعَةِ إِف . »

فَقَزَّ دَائِي مُحَاوِلًا أَنْ يُلْقِيَ بِنَفْسِهِ فِي الْبَحْرِ ، فَصَاحَ الْجُنْدِيُّ طَالِبًا
الْتَّجِدَةَ . وَفِي الْحَالِ أَمْسَكَ بِدَائِي أَرْبَعَةُ رِجَالٍ أَشِدَّاءَ وَالْقَوَا بِهِ فِي قَاعِ
الْقَارِبِ وَهُوَ يَصِيحُ وَيُقَاوِمُ .

وَوَصَلَ الْقَارِبُ إِلَى الشَّاطِئِ ، فَقَزَزَ مِنْهُ جُنْدِيٌّ ، وَأَسْرَعَ الْبَاقُونَ
وَقَبَضُوا عَلَى ذِرَاعِي دَائِي وَأَكْرَهُهُ عَلَى صُعُودِ بَعْضِ الدَّرَجَاتِ ، ثُمَّ
مَرَّوْا مِنْ خِلَالِ بَابٍ أَغْلَقَ خَلْفَهُمْ ، وَأَحَسَّ أَنَّهُ فِي حُلْمٍ ، وَخَيَّلَ إِلَيْهِ
بِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَلْفُهُ الضُّبَابُ .

وَتَوَقَّفُوا لِحِظَةٍ ، وَرَاحَ دَائِي يُفَكِّرُ وَيَنْظُرُ حَوْلَهُ : وَجَدَ نَفْسَهُ فِي



فَنَاءٍ تُحِيطُ بِهِ الْجُدْرَانُ الْعَالِيَةُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ . وَوَصَلَ إِلَى أَسْمَاعِهِ
صَوْتُ أَقْدَامِ جُنُودٍ يَتَجَوَّلُونَ فِي نَوْبَةِ حِرَاسَةٍ .

وَأَنْتَظَرُوا عَشْرَ دَقَائِقَ ، بَعْدَ أَنْ أُطْلِقُوا ذِرَاعِي دَائِي ، فَقَدْ كَانُوا
مَوْقِنِينَ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ الْفِرَارُ .

وَأَرْتَفَعَ صَوْتُ يَقُولُ : « أَيْنَ السَّجِينُ ؟ أَمْ هُوَ أَنْتَ ؟ إِيْبَعْنِي . »

وَتَبِعَهُ دَائِي ، فَقَادَهُ صَاحِبُ الصَّوْتِ إِلَى حُجْرَةٍ تَقَعُ تَحْتَ
الْأَرْضِ . وَكَانَتْ الْمِيَاهُ تَسِيلُ عَلَى جُدْرَانِهَا عَلَى شَكْلِ قَطْرَاتٍ كَبِيرَةٍ ،
وَلَمْ يَسْتَطِعْ دَائِي أَنْ يَتَبَيَّنَ قَسَمَاتِ وَجْهِ الْحَارِسِ إِلَّا بِصُعُوبَةٍ ، عَلَى
صَوْنِ الْمَصْبَاحِ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ .

وَقَالَ الْحَارِسُ لِدَائِي : « تِلْكَ هِيَ حُجْرَتُكَ لِهَذِهِ اللَّيْلَةِ . الْوَقْتُ
مُنَآخِرٌ ، وَمَأْمُورُ السَّجْنِ نَائِمٌ ، وَغَدًا رُبَّمَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَنْقُلَكَ إِلَى مَكَانٍ
آخَرَ . لَكَدَيْكَ هُنَا خُبْزٌ وَمَاءٌ ، وَبَعْضُ الْحَشَائِشِ الْجَافَةِ لِتَنَامَ فَوْقَهَا .
تُصْبِحُ عَلَى خَيْرٍ . »

وَقَبْلَ أَنْ يَفْتَحَ دَائِي فَمَهُ بِكَلِمَةٍ ، وَقَبْلَ أَنْ يَرَى أَيْنَ وَضَعَ الْحَارِسُ
الْخُبْزَ وَالْمَاءَ ، أَوْ يَسْتَطِيعَ أَنْ يَتَبَيَّنَ مَوْضِعَ فِرَاشِهِ ، كَانَ الرَّجُلُ قَدْ
أَخْتَفَى بِمَصْبَاحِهِ الَّذِي يَحْمِلُهُ ، تَارِكًا دَائِي وَحْدَهُ فِي الظُّلَامِ
وَالصَّمْتِ .

وَمَعَ أَوَّلِ شُعَاعِ ضَوْءٍ مِنَ النَّهَارِ عَادَ الْحَارِسُ وَمَعَهُ أَوَامِرُ بَأْنِ يَظَلُّ
دَائِتِي كَمَا هُوَ فِي الْحُجْرَةِ ذَاتِهَا ، غَيْرَ أَنَّ الْحَارِسَ فُوجِئَ بِدَائِتِي كَمَا
تَرَكَهُ اللَّيْلَةُ الْمَاضِيَةَ . فَقَدْ أَمْضَى دَائِتِي اللَّيْلَ دُونَ أَنْ يَنَامَ . وَاقْتَرَبَ
الْحَارِسُ مِنْهُ فَلَمْ يَشْعُرْ بِهِ فَلَمَسَ ذِرَاعَهُ وَسَأَلَهُ : « أَلَمْ تَنَمْ ؟ »

أَجَابَهُ دَائِتِي : « لَا أَعْلَمُ ! »

نَظَرَ إِلَيْهِ الْحَارِسُ وَسَأَلَهُ : « أَلَسْتَ جَائِعًا ؟ »

« لَا أَعْلَمُ . »

« أَتَحْتَاجُ شَيْئًا ؟ »

« أُرِيدُ أَنْ أَقَابِلَ مَأْمُورَ السَّجْنِ . »

صَحِكَ الْحَارِسُ ضِحْكَةً قَصِيرَةً وَغَادَرَ الْحُجْرَةَ .

تَبِعَهُ دَائِتِي بِعَيْنَيْهِ ، وَمَدَّ ذِرَاعَيْهِ نَحْوَ الْبَابِ الْمَفْتُوحِ ، لَكِنَّ الْبَابَ
أَغْلَقَ لِتَوَهُ . عِنْدَئِذٍ جَاشَتْ نَفْسُهُ بِأَحَاسِيسٍ عَنيفَةٍ ، فَالْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى
الْأَرْضِ وَرَاحَ يَنْكِي سَائِلًا نَفْسَهُ مَا الَّذِي جَنَاهُ حَتَّى يَلْقَى تِلْكَ الْمُعَامَلَةَ
غَيْرَ الْكَرِيمَةِ .

وَمَضَى الْيَوْمَ دُونَ أَنْ يَذُوقَ شَيْئًا مِنَ الطَّعَامِ ، وَلَمْ يَكُفْ عَنِ الْغُدُوِّ

وَالرَّوَّاحِ دَاخِلَ حُجْرَتِهِ كَمَا لَوْ كَانَ وَحْشًا حَبِيسًا فِي قَفَصٍ .

وَجَاءَهُ الْحَارِسُ مَرَّةً أُخْرَى صَبَاحَ الْيَوْمِ الْتَالِي ، وَسَأَلَهُ : « أَتَمَّةٌ
تَحْسُنُ تُحَسُّ بِهَ الْيَوْمَ ؟ »

لَمْ يُجِبْ دَائِتِي .

فَمَضَى الْحَارِسُ قَائِلًا : « تَشْجَعُ يَا رَجُلُ . هَلْ تُرِيدُ شَيْئًا اسْتَطِيعُ
أَنْ أَفْعَلَهُ لَكَ ؟ »

« أُرِيدُ أَنْ أَقَابِلَ مَأْمُورَ السَّجْنِ . »

« هَذَا غَيْرُ مَسْمُوحٍ بِهِ . »

« مَا هُوَ الْمَسْمُوحُ بِهِ إِذَا ؟ »

« طَعَامٌ أَفْضَلُ ، إِذَا دَفَعْتَ ثَمَنَهُ ، وَكُتُبٌ ، وَالتَّجَوُّلُ فِي فِنَاءِ
السَّجْنِ . »

صَاحَ دَائِتِي : « لَا أُرِيدُ كُتُبًا ، وَالطَّعَامَ الَّذِي تُقَدِّمُونَهُ لِي جَيِّدٌ بِمَا
فِيهِ الْكِفَايَةُ ، أَمَّا التَّجَوُّلُ فَلَا رَغْبَةَ لِي فِيهِ ، كُلُّ مَا أُرِيدُهُ أَنْ أَقَابِلَ مَأْمُورَ
السَّجْنِ . »

قَالَ لَهُ الْحَارِسُ : « لَا تُبْلِحَ فِي طَلَبِ مَا لَا يُمَكِّنُكَ الْحُصُولَ عَلَيْهِ ،
وَلَا مَسَّكَ الْجُنُونُ فِي غُضُونِ شَهْرٍ . »



تُقابِلُ مأمورَ السَّجْنِ حالًا . «

وَخَرَجَ ، غَيْرَ أَنَّهُ سَرَّعَانَ مَا عَادَ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ مِنَ الْجُنُودِ ، وَصَاحَ فِيهِمْ : « بِنَاءً عَلَى أَوْامِرِ مَأمُورِ السَّجْنِ ، خُذُوا هَذَا السَّجْنِ ، وَضَعُوهُ فِي الْحُجْرَةِ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ هَذِهِ مُبَاشَرَةً . »

سَأَلَهُ وَاحِدٌ مِنَ الْجُنُودِ : « تَحْتَ الْأَرْضِ ؟ »

« نَعَمْ ، إِذْ لَا بُدَّ أَنْ نَجْمَعَ الْمَجَانِينَ مَعًا . »

« هَلْ تَنْظُرُ ذَلِكَ ؟ »

« لَسْتُ أَظُنُّهُ ، لَكِنِّي وَاثِقٌ مِنْهُ ، فَلَقَدْ كَانَ مَعَنَا هُنَا ، فِي هَذِهِ الْحُجْرَةِ ذَاتِهَا ، رَجُلٌ كَانَ دَائِمًا يَعْزِضُ عَلَى مُدِيرِ السَّجْنِ أَنْ يَمُنَّحَهُ كَنَازًا هَائِلًا فِي مُقَابِلِ الْإِفْرَاجِ عَنْهُ . »

« وَمَتَى غَادَرَ الْحُجْرَةَ ؟ »

« مِنْذُ سِتِّينَ . »

« هَلْ كَانَ ذَلِكَ إِفْرَاجًا عَنْهُ ؟ »

« كَلَّا بَلْ وَضِعَ فِي حُجْرَةٍ تَحْتَ الْأَرْضِ . »

« اِسْمَعْ ، إِنِّي لَسْتُ مَجْنُونًا . رَبُّمَا مَسَّنِي الْجُنُونُ فِيمَا بَعْدَ ، لَكِنِّي آلَانَ فِي كَامِلِ قَوَايِ الْعَقْلِيَّةِ ، وَلَا بُدَّ أَنْ أَرَى مَأمُورَ السَّجْنِ . »

قَالَ الْحَارِسُ وَهُوَ يَتَرَجَّعُ إِلَى الْوَرَاءِ خُطُوبَاتٍ : « إِنَّكَ فِي طَرِيقِكَ إِلَى الْجُنُونِ بِالتَّكَايِدِ . هَكَذَا بَدَأَ زَمِيلُكَ الَّذِي حَدَّثْتُكَ عَنْهُ . وَلَسَوْفَ نَلْقَى الْمَتَاعِبَ مِنْكَ فِي خِلَالِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، وَلَكِنْ هُنَاكَ الْأَمَاكِينُ الَّتِي ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّهَا تَقَعُ تَحْتَ الْأَرْضِ . »

كَانَ ثَمَّةَ مَقْعَدٍ بِالْقُرْبِ مِنْ دَائِثِي فَاثْمَسَكَ بِهِ وَرَفَعَهُ إِلَى أَعْلَى مُحَاوَلًا أَنْ يُحَطِّمَ بِهِ رَأْسَ الْحَارِسِ ، الَّذِي صَاحَ قَائِلًا : « يَا إِلَهِي ! نَعَمْ سَوْفَ

أَمْسَكَ الْجُنُودُ بِدَائِنِي ، فَذَهَبَ مَعَهُمْ بِهِدْوً . وَهَبَطُوا خَمْسَ عَشْرَةَ
دَرَجَةً حَتَّى وَصَلُوا إِلَى حُجْرَةٍ فَفَتَحُوا لَهُ بَابَهَا ، وَالْقُوا بِهِ فِيهَا ، ثُمَّ
أَغْلَقُوا عَلَيْهَا وَمَضُوا .

وَتَقَدَّمَ دَائِنِي إِلَى الْأَمَامِ وَقَدْ مَدَّ ذِرَاعِيهِ يَتَحَسَّسُ طَرِيقَهُ فِي الظَّلَامِ
حَتَّى لَمَسَ الْجِدَارَ . عِنْدَئِذٍ جَلَسَ عَلَى الْأَرْضِ فِي أَحَدِ الْأَرْكَانِ ، وَأَخَذَ
يَنْتَظِرُ حَتَّى أَلْفَتْ عَيْنَاهُ الظَّلَامَ .

كَانَ الْحَارِسُ مُصِيبًا : فَقَدْ أَوْشَكَ دَائِنِي أَنْ يُصَابَ بِالْجُنُونِ تَمَامًا .

الفصل السادس تَحْتَ الْأَرْضِ

المدير العام للسجون

مَضَتْ فِتْرَةٌ قَامَ بَعْدَهَا الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِالسُّجُونِ بِزِيَارَةِ لِسْجَنِ إِف .
وَكَانَ يَصِلُ إِلَى سَمْعِ دَائِنِي ، حَتَّى وَهُوَ تَحْتَ الْأَرْضِ ، أَصْوَاتُ
الترتباتِ وَالْأَسْتِعْدَادَاتِ الَّتِي تَتِمُّ لِاسْتِقْبَالِ تِلْكَ الشَّخْصِيَّةِ الْكَبِيرَةِ .
وَهِيَ أَصْوَاتٌ مَا كَانَ يُمَكِّنُ لِأَيِّ أُذُنٍ أَنْ تَلْتَقِطَهَا سِوَى أُذُنِي سَجِينٍ .
يَبْدُو أَنَّ سَجِينَنَا الْمَلْقَى تَحْتَ الْأَرْضِ كَانَ قَدْ أَصْبَحَ بِمَقْدُورِهِ فِي ذَلِكَ
الْحِينِ أَنْ يَلْتَقِطَ حَتَّى صَوْتَ قَطْرَةِ الْمَاءِ الَّتِي تَسْقُطُ كُلَّ سَاعَةٍ مِنْ سَقْفِ
الْحُجْرَةِ .

كَانَ دَائِنِي يَعْرِفُ أَنَّ ثَمَّةَ شَيْئًا غَيْرَ عَادِيٍّ يَحْدُثُ فِي عَالَمِ الْأَحْيَاءِ ،
غَيْرَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ قَدْ أَبْتَعَدَ مُنْذُ زَمَنِ عَنْ هَذَا الْعَالَمِ ، فَقَدْ بَاتَ يُؤْمِنُ
تَمَامًا أَنَّهُ لَمْ يَعُدْ وَاحِدًا مِنْهُمْ ، وَأَنَّ أُمُورَهُمْ لَمْ تُعُدْ تُهِمُّهُ . فَقَدْ صَارَ
يَنْتَمِي إِلَى عَالَمِ الْمَوْتَى .

وَتَسَاءَلَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُجُونِ : « مَنْ ذَا الَّذِي يَقْدِرُ عَلَى الْعَيْشِ
هُنَا ؟ »

« إِنَّهُ سَجِينٌ شَدِيدُ الْخَطَرِ أَمَرْنَا أَنْ تُشَدَّدَ الرِّقَابَةُ عَلَيْهِ . »

« هَلْ هُوَ وَحْدَهُ ؟ »

« طَبَعًا . »

« كَمْ مَضَى عَلَيْهِ مِنَ الْوَقْتِ فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ »

« حَوَالِي سَنَةٍ . »

« هَلْ وَضِعَ هُنَا مُنْذُ لَحْظَةٍ دُخُولِهِ السُّجْنَ ؟ »

« كَلَّا ، فَتَحْنُ لَمْ نَأْتِ بِهِ إِلَى هُنَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ حَاوَلَ قَتْلَ حَارِسِيهِ . »

« قَتَلَ حَارِسِيهِ ؟ ! »

« نَعَمْ ، ذَلِكَ الْحَارِسُ الَّذِي يَحْمِلُ الْمِصْبَاحَ ، أَلَيْسَ كَذَلِكَ
يَا الطُّوَّان ؟ »

« بَلَى يَا سَيِّدِي ، لَقَدْ حَاوَلَ قَتْلِي . »

« لَا بُدَّ أَنْ مَسَّا مِنْ الْجُنُونِ قَدْ أَصَابَهُ . »

وَقَدْ قَامَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُجُونِ بِزِيَارَةِ السُّجَنَاءِ الَّذِينَ رَشَّحَهُمْ مُدِيرُ
السُّجْنِ ، مِمَّنْ لَا يُخْشَى مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ ، مُتَوَسِّمًا فِيهِمْ هُدُوءَ الْمَسَلِكِ
وَالطَّبَاعِ . وَسَأَلَهُمُ الرَّجُلُ عَنِ الطَّعَامِ الَّذِي يُقَدَّمُ لَهُمْ ، وَعَمَّا إِذَا
كَانُوا يُرِيدُونَ أَيَّ شَيْءٍ ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى أَنَّ الطَّعَامَ رَدِيءٌ ، وَأَنَّهُمْ
لَا يُرِيدُونَ شَيْئًا غَيْرَ أَنْ يُطْلَقَ سَرَاحُهُمْ . فَلَمَّا سَأَلَهُمْ عَمَّا إِذَا كَانَ
يُرِيدُونَ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ ذَلِكَ ، كَانَ الْإِجْمَاعُ مُنْصَبًّا عَلَى أَنْ حُرِّيَّتَهُمْ هِيَ
حُلْمُهُمْ وَمَعْقِدُ آمَالِهِمْ ؛ إِذْ مَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يُرِيدُوا غَيْرَ أَنْ يُطْلَقَ
سَرَاحُهُمْ ؟

وَضَحِكَ الرَّجُلُ وَسَأَلَ مَأْمُورَ السُّجْنِ : « إِذَا كَانَ كُلُّ سَجِينٍ يَعَافُ
الطَّعَامَ الَّذِي يُقَدَّمُ لَهُ ، وَيَدَّعِي أَنَّهُ لَمْ يَفْعَلْ شَيْئًا يَسْتَحِقُّ بِسَبَبِهِ أَنْ
يُسَجَّنَ ، وَيَطْلُبَ إِطْلَاقَ سَرَاحِهِ ، فَمَا سَبَبُ حِرْصِ الْحُكُومَةِ عَلَى مِثْلِ
هَذِهِ الزِّيَارَاتِ ؟ »

وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ أَنْ تُعْطَى زيارتهُ كُلُّ السُّجَنَاءِ ؛ إِذَا سَأَلَ مَأْمُورَ
السُّجْنِ : « هَلْ ثَمَّةَ سُّجَنَاءَ آخَرُونَ ؟ » فَلَمَّا قِيلَ لَهُ إِنَّ هُنَاكَ الْخَطِيرِينَ
وَمَنْ مَسَّهُمُ الْجُنُونُ ، قَالَ عَلَى الْفَوْرِ : « هَلُمُّ بِنَا إِلَيْهِمْ ، فَمِنْ وَاجِبِي
أَنْ أَتَفَقَّدَ الْجَمِيعَ . »

أَرْسَلَ مَأْمُورُ السُّجْنِ فِي طَلَبِ جُنْدِيَّيْنِ ، وَهَبَّطَ الْجَمِيعَ دَرَجًا ،
فَاصْطَدَمُوا بِجَوْ خَانِقٍ رَهيبٍ ، وَظَلَامٍ أَشْتَمُوا فِيهِ رَائِحَةَ الْمَوْتِ .

« لَيْسَ مَجْنُونًا فَحَسْبُ ، بَلْ فِي غَايَةِ الشَّرِّ وَالْخُطُورَةِ أَيْضًا . »

« أَتَرَى أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أَقْدِمَ لِلْمَسْئُولِينَ تَقْرِيرًا عَنْهُ ؟ »

« لَيْسَ ثَمَّةَ مَا يَدْعُو إِلَى ذَلِكَ يَا سَيِّدِي ، فَلَنْ يَمْضِيَ عَامٌ إِلَّا وَيَكُونُ قَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ تَمَامًا . »

قَالَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُّجُونِ : « سَيَكُونُ ذَلِكَ أَفْضَلَ لَهُ كَثِيرًا ، إِذَا سَتَخَفَ حِدَّةَ مُعَانَاتِهِ . »

« أَنْتَ عَلَى حَقٍّ يَا سَيِّدِي . كَلِمَاتُكَ تُنبِئُ عَنْ أَنَّكَ قَدْ قَلَبْتَ الْأَمْرَ عَلَى كُلِّ وَجْهِهِ . وَفِي تِلْكَ الْحُجْرَةِ الَّتِي هُنَاكَ عَلَى بُعْدِ سِتَّةِ أَمْتَارٍ مِنْ هُنَا ، يَنْزِلُ زَعِيمٌ لِأَحَدِ الْأَحْزَابِ الْإِيطَالِيَّةِ . إِنَّهُ هُنَا مِنْذُ عَامِ ١٨١١ ، وَقَدْ فَقَدَ عَقْلَهُ بَعْدَ عَامَيْنِ مِنْ حَبْسِهِ . لَقَدْ كَانَ هَذَا أَفْضَلَ لَهُ ، إِذَا أَصْبَحَ الْآنَ شَدِيدَ الْهُدُوءِ . »

صَاحَ مُدِيرُ السُّجُونِ عَلَى الْفَوْرِ : « لَا بُدَّ أَنْ أَرَى كِلَيْهِمَا ، فَهَذَا وَاجِبِي . »

السَّجِينُ

كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ زِيَارَةِ الْمُدِيرِ الْعَامِّ لِلْسُّجُونِ ، وَقَدْ أَرَادَ أَنْ يُظْهِرَ أَهَمِّيَّتَهُ . قَالَ : « السَّجِينُ رَقْمُ ٣٤ : لِنَقَمِ بَرِيَارَتِهِ أَوَّلًا . »

كَانَ دَائِتِي قَابِعًا فِي أَحَدِ أَرْكَانِ حُجْرَتِهِ عِنْدَمَا سَمِعَ صَوْتَ الْمِفْتَاحِ يَدُورُ فِي الْبَابِ . فَرَفَعَ رَأْسَهُ ، وَرَأَى أَمَامَهُ شَخْصًا غَرِيبًا وَجُنْدِيَيْنِ يَصْحَبُهُمَا مَأْمُورُ السُّجُونِ وَقَدْ خَلَعَ قُبْعَتَهُ ؛ فَأَذْرَكَ دَائِتِي أَنَّ الزَّائِرَ الْغَرِيبَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ شَخْصِيَّةَ هَامَّةَ ، فَهَبَّ مِنْ مَكَانِهِ لِيَلْقَاهُ .

اغْتَرَضَهُ الْجُنْدِيَانِ ، وَحَمَلَاهُ عَلَى أَنْ يَتَرَجَعَ . وَشَعَرَ دَائِتِي أَنَّ الْمُدِيرَ الْعَامِّ لِلْسُّجُونِ قَدْ أَفْهَمَ أَنَّهُ رَجُلٌ خَطِرٌ ، فَبَدَأَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ مُحَاوَلًا أَنْ يَكُونَ رَقِيقَ الصَّوْتِ مُهَذَّبِ النَّظَرَاتِ إِلَى أَقْصَى حَدِّ مُمَكِنٍ لِيَمَسَّ قَلْبَهُ ، ثُمَّ اخْتَتَمَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « لَسْتُ أَسْأَلُ يَا سَيِّدِي غَيْرَ أَنْ تُخْبِرُونِي بِنَوْعِ الْجُرْمِ الَّذِي دَخَلْتُ السُّجْنَ بِسَبَبِهِ . كَمَا أُطَالِبُ بِالْمُثُولِ أَمَامَ أَحَدِ الْقَضَاةِ ، وَأَنْ أُعْرِفَ مَا الَّذِي سَيَحْدُثُ لِي . »

أَجَابَهُ الرَّجُلُ : « سَوْفَ نُبْحَثُ الْأَمْرَ . » ثُمَّ اتَّجَهَ إِلَى مَأْمُورِ السُّجُونِ الْوَاقِفِ إِلَى جِوَارِهِ وَقَالَ لَهُ : « يَنْبَغِي أَنْ تُطْلِعَنِي عَلَى كُلِّ مَا كُتِبَ فِي سِجِلَاتِكَ عَنْ هَذَا الْمَسْكِينِ . »

« نَعَمْ يَا سَيِّدِي ، سَوْفَ أَفْعَلُ ذَلِكَ . »

لَمْ يَعْأَ دَائِتِي بِالرُّجَالِ مِنْ حَوْلِهِ فَمَضَى فِي حَدِيثِهِ إِلَى الزَّائِرِ الْكَبِيرِ قَائِلًا : « أَنَا أَعْلَمُ يَا سَيِّدِي أَنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ أَنْ تُطْلِقَ سَرَاحِي ، لَكِنْ مِنْ فَضْلِكَ ، أَخْبِرْنِي عَلَى الْأَقْلَى أَنَّهُ لَا يَزَالُ ثَمَّةَ أَمَلٍ . »

« لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَقُولَ لَكَ هَذَا . كُلُّ مَا اسْتَطِيعَهُ هُوَ أَنْ أُعِدَّكَ

يَبْحَثُ أَمْرَكَ . مَنْ الَّذِي أَمَرَ بِإِدَاعِكَ السَّجْنِ ؟

« السَّيِّدُ فَيُلْفُور . »

« هَلْ لَدَيْهِ مَا يَدْعُو إِلَى أَنْ يَكُونَ عَدُوًّا لَكَ ؟ »

« كَلَّا يَا سَيِّدِي . لَقَدْ كَانَ رَقِيقًا جَدًّا مَعِي . »

« مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يُمَكِّنُنِي الْاِعْتِمَادَ عَلَى التَّقْرِيرِ الَّذِي كَتَبَهُ عَنْكَ ؟ »

« نَعَمْ . »

وَخَرَجَ الرَّجُلُ ، فَأَغْلَقُوا الْبَابَ وَرَاءَهُ ، وَلَكِنْ بَعْدَ أَنْ كَانَ قَدْ دَخَلَ
الْحُجْرَةَ شَيْءٌ جَدِيدٌ لَمْ يَكُنْ مُوجُودًا بِهَا مِنْ قَبْلُ : الْأَمَلُ

فَارِيا

عِنْدَ بَابِ حُجْرَةِ السَّجْنِ الْآخِرِ قَالَ مَأْمُورُ السَّجْنِ لِلزَّائِرِ الْكَبِيرِ :
« هُنَا يَعِيشُ السَّجْنِيُّ الْآخَرُ ، وَجُنُودُهُ أَشَدُّ غَرَابَةً . فَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ لَدَيْهِ
كَنْزًا عَظِيمًا يَتَّخِذُهُ دَائِمًا أَدَاةً لِلْمَسَاوِمَةِ . وَقَدْ عَرَضَ مَرَّةً عَلَى السُّلْطَانِ
الْحُكُومِيَّةَ مَبَالِغَ ضَخْمَةٍ مِنْ أَلْمَالِ إِذَا أَفْرَجُوا عَنْهُ : عَشْرَاتِ بُلِّ مِثَالِ
آلَافٍ . وَضَاعَفَ عَرْضَهُ مَرَّتَيْنِ ، الْأَمْرُ الَّذِي سَوْفَ يَفْعَلُهُ مَعَكَ
بِالْتَّكْيِيدِ يَا سَيِّدِي . إِنَّهُ سَوْفَ يَنْتَحِي بِكَ رُكْنَا ثُمَّ يَهْمِسُ فِي أُذُنِكَ
بِمَوْضُوعِ كَنْزِهِ الْعَظِيمِ . »

قَالَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُّجُونِ : « يَا لَهُ مِنْ أَمْرِ طَرِيفٍ ! مَا أَسْمُهُ ؟ »

« فَارِيا . »

« رَقْمُ ٢٧ ؟ »

« نَعَمْ ، هُنَا فِي هَذِهِ الْحُجْرَةِ . افْتَحِ الْبَابَ يَا أَنْطَوَان . »

وَفُتِحَ الْبَابُ وَدَخَلَ الزَّائِرُ الْكَبِيرُ وَمَعَهُ مَأْمُورُ السَّجْنِ يَتَّبِعُهُمَا
الْجُنْدِيَّانِ . وَاتَّجَهَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُّجُونِ إِلَى السَّجْنِيِّ الْمَجْنُونِ وَسَأَلَهُ
سُؤَالَهُ الْمُعْتَادَ : « هَلْ تُرِيدُ شَيْئًا ؟ »

« أَنَا ؟ أَنَا لَا أُرِيدُ شَيْئًا . »

قَالَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُّجُونِ : « لَقَدْ أُرْسَلْتَنِي الْحُكُومَةُ لِزِيَارَةِ
السَّجْنَاءِ ، وَتَبَيَّنَ أَحْتِيَاجَانِهِمْ . »

قَالَ فَارِيا : « إِذَا فَلَا أَمْرٌ يَخْتَلِفُ . اسْمِي فَارِيا ، وَقَدْ وُلِدْتُ فِي
رُومَا ، وَخَدَمْتُ الْأَمِيرَ سِتِّينَ سَنَةً عَشْرِينَ عَامًا ، وَسُجِنْتُ عَامَ ١٨١١
لِسَبَبٍ لَا أَعْرِفُهُ ، وَمُنْذُ ذَلِكَ التَّارِيخِ وَأَنَا أَلْتَمِسُ مِنَ السُّلْطَانِ مِرَارًا
وَتَكَرَّرًا الْإِفْرَاجَ عَنِّي . »

أَحْسَنَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُّجُونِ أَنَّ سُؤَالَهُ الَّذِي طَرَحَهُ عَلَى السَّجْنِيِّ
مُنْذُ لَحْظَةٍ سَوْفَ يَمْضِي بِلاَ إِجَابَةٍ لَوْ ظَلَّ السَّجْنِيُّ يَتَحَدَّثُ عَنْ نَفْسِهِ
عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ ، فَقَالَ لَهُ : « نَعَمْ ، نَعَمْ ، لَكِنِّي جِئْتُ لِأَعْرِفَ هَلْ
يُحْسِنُونَ هُنَا مُعَامَلَتَكَ أَوْ لَا ؟ »

صَاحَ السَّجِينُ : « إِنَّ الطَّعَامَ شَدِيدُ الرَّدَاءَةِ ، شَأْنُهُ فِي ذَلِكَ شَأْنُ
الطَّعَامِ فِي كُلِّ السُّجُونِ . وَالْعُرْفَةُ كَمَا تُرَى غَيْرُ صِحِّيةٍ — وَمَاذَا تَتَوَقَّعُ
فِي السَّجْنِ غَيْرَ ذَلِكَ ؟ أَنَا لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَحَدَّثَ إِلَيْكَ عَنْ هَذِهِ الْأُمُورِ .
إِنَّ ثَمَّةَ أُمُورًا مُهِمَّةً أُخْرَى أَوْدُ أَنْ أَفْصِحَ لَكَ عَنْهَا . »

قَالَ مَأْمُورُ السَّجْنِ : « أَعْرِفْ مَا تُرِيدُ أَنْ تَقُولَهُ . إِنَّهُ عَنْ كَنْزِكَ
أَهْلَائِلِ الْمَحْبُوءِ . أَلَيْسَ كَذَلِكَ ؟ »

فَنَظَرَ إِلَيْهِ فَارِيَا عَلَى نَحْوِ كَانَ كَفِيلًا بِإِقْنَاعِ أَيِّ شَخْصٍ آخَرَ أَنَّهُ
أُبْعِدَ مَا يَكُونُ عَنِ الْجُنُونِ .

ثُمَّ قَالَ : « طَبْعًا ؛ إِذَا مَا الَّذِي يُمَكِّنُ أَنْ أَتَحَدَّثَ فِيهِ غَيْرَ هَذَا ؟ »
وَأَتَتْهِ الزَّيَارَةُ لِيَتَقَى كُلَّ شَيْءٍ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ . وَظَلَّ فَارِيَا فِي
سِجْنِهِ مَجْنُونًا فِي رَأْيِ الْجَمِيعِ . أَمَّا دَانْتِي فَقَدْ أُنْجِزَ الْمُدِيرُ الْعَامُّ
لِلسُّجُونِ وَعْدُهُ لَهُ ، وَفَحَصَ سِجْلَ السَّجْنِ فَوَجَدَ مَكْتُوبًا مَا يَلِي :

« إِذْمُون دَانْتِي

رَجُلٌ خَطِرٌ . كَانَ يَعْمَلُ عَلَى عَوْدَةِ نَابُلْيُونِ مِنَ الْبَا . تُشَدَّدُ الرِّقَابَةُ
عَلَيْهِ إِلَى أَقْصَى حَدٍّ . »

وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْمُدِيرُ الْعَامُّ لِلْسُّجُونِ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لَهُ ، فَاسْتَقْبَلَهُ بِأَنْ
يَدُونَ أَمَامَ اسْمِهِ فِي السَّجَلَاتِ عِبَارَةً مُؤَدَّاهَا : « لَيْسَ هُنَاكَ مَا يُمَكِّنُ
عَمَلَهُ . »

الفصل السابع

السَّجِينُ رَقْمُ ٣٤

وَالسَّجِينُ رَقْمُ ٢٧

صوت في الجدار

مَضَتْ الْأَيَّامُ وَالْأَسَابِيعُ ، وَبَدَأُ دَانْتِي يَعْتَقِدُ أَنَّ زِيَارَةَ الْمُدِيرِ الْعَامِّ
لِلسُّجُونِ لَمْ تَكُنْ سِوَى خُلْمٍ .

كَانَ يَأْمُلُ أَنْ يَتِمَّ الْإِفْرَاجُ عَنْهُ بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ تِلْكَ الزَّيَارَةِ ، غَيْرَ أَنَّ
الشَّهْرَ مَضَى دُونَ أَنْ يَتَحَدَّثَ مَا كَانَ يَأْمُلُ فِيهِ ، فَقَالَ لِنَفْسِهِ : « لَا بُدَّ
أَنَّ الْمُدِيرَ الْعَامَّ مَشْغُولٌ آلَانَ بِزِيَارَةِ السُّجُونِ الْأُخْرَى ، وَمِنْ ثَمَّ لَنْ
يَسْتَطِيعَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا إِلَّا إِذَا رَجَعَ إِلَى بَارِيسَ ، الْأَمْرُ الَّذِي قَدْ يَسْتَعْرِقُ
مِنْهُ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ عَلَى الْأَقْلَى . »

لَكِنَّ الْأَشْهُرَ الثَّلَاثَةَ مَضَتْ دُونَ أَنْ يَتَحَقَّقَ الْأَمَلُ . وَرَاحَ الْوَقْتُ
يَمُضِي .

وَذَاتَ مَسَاءٍ ، حَوَالَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ ، وَصَلَ إِلَى سَمْعِ دَائِي
صَوْتُ آتٍ مِنَ الْجِدَارِ الْمُلاصِقِ لِفِرَاشِهِ ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ وَبَدَأَ يُصْغِي .
كَانَ الصَّوْتُ أَشْبَهَ بِصَوْتِ حَيَوَانٍ هَائِلٍ يَقْرُضُ الْحِجَارَةَ قَرْضًا . وَفِي
الْبِدَايَةِ ظَنُّهُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ سِوَى حُلْمٍ ، لَكِنَّ الصَّوْتُ مَضَى لِيَصِلَ إِلَى
أُذُنَيْهِ بِالْقُوَّةِ نَفْسِهَا حَتَّى ارْتَطَمَ شَيْءٌ بِالْأَرْضِ ، وَسَادَ بَعْدَ ذَلِكَ هُدُوءٌ
تَامٌ .

وَمَضَتْ عِدَّةُ سَاعَاتٍ لِيَعُودَ الصَّوْتُ مِنْ جَدِيدٍ ، لَكِنَّهُ كَانَ فِي هَذِهِ
الْمَرَّةِ أَقْرَبَ وَأَكْثَرَ وَضُوحًا . وَدَخَلَ الْحَارِسُ فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، فَخَافَ
دَائِي مِنْ أَنْ يَسْمَعَ الْحَارِسُ الصَّوْتُ ، فَيَمِزُقَ هَذَا الْخَيْطَ الْآخِيرَ مِنْ
خَيْوِطِ الْأَمَلِ .

كَانَ الْحَارِسُ قَدْ أُخْضِرَ لِدَائِي الْإِفْطَارَ ، فَأَخَذَ دَائِي يَصْرُخُ غَاضِبًا
مِنْ رَدَاءَةِ الطَّعَامِ وَبُرُودَةِ جَوْ الحُجْرَةِ . وَلَكِنَّ الْحَارِسَ وَضَعَ الطَّعَامَ
عَلَى الْمِنْضَدَةِ ، وَمَضَى إِلَى حَالِ سَبِيلِهِ .

وَعَادَ إِذْمُونُ دَائِي يُصْغِي مِنْ جَدِيدٍ : لَقَدْ صَارَتْ الْأَصْوَاتُ أَعْلَى
وَأَوْضَحَ . لَمْ يَشْكْ لَحْظَةً فِيمَا سَمِعَ ، وَأَخَذَ يَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ : إِمَّا
أَنَّهُ سَجِينٌ يُحَاوِلُ الْهَرَبَ ، أَوْ أَحَدُ الْعَمَالِ يُؤَدِّي عَمَلًا أَمَرَهُ بِهِ مَأْمُورُ
السَّجْنِ — فَكَيْفَ يَتِمَكَّنُ مِنْ أَنْ يَتَبَيَّنَ الْأَمْرُ ؟

كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ الضَّعْفِ حَدًّا أُعْجِزَهُ عَنِ التَّفَكُّيرِ ، وَمَعَ ذَلِكَ عَادَ

يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ : « إِذَا كَانَ أَحَدُ الْعَمَالِ يُؤَدِّي عَمَلًا وَخَبَطْتُ عَلَى
الْجِدَارِ ، فَسَوْفَ يَتَوَقَّفُ لَحْظَةً عَنِ الْعَمَلِ — لِيَتَبَيَّنَ كُنْهَ الْخَبْطَةِ —
ثُمَّ يَسْتَأْنِفُ عَمَلَهُ . أَمَّا إِذَا كَانَ سَجِينًا يُحَاوِلُ الْهَرَبَ ، فَإِنَّ الْخَبْطَةَ
سَتُخَفِّفُهُ ، وَسَيَتَوَقَّفُ عَنِ الْمُحَاوَلَةِ حَتَّى يَنَامَ الْجَمِيعُ . »

ذَهَبَ إِذْمُونُ إِلَى رُكْنٍ فِي الْحُجْرَةِ ، وَنَزَعَ قِطْعَةً مِنَ الْحَجَرِ وَرَاحَ
يَطْرُقُ بِهَا الْحَائِطَ الَّذِي تُصْدِرُ عَنْهُ الْأَصْوَاتُ ، وَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ
مَرَّاتٍ .

وَإِذَا بِالصَّوْتِ يَتَوَقَّفُ تَمَامًا . وَانْقَضَى الْيَوْمُ كُلُّهُ دُونَ أَنْ يَسْمَعَ
الصَّوْتُ مَرَّةً أُخْرَى .

« إِذَا لَا بُدَّ أَنَّهُ سَجِينٌ . »

وَتَأَكَّدَ لَهُ صِدْقُ اكْتِشَافِهِ الْمُبْهِجِ عِنْدَمَا حَلَّ الْمَسَاءُ ، وَجَاءَهُ
الْحَارِسُ يُقَدِّمُ لَهُ طَعَامَ الْعِشَاءِ .

فَقَدْ خَيَّلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ سَمِعَ صَوْتًا خَافِتًا فَالْصَقَ أُذُنُهُ بِالْحَائِطِ . مِنْ
الْمُؤَكَّدِ أَنَّ شَيْئًا مَا كَانَ يَحْدُثُ خَلْفَ الْجِدَارِ . كُلُّ مَا هُنَالِكَ أَنَّ
السَّجِينَ قَدْ اسْتَشْعَرَ الْخَطَرَ فَراحَ يَعْمَلُ فِي هُدُوءٍ شَدِيدٍ .

كُنْهٌ مِنَ الْخَشَبِ

أَحْسَّ دَائِي بِسَبَبِ هَذَا الْاِكْتِشَافِ بِفَرَحٍ يَغْمُرُهُ ، وَتَمَلَّكَهُ رَغْبَةٌ

فِي أَنْ يُقَدِّمَ الْعَوْنَ لِذَلِكَ السَّجِينِ ، فَحَرَّكَ سَرِيرَهُ مِنْ مَوْضِعِهِ ، ثُمَّ نَظَرَ
حَوْلَهُ فِي الْغُرْفَةِ يَبْحَثُ عَنْ شَيْءٍ حَادٍّ يُخْفِي بِهِ فِي الْجِدَارِ وَيَتَرَعَّ أَحَدَ
الْحِجَارَةِ مِنْ مَكَانِهِ . وَلَمْ يَجِدْ شَيْئًا ؛ إِذْ لَمْ يَكُنْ فِي الْحِجَرَةِ سِوَى
الْفِرَاشِ وَمَقْعَدٍ وَمِنْضَدَةٍ وَإِبْرِيْقٍ مَاءٍ . وَلَمَّا لَمْ يَجِدْ مَا يَصْلُحُ لِمِهْمَّتِهِ
غَيْرَ إِبْرِيْقٍ الْمَاءِ ، فَقَدْ أَلْقَى بِهِ عَلَى الْأَرْضِ فَتَنَاثَرَ قِطْعًا أَخْفَى مِنْهَا قِطْعَتَيْنِ
أَوْ ثَلَاثًا فِي فِرَاشِهِ .

وَعِنْدَمَا جَاءَهُ الْحَارِسُ صَبَاحَ الْيَوْمِ الْتَالِي ، بِأَدْرَهُ دَائِتِي وَأَخْبَرَهُ أَنَّ
إِنَاءَ الْمَاءِ الَّذِي يَسْتَحْدِمُهُ قَدْ سَقَطَ مِنْهُ وَهُوَ يَشْرَبُ . كَانَ إِمْرًا طَبِيعِيًّا
أَنْ يَغْضَبَ الْحَارِسُ لِلْإِنَاءِ الَّذِي تَهَشَّمَ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَقِطُنْ قِطْعًا إِلَى حَقِيقَةِ
الْأَمْرِ . صَحِيحٌ أَنَّهُ أَتَاهُمْ دَائِتِي بِالْإِهْمَالِ ، إِلَّا أَنَّهُ خَرَجَ فَأَحْضَرَ إِنَاءً
جَدِيدًا طَالِبًا مِنْ دَائِتِي أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَ حِرْصًا . ثُمَّ مَضَى دُونَ أَنْ يَهْتَمَّ
حَتَّى بِأَنْ يَأْخُذَ مَعَهُ قِطْعَ الْإِنَاءِ الْمُحْطَمِ .

كَانَ دَائِتِي سَعِيدًا وَهُوَ يَسْمَعُ صَوْتَ إِغْلَاقِ الْبَابِ ، وَظَلَّ يُصْنَعِي
حَتَّى خَفَّ وَقَعَ خُطُوَاتِ الْحَارِسِ ، وَبَدَأَ يَعْمَلُ . كَانَ الْجِدَارُ مُتَاكِلاً
يَفْعَلُ الزَّمَنُ فَتَسَاقَطَتْ مِنْهُ قِطْعٌ كَثِيرَةٌ صَغِيرَةٌ . وَبَعْدَ أَنْ مَضَتْ نِصْفُ
سَاعَةٍ مِنَ الْعَمَلِ ، كَانَ قَدْ فَرَّغَ مِنْ إِنْجَازِ الْكَثِيرِ ، وَبِحِسْبَةِ بَسِيطَةٍ
وَجَدَ أَنَّهُ كَانَ فِي اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يَشُقَّ نَفَقًا تَحْتَ الْأَرْضِ ، طَوْلُهُ سِتَّةُ
أَمْتَارٍ وَعَرْضُهُ نِصْفُ مِثْرٍ ، لَوْ عَمِلَ بِجِدِّ فِي السَّنَتَيْنِ الْآمَضَتَيْنِ .

وَأَتَابَتْهُ حَسْرَةٌ عَلَى كُلِّ ذَلِكَ الْوَقْتِ الَّذِي أَضَاعَهُ فِي الصَّرَاحِ
وَالْعَوِيلِ .

وَأَسْتَطَاعَ أُخِيرًا أَنْ يَنْتَزِعَ مِنَ الْجِدَارِ حَجَرًا كَانَ يَشْغُلُ فِيهِ فُرْجَةٌ
بِعَرْضِ نِصْفِ مِثْرٍ ، فَلَمَّا تَجَمَّعَتْ لَدَيْهِ كَمِيَّةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْأَثَرِيَّةِ بَدَأَ
يُعْطِي بِهَا أَرْضَ الْحِجَرَةِ ، ثُمَّ وَضَعَ الْحَجَرَ فِي مَوْضِعِهِ ، وَأَعَادَ فِرَاشَهُ
إِلَى مَكَانِهِ لِيُخْفِيَ بِهِ مَا فَعَلَ ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ الْحَارِسُ إِلَيْهِ بِوَجْهِةِ
الْعِشَاءِ .

وَمَا إِنْ غَادَرَ الرَّجُلُ الْحِجَرَةَ حَتَّى عَاوَدَ دَائِتِي الْعَمَلَ مِنْ جَدِيدٍ .
وَأَسْتَمَرَ يَعْمَلُ طَوَالَ اللَّيْلِ ، غَيْرَ أَنَّ دَائِتِي لَاحَظَ أَنَّ السَّجِينَ الَّذِي



بِالْعُرْفَةِ الْمُجَاوِرَةِ قَدْ تَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ . لَمْ يَضْعِفْ ذَلِكَ مِنْ عَزِيمَتِهِ ،
بَلْ عَلَى الْعَكْسِ مَضَى يَعْمَلُ بِقَدْرِ أَكْبَرَ مِنَ الْحِمَاسِ وَاضِعًا نُصْبَ عَيْنَيْهِ
أَنَّهُ إِذَا لَمْ يَأْتِ إِلَيْهِ جَارُهُ السَّجِينُ فَلْيَذْهَبْ هُوَ إِلَيْهِ .

وَأَسْتَأْنَفَ عَمَلَهُ خِلَالَ اللَّيْلَةِ التَّالِيَةِ . وَكَانَ فِكْرُهُ مَخْصُورًا فِي
السَّجِينِ الْآخِرِ . وَعَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ تَوَقَّفَ عَنِ الْعَمَلِ دُونَ رَجْعَةٍ أَمْ
أَنَّهُ سَيَعُودُ إِلَيْهِ . فَأَرْهَفَ أُذُنَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ إِلَّا صَدَى الصَّعْتِ ،
فَأَحْزَنَهُ ذَلِكَ ؛ إِذْ كَانَ مَعْنَاهُ أَنَّ جَارَهُ غَيْرُ مُطْمَئِنٍّ إِلَيْهِ . وَمَعَ ذَلِكَ فَإِنَّ
دَائِي لَمْ يَتَوَقَّفْ ، بَلْ مَضَى يَعْمَلُ فِي الْجِدَارِ طَوَالَ اللَّيْلِ دُونَمَا كَلَالٍ ،
إِلَى أَنْ اعْتَرَضَهُ مَا أَوْقَفَهُ عَنِ الْمَضِيِّ . كَانَ ثَمَّةَ شَيْءٍ عَجَزَ دَائِي عَنْ
أَنْ يَقْطَعَهُ أَوْ يُزِيلَهُ مِنْ طَرِيقِهِ .

وَكَانَ هَذَا الشَّيْءُ عِبَارَةً عَنْ كُنْهٍ خَشِيبَةٍ هَائِلَةٍ تَعْتَرِضُ الْحُفْرَةَ الَّتِي
قَامَ بِحَفْرِهَا مِمَّا سَدَّ الطَّرِيقَ تَمَامًا .

« مَنْ أَنْتَ ؟ »

لَمْ يَكُنِ الشَّابُّ الْبَائِسُ قَدْ فَكَّرَ فِي هَذِهِ الْعَقَبَةِ ، فَأَخَذَ يَضْرَعُ إِلَى
اللَّهِ قَائِلًا : « يَا إِلَهِي ! يَا إِلَهِي ! اقْبِضْنِي إِلَيْكَ ؛ فَقَدْ تَحَطَّمَتْ كُلُّ
أَمَالِي . »

وَجَاءَهُ صَوْتُ قَادِمٍ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ كَأَنَّهُ آتٍ مِنَ الْقَبْرِ : « مَنْ

ذَا الَّذِي يَتَحَدَّثُ عَنِ اللَّهِ ، وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ يَفْقِدُ الْأَمَلَ ؟ »

وَجَثَا إِذْمُونُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَقَالَ : « إِنَّهُ صَوْتُ ! صَوْتُ إِنْسَانٍ ! »
مُنْذُ زَمَنِ طَوِيلٍ لَمْ يَسْمَعْ إِذْمُونُ صَوْتَ إِنْسَانٍ ، فِيمَا عَدَا صَوْتُ مَأْمُورِ
السَّجِينِ وَالْمُدِيرِ الْعَامِّ وَالْحَارِسِ . وَحَارِسُ السَّجِينِ فِي نَظَرِ السَّجِينِ
لَا يُعَدُّ إِنْسَانًا ، إِنَّهُ مُجَرَّدُ بَابٍ خَيٍّ .

وَلَمَّا كَانَ إِذْمُونُ يَخْشَى أَلَّا يَصِلَ إِلَيْهِ صَوْتُ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ مَرَّةً
أُخْرَى ، فَقَدْ صَرَخَ : « بِحَقِّ السَّمَاءِ تَكَلَّمْ . تَكَلَّمْ ثَانِيَةً . »

وَجَاءَهُ الصَّوْتُ عَمِيقًا يَسْأَلُ : « مَنْ أَنْتَ ؟ »

« سَجِينٌ نَعَسٌ . »

« لِمَاذَا سُجِنْتَ ؟ »

« لَا أَعْرِفُ ، فَإِنِّي لَمْ أُرْتَكِبْ ذَنْبًا . »

« إِذَا مَا هِيَ التُّهْمَةُ الْمَوْجَّهَةُ إِلَيْكَ ؟ »

« أَنِّي حَاوَلْتُ أَنْ أُسَاعِدَ نَابِلْيُونَ عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى فَرَنْسَا . »

« تُعِيدُهُ إِلَى فَرَنْسَا ؟ مَاذَا تَعْنِي ؟ أَلَمْ يَعُدْ هُوَ حَاكِمَ فَرَنْسَا ؟ »

« نَعَمْ ! لَقَدْ نُفِيَ إِلَى جَزِيرَةِ إلْبَا عَامَ ١٨١٤ . يَبْدُو أَنَّكَ لَمْ تُعَاصِرْ

هَذِهِ الْأَحْدَاثُ . مُنْذُ مَتَى وَأَنْتَ هُنَا ؟

« أَنَا هُنَا مُنْذُ عَامِ ١٨١١ . »

« أَنْتَ هُنَا قَبْلِي بِأَرْبَعِ سِنَوَاتٍ إِذَا . »

« كَفَّ الْآنَ عَنِ الْعَمَلِ . أُرِيدُ أَنْ أُعْرِفَ مَدَى عُلوِّ الثُّغْرَةِ الَّتِي تَحْفِرُهَا بِالنَّسْبَةِ إِلَى أَرْضِ الْغُرْفَةِ . »

« إِنَّهَا بِمُحَاذَةِ الْأَرْضِ . »

« وَكَيْفَ تُخْفِي الثُّغْرَةَ ؟ »

« بِفِرَاشِي . »

« عَلَى أَيِّ شَيْءٍ يَفْتَحُ بَابُ غُرْفَتِكَ ؟ »

« عَلَى الْمَمَرِّ الَّذِي يَقُودُ إِلَى الْفِنَاءِ . »

« أَمْرٌ مُؤَسِفٌ ! لَقَدْ أَخْطَأْتُ فِي تَقْدِيرَاتِي ، إِذْ أَتَيْتُ عَمَّا رَسَمْتُهُ بِخَمْسَةِ أَمْتَارٍ فَأَخْطَأْتُ الْجِدَارَ ، وَظَنَنْتُهُ الْجِدَارَ الْخَارِجِيَّ لِلْسَّجْنِ . »

« إِذَا فَجِدَارُكَ يُطْلُ عَلَى الْبَحْرِ ؟ »

« ذَلِكَ مَا كُنْتُ أَمَلُّ . »

« أَنَا رَقْمُ ٢٧ »

قَالَ دَائِتِي : « وَلِنَفْتَرِضَ أَنَّ خُطَّتَكَ الَّتِي رَسَمْتَهَا قَدْ نَجَحَتْ وَتَقَبَّتِ الْجِدَارَ . »

أَجَابَ فَأَرَا : « كُنْتُ سَأَلْتَنِي بِنَفْسِي فِي الْبَحْرِ مُحَاوِلًا أَنْ أُسَبِّحَ إِلَى جَزِيرَةٍ مِنْ تِلْكَ الْجُزُرِ الْقَرِيبَةِ : « جَزِيرَةُ تَيْبُولِنِ أَوْ جَزِيرَةُ دُومِ . » وَهَلْ تَسْتَطِيعُ السَّبَاحَةَ كُلَّ هَذِهِ الْمَسَافَةِ ؟ »

« كَانَ اللَّهُ سَيِّمِدُنِي وَقَتَهَا بِالْقُوَّةِ ، أَمَّا الْآنَ فَلَا أَمَلٌ . »

« هَلْ تُعْنِي حَقِيقَةُ أَنَّهُ لَا أَمَلٌ ؟ »

« نَعَمْ ، وَعَلَيْكَ أَنْ تَسُدَّ ثُغْرَةَ الْجِدَارِ بِدِقَّةٍ ، وَتَوَقَّفَ تَمَامًا عَنِ الْعَمَلِ إِلَى أَنْ أُخْبِرَكَ . »

صَاحَ إِذْمُونُ : « أَلَا تُخْبِرُنِي مَنْ أَنْتَ عَلَى الْأَقْلَى ؟ »

« أَنَا رَقْمُ ٢٧ . »

« إِذَا فَأَنْتَ لَا تَثِقُ بِي ؟ »

وَحَيَّلَ لِإِذْمُونِ أَنْ ضِحْكَةً خَرَجَتْ مِنْ فَمِ الرَّجُلِ الْمَجْهُولِ ، فَقَالَ وَهُوَ يَخْشَى أَلَّا يَتَحَدَّثَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ مَرَّةً أُخْرَى : « أَعِدْكَ أَلَّا أَقُولَ شَيْئًا »

عَنكَ لِلْحَرَّاسِ ، وَلَكِنْ يَرِيكَ لَا تُثْرِكُنِي وَخُذِي . »

أَجَابَهُ صَاحِبُ الصَّوْتِ : « وَهُوَ كَذَلِكَ . إِلَى الْقَدِّ إِذَا . »

رَجَعَ إِذْمُون ، وَسَدَّ الثُّغْرَةَ ، ثُمَّ رَاحَ يُخْفِي بِعَيْنَيْهِ بَقَايَا الْحِجَارَةِ
الَّتِي أَنْتَزَعَهَا مِنَ الْجِدَارِ . وَبَعْدَ ذَلِكَ أَعَادَ الْفِرَاشَ إِلَى مَوْضِعِهِ .

وَكَانَ دَائِتِي فِي فِرَاشِهِ ، عِنْدَمَا دَخَلَ الْحَارِسُ فِي الْمَسَاءِ فَلَمْ يَلْحَظْ
شَيْئًا .

وَفِي صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِي أَرَاخَ إِذْمُونُ فِرَاشَهُ بَعِيدًا عَنِ الْجِدَارِ فَسَمِعَ
الصَّوْتَ مِنْ جَدِيدٍ ، فَرَكَعَ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَسَأَلَ : « أَهوَ أَنْتَ ؟ إِنَّنِي
هُنَا . »

« هَلْ خَرَجَ الْحَارِسُ ؟ »

« نَعَمْ ، وَلَنْ يَعُودَ قَبْلَ الْمَسَاءِ . أَمَامَنَا اثْنَتَا عَشْرَةَ سَاعَةً . »

« يَوْسُفِي إِذَا أَنْ أَعْمَلَ . »

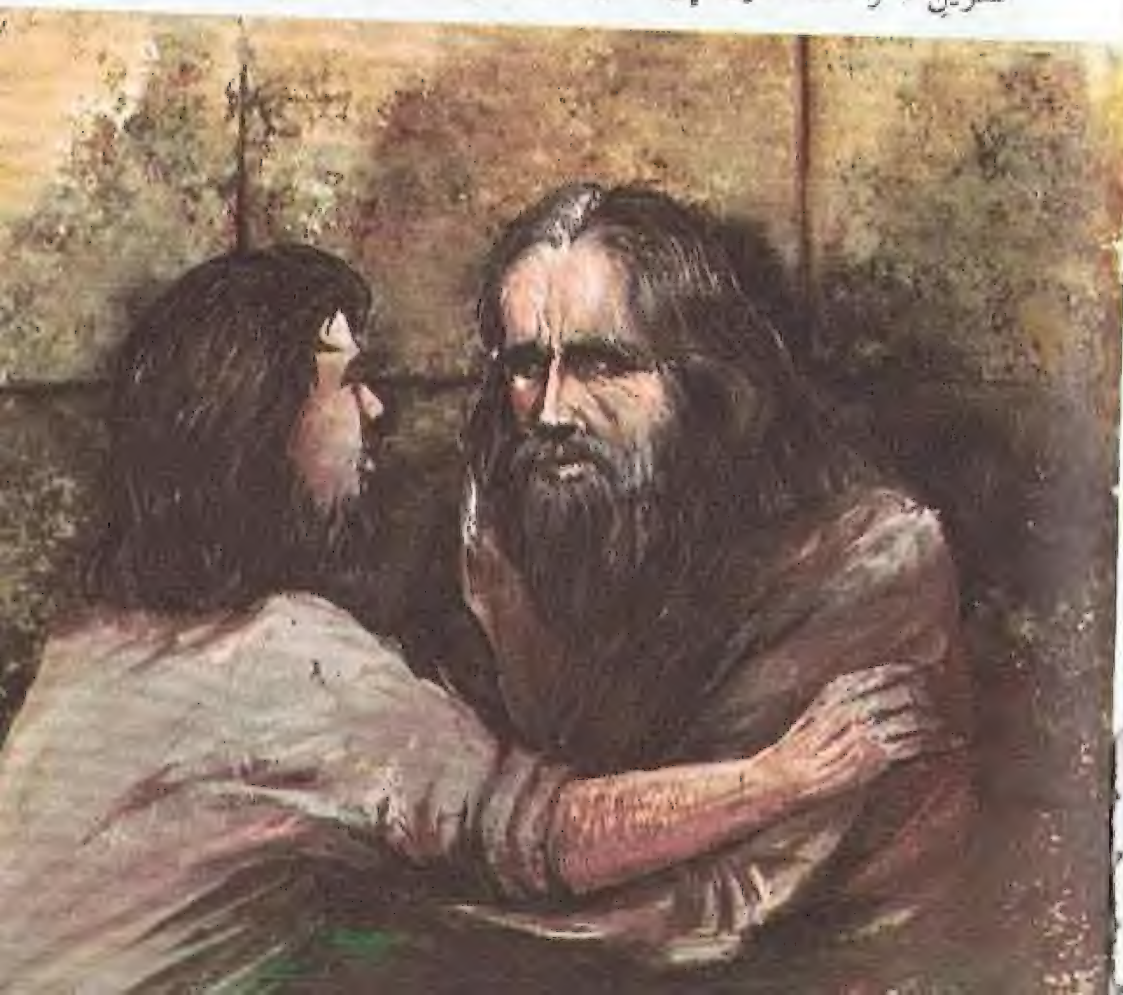
وَفِي الْحَالِ شَعَرَ دَائِتِي بِالْأَرْضِ ، حَيْثُ كَانَ يَسْتَنِدُ بِيَدَيْهِ ، تَنْهَارُ ،
فَارْتَدَّ بِسُرْعَةٍ إِلَى الْوَرَاءِ . وَإِذَا بِكَمِّيَّةٍ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالتُّرَابِ تَنْهَالٍ
لِتُظْهِرَ مِنْ أَعْمَاقِ الْحُفْرَةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُ مَدَى عُمُقِهَا ، ذِرَاعًا رَجُلٍ
وَرَأْسَهُ . وَصَعِدَ الرَّجُلُ إِلَى حُجْرَةِ دَائِتِي .

الفصل الثامن

سَيِّدُ مُقَفِّ مِنْ إِيطَالِيَا

صَدِيقُ أَخِيرًا

مَدَّ دَائِتِي ذِرَاعِيَهُ لِلصَّدِيقِ الَّذِي كَانَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ كُلِّ هَذَا الْوَقْتِ
الطَّوِيلِ ، وَحَمَلَهُ تَقْرِيبًا إِلَى التَّافِذَةِ لِيَتَسَنَّى لَهُ رُؤْيَةُ وَجْهِهِ جَيِّدًا .



كَانَ رَجُلًا ضَعِيفَ الْجِسْمِ ، أَيْضَ الشَّعْرِ مِنْ قَرِطٍ مَا عَانَاهُ ، وَلَيْسَ
بِسَبَبِ الشَّيْخُوخَةِ ، ذَا عَيْنَيْنِ غَائِرَتَيْنِ وَلَحْيَةٍ طَوِيلَةٍ سَوْدَاءَ ، وَلَمْ تَكُنْ
تَظْهَرُ عَلَيْهِ عَلَامَاتُ الْقُوَّةِ الْجَسَدِيَّةِ ؛ إِذْ كَانَ مِمَّنْ يَعْمَلُونَ بِعُقُولِهِمْ
لَا بِأَيْدِيهِمْ .

وَقَدْ مَسَّتْ قَلْبَهُ الْمَوَدَّةُ الْخَارَةُ الَّتِي اسْتَقْبَلَتْ بِهَا دَائِي ، فَرَأَى بِشُكْرِهِ
عَلَى رِقَّتِهِ رَغَمَ كُلِّ الْعَنَاءِ الرَّهيبِ الَّذِي تَحْمَلُهُ فِي سَبِيلِ الْفِرَارِ مِنْ
جَحِيمِ السَّجْنِ إِلَى فُضَاءِ الْحُرِّيَّةِ وَالْهَوَاءِ الطَّلَقِ ، وَالَّذِي لَمْ يُودَّ بِهِ
فِي النَّهَائِيَةِ إِلَّا إِلَى حُجْرَةٍ أُخْرَى .

قَالَ الرَّجُلُ : « يَجِبُ أَوَّلًا أَنْ نُخْفِيَ مَعَالِمَ مَا صَنَعْنَاهُ ، وَنَتَأَكَّدَ أَنَّ
الْحَارِسَ لَنْ يَكْتَشِفَ مَمَرَّنَا السَّرِّيَّ . »

وَاتَّجَهَ إِلَى الْفَتْحَةِ ، فَأَخَذَ الْحَجَرَ وَرَفَعَهُ بِيَدَيْهِ بِلَا عَنَاءٍ ، ثُمَّ أَعَادَهُ
إِلَى مَكَانِهِ وَثَبَّتَهُ بِأَحْكَامٍ قَائِلًا لِدَائِي : « لَمْ تَكُنْ حَرِيصًا وَأَنْتَ تَقْتُلِعُ
هَذَا الْحَجَرَ مِنْ مَكَانِهِ . مَاذَا اسْتُخْدِمَتْ فِي أَقْتِلَاعِهِ ؟ »

وَأَرَاهُ دَائِي قَطَعَ الْإِبْرِيْقَ الْمُهَشَّمَةَ .

وَلَمْ يُبِدِ الرَّجُلُ اسْتِحْسَانًا لِلأَدَوَاتِ الَّتِي اسْتُخْدِمَتْهَا دَائِي فِي عَمَلِهِ ،
وَأَخْبَرَهُ أَنَّ لَدَيْهِ أَدَوَاتٍ أَفْضَلَ مِنْهَا ، صَنَعَهَا مِنْ أَجْزَاءِ أَخْذِهَا مِنْ
سَرِيرِهِ ، وَاسْتَطَاعَ أَنْ يَشُقَّ بِهَا مَمَرًا طَوِيلَهُ سِتَّةَ أُمْتَارٍ عَلَى الْأَقْلَى ، وَهُوَ

طَوَّلَ الْمَسَافَةَ بَيْنَ حُجْرَتِهِ وَحُجْرَةِ دَائِي .

قَالَ : « وَمَعَ ذَلِكَ فَمِنْ الْوَاضِحِ أَنِّي لَمْ أُحْطِطْ لِلْأَمْرِ جَيِّدًا ؛ إِذْ
إِنَّ هَذَا الْمَمَرَ لَمْ يَكُنْ لِيُودِّي بِي فِي النَّهَائِيَةِ إِلَّا إِلَى فَنَاءٍ يَقْصُرُ
بِالْجُنُودِ . »

قَالَ دَائِي : « هَا أَنْتَ قَدْ وَصَلْتَ إِلَى هَذِهِ الْحُجْرَةِ غَيْرَ جِدَارٍ مِنْ
جُدُرِهَا ، فَلِمَ لَا نَشُقَّ طَرِيقًا تَحْتَ وَاحِدٍ مِنْ جُدُرِهَا الثَّلَاثَةِ الْأُخْرَى ؟
أَتُدْرِي مَاذَا يَوْجَدُ خَارِجَهَا ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « ثَمَّةَ جِدَارٍ مُلَاصِقٍ لِلصَّخْرَةِ ، وَلَنْ نَسْتَطِيعَ أَنْ
نَفْعَلَ شَيْئًا إِزَاءَهُ . وَثَمَّةَ جِدَارٍ ثَانٍ مُلَاصِقٍ لِلْجُزْءِ السُّفْلِيِّ لِبَيْتِ مَأْمُورِ
السَّجْنِ ، وَسَوْفَ يَنْتَهِي بِنَا الْأَمْرُ إِلَى أَنْ يَقْبِضُوا عَلَيْنَا لَوْ اسْتَطَعْنَا أَنْ
نُحْتَرِقَهُ . بَقِيَ الْجِدَارُ الثَّلَاثُ ، وَهُوَ جِدَارٌ لَا أَعْرِفُ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ
يُطْلُ ؟ »

التَّافِذَةُ

لَمْ يَكُنْ بِالْجِدَارِ ، الَّذِي رَأَى الْاِثْنَانِ يُنْظَرَانِ إِلَيْهِ ، سِوَى نَافِذَةٍ عَالِيَةٍ
جِدًّا وَصَغِيرَةٍ لِلْعَايَةِ ، لِدَرَجَةٍ لَا تَسْمَحُ إِلَّا بِمُرُورِ طِفْلِ مِنْهَا ، حَتَّى لَوْ
لَمْ تَكُنْ مَزُودَةً بِقُضْبَانٍ ثَلَاثَةِ قُوِيَّةٍ تَجْعَلُ مُرُورَ هَذَا الطِّفْلِ أَمْرًا أَشَدَّ
صُعُوبَةً .

وَقَدْ أُتِيحَ لِي أَنْ أَرَى الْجُزْءَ الْعُلَوِيِّ مِنْ رَأْسِ الْجُنْدِيِّ مِمَّا جَعَلَنِي أَنْزِلُ
بِسُرْعَةٍ خَشِيَّةً أَنْ يَرَانِي .

وَسَأَلَ دَانْتِي : « مَا الْعَمَلُ إِذَا ؟ »

أَجَابَهُ : « كَمَا تَرَى ، لَمْ يَعْذُ مُمَكِّنَا أَنْ تَهْرَبَ غَيْرَ أَيِّ جِدَارٍ فِي
هَذِهِ الْحُجْرَةِ . »

حَيَاةُ فَارِيَا

نَظَرَ دَانْتِي بِدَهْشَةٍ بِالْعَةِ إِلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الَّذِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَتَخَلَّى
بِسُهُولَةٍ عَنِ الْأَمَلِ الَّذِي اسْتَمَدَّ هُوَ مِنْهُ الْقُوَّةَ عِدَّةَ سَنَوَاتٍ . وَقَالَ لَهُ :
« أَخْبِرْنِي أَرْجُوكَ ، مَنْ أَنْتَ ؟ وَمَاذَا كُنْتَ تَعْمَلُ ؟ »

أَجَابَ الرَّجُلُ : « سَأُخْبِرُكَ . اسْمِي فَارِيَا ، وَقَدْ سُجِنْتُ هُنَا فِي قَلْعَةٍ
إِفْ مُنْذُ عَامِ ١٨١١ . وَكُنْتُ قَبْلَ ذَلِكَ التَّارِيخِ ، وَلِمُدَّةِ ثَلَاثِ
سَنَوَاتٍ سَجِينًا فِي سِجْنِ فِينِسْتَرِيل . »

« لَكِنْ لِمَاذَا أَنْتَ هُنَا ؟ »

« أَنْتَ تَعْرِفُ أَنَّ إِيْطَالِيَا مُقَسَّمَةٌ إِلَى عَدَدٍ مِنَ الْأَقَالِيمِ الصَّغِيرَةِ ،
وَلِكُلِّ إِقْلِيمٍ حَاكِمُهُ الْمُسْتَقِلُّ . وَكَانَتْ أُمْنِيَّتِي تَوْحِيدَ إِيْطَالِيَا لِتُصْبِحَ
دَوْلَةً وَاحِدَةً كَبِيرَةً يَحْكُمُهَا مَلِكٌ عَظِيمٌ وَاحِدٌ . وَقَدْ اعْتَقَدْتُ أَنِّي



دَفَعْتُ الرَّجُلَ بِالْمِنْضَدَّةِ غَيْرَ الْحُجْرَةِ وَأَوْقَفْتُهَا تَحْتَ النَّافِذَةِ ، ثُمَّ طَلَبْتُ
مِنْ دَانْتِي أَنْ يَصْعَدَ فَوْقَهَا مُوَلِّيًا ظَهْرَهُ لِلْحَائِطِ وَعَاقِدًا يَدَيْهِ مِنَ الْأَمَامِ .
وَقَفَرْتُ هُوَ إِلَى الْمِنْضَدَّةِ وَمِنْهَا إِلَى يَدَيَّ دَانْتِي ، وَمِنْ يَدَيَّ دَانْتِي إِلَى عُنُقِهِ
حَتَّى بَلَغَ النَّافِذَةَ . وَوَضَعْتُ رَأْسَهُ بَيْنَ الْقَضْبَانِ لِيَرَى الْجِدَارَ كُلَّهُ مِنَ
الْخَارِجِ . غَيْرَ أَنَّهُ سَرَّعَانَ مَا سَحَبَ رَأْسَهُ إِلَى الدَّخِيلِ قَائِلًا : « لَقَدْ
صَدَّقَ ظَنِّي . » وَهَبْتُ بِسُرْعَةٍ وَسُهُولَةٍ كَمَا صَعِدَ ، الْأَمْرُ الَّذِي أَدهَشَ
دَانْتِي جَدًّا وَهُوَ يَرَى عَجُوزًا فِي مِثْلِ عُمْرِهِ يَتَحَرَّكُ بِمِثْلِ هَذِهِ السَّرْعَةِ
وَالْيَسْرِ .

تَبَدَّدَتْ دَهْشَةُ دَانْتِي عِنْدَمَا قَالَ السَّجِينُ رَقْمُ ٢٧ : « إِنَّ هَذَا الْجِدَارَ
يُطْلَلُ عَلَى طَرِيقٍ مَكْشُوفٍ يَقُومُ عَلَى حِرَاسَتِهِ أَحَدُ الْجُنُودِ لَيْلَ نَهَارٍ ،

وَجَدْتُ ذَلِكَ الْمَلِكَ الْعَظِيمَ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَكُنْ غَيْرَ رَجُلٍ أَحْمَقَ . فَقَدْ
رَاحَ يُنْصِتُ لِي لِيَعْرِفَ خُطَّتِي ثُمَّ يَتَحَلَّصَ مِنِّي بَعْدَ ذَلِكَ . وَآلَانَ أَظُنُّ
أَنَّهُ بَاتَ مِنَ الْمُسْتَحِيلِ إِنْجَازُ ذَلِكَ الْعَمَلِ الْعَظِيمِ . لَقَدْ بَدَأَ نَابِلِيُونَ
الْعَمَلَ لِتَوْحِيدِ إِيطَالِيَا ، لَكِنَّهُ لَمْ يُتِمَّ عَمَلُهُ . لَقَدْ كَانَتْ إِيطَالِيَا سَيِّئَةً
الْحَظُّ . »

الفصل التاسع خِجْرَةُ فَارِيَا

الحكمة

مَرَّ الصَّدِيقَانِ بِسُهُولَةٍ دَاخِلِ الثَّقَفِ وَأَزَاحَ فَارِيَا حَجَرًا مُثَبَّتًا فِي
الْأَرْضِ فَتَمَكَّنَا مِنَ الدُّخُولِ إِلَى حُجْرَتِهِ .

وَمَا إِنَّ دَخَلَ دَانْتِي الْحُجْرَةَ حَتَّى نَظَرَ حَوْلَهُ فِي دَهْشَةٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ
يَجِدْ شَيْئًا غَيْرَ عَادِيٍّ فِيهَا ، فَقَالَ : « ثَمَّةَ شَيْءٍ لَا أَزَالُ عَاجِزًا عَنْ فَهْمِهِ
وَهُوَ : كَيْفَ نَسْتَى لَكَ أَنْ تُنَجِّزَ هَذَا الْقَدَرِ أَهَائِلَ مِنَ الْعَمَلِ خِلَالَ
النَّهَارِ ؟ »

أَجَابَ فَارِيَا : « إِنِّي أَعْمَلُ فِي اللَّيْلِ أَيْضًا . »

« فِي اللَّيْلِ ؟! هَلْ لَكَ عَيْنَا قَطُّ تَحْتَرِقَانِ الظَّلَامَ ؟ »

« كَلَّا بِالطَّبَعِ ! لَكِنَّ اللَّهَ قَدْ مَنَحَ الْإِنْسَانَ عَقْلًا يَسْتَطِيعُ بِهِ أَنْ يُدَبِّرَ
حَاجَاتِهِ ؛ وَعَلَى هَذَا فَقَدْ صَنَعْتُ لِنَفْسِي مِصْبَاحًا . »

وَقَالَ كَلِمَاتِهِ الْأَخِيرَةَ بِحُزْنٍ عَمِيقٍ .

قَالَ دَانْتِي : « أَوَدُّ أَنْ أَرَى السَّرْدَابَ الَّذِي أُعِدَّ لَهُ . »

قَالَ فَارِيَا : « اتَّبِعْنِي إِذَا . » وَهَبَطَ إِلَى الْمَمَرِ الَّذِي جَاءَ مِنْهُ حَيْثُ
غَابَ بِسُرْعَةٍ عَنِ الْأَنْظَارِ .

وَتَبِعَهُ دَانْتِي .

« صَنَعْتُ مِصْبَاحًا ! وَكَيْفَ اسْتَطَعْتُ أَنْ تُوفِّرَ لَهُ الْوَقُودَ ؟ »

« حَصَلْتُ عَلَى الْوَقُودِ مِنَ الزَّيْتِ الَّذِي يُقَدِّمُونَهُ لَنَا فِي الطَّعَامِ ،
وَاسْتَشْفْتُ أَنَّهُ وَقُودٌ جَيِّدٌ . » وَأَمْسَكَ فَارِيَا بِالْمِصْبَاحِ الَّذِي صَنَعَهُ
وَقَدَّمَهُ إِلَى دَائِي قَائِلًا : « هَا هُوَ ذَا مِصْبَاحِي ! »

وَجَلَسَا يَتَحَدَّثَانِ . وَكَانَتْ كَلِمَاتُ فَارِيَا تَفِيضُ عِلْمًا وَحِكْمَةً ،
وَكَانَ دَائِي يُصْغِي إِلَى كُلِّ كَلِمَةٍ مُنْذِهِشًا ؛ إِذْ كَانَ فَارِيَا يَتَحَدَّثُ أَحْيَانًا
عَنْ أَشْيَاءَ يَعْرِفُهَا دَائِي جَيِّدًا كَبَحَّارٍ ، بَيْنَمَا كَانَ أَحْيَانًا أُخْرَى لَا يَفْهَمُ
عَلَى الْإِطْلَاقِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَتَحَدَّثُ عَنْهَا .

وَسَأَلَهُ دَائِي : « هَلْ لَكَ أَنْ تُعَلِّمَنِي شَيْئًا مِمَّا تُعَلِّمُ حَتَّى لَا تُضَيِّقَ
بِي ؟ إِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّ رَجُلًا فِي مِثْلِ عِلْمِكَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ سَعِيدًا سِوَاءَ
أَكَانَ وَحْدَهُ أَوْ جَلَسَ مَعَ إِنْسَانٍ مِثْلِي يَكَادُ جَهْلُهُ يَكُونُ مُطِيقًا . فَإِذَا
قُمْتُ بِدَوْرِ الْمُعَلِّمِ وَاسْتَطَعْتُ أَنَا بِدَوْرِي أَنْ أَكُونَ تَلْمِيزًا ذَكِيًّا ؛ فَإِنَّ
الْوَقْتَ سَوْفَ يَمُضِي سَرِيعًا دُونَ أَنْ يُصِيبَكَ سَأَمٌ مِنْ وُجُودِي
مَعَكَ . »

قَالَ فَارِيَا : « لَيْسَتْ الْمَعْرِفَةُ صَعْبَةً يَا بُنَيَّ ؛ إِذْ إِنَّ سَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ
تُكْفِيَانِ لِتَقْلٍ مَا فِي رَأْسِي مِنْ مَعْلُومَاتٍ إِلَى رَأْسِكَ . »

صَاحَ دَائِي : « سَتَيْنِ !؟ هَلْ تُعْنِي أَنَّهُ يُمَكِّنُنِي خِلَالَ سَتَيْنِ أَنْ

أُحْمِلَ فِي رَأْسِي كُلَّ مَا تُعْرِفُهُ أَنْتَ ؟ »

« إِنَّ الْإِلْمَامَ بِالْحَقَائِقِ أَمْرٌ سَهْلٌ ، لَكِنَّ ثَمَّةَ فَرْقًا كَبِيرًا بَيْنَ الْعِلْمِ
وَبَيْنَ أَنْ تُعْرِفَ . رُبَّمَا لَا يَخْتَاجُ الْأَمْرُ مِنْكَ إِلَّا لِسَتَيْنِ اثْنَتَيْنِ كَيْمَا
يَسْتَنْبِرَ رَأْسُكَ بِالْعِلْمِ ؛ أَمَّا أَنْ تُعْرِفَ مَا تُعَلِّمُهُ ، أَوْ أَنْ تَفْهَمَهُ فَهَمًّا
حَقِيقِيًّا ، أَوْ تَسْتَرْشِدَ بِهِ فِي حَيَاتِكَ ، فَذَلِكَ أَمْرٌ يَسْتَعْرِقُ الْعُمُرَ كُلَّهُ .
أَنَا مَثَلًا لَنْ أَكْفَ عَنْ طَلَبِ الْعِلْمِ حَتَّى غُرُوبِ شَمْسِ حَيَاتِي . »

فَسَأَلَهُ دَائِي : « وَمَا الَّذِي سَتُعَلِّمُنِيهِ أَوَّلًا ؟ وَمَتَى تَبْدَأُ ؟ »

فَاجَابَهُ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « فِي الْحَالِ ، إِذَا أُرِدْتُ . »

كَانَ دَائِي ذَكِيًّا لَمَاحًا سَرِيعَ الْفَهْمِ إِذَا تُعَلِّمَ شَيْئًا لَمْ يَتَسَنَّأْ قَطُّ .
وَتُعَلِّمَ عَلَى يَدِ فَارِيَا بِسُرْعَةٍ وَسُهولةٍ ؛ فَرَأَى يَدْرُسُ تَارِيخَ الْعَالَمِ ، وَاللُّغَةَ
الْإِنْجِلِيزِيَّةَ ، وَأَشْيَاءَ أُخْرَى كَثِيرَةً .

وَمَعَ مُضَيَّ الزَّمَنِ ، صَارَ دَائِي إِنْسَانًا جَدِيدًا ، عَلَى حِينٍ لَمْ يَكُنْ
الْأَمْرُ كَذَلِكَ بِالنَّسْبَةِ لِفَارِيَا . فَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَجِدُ مَنفعةً كَبِيرَةً
فِي صُحْبَةِ دَائِي وَتُعَلِيمِهِ ، فَإِنَّهُ كَانَ يَزْدَادُ حُزْنًا يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ .

كَانَتْ ثَمَّةَ فِكْرَةٍ تُشْغَلُ ذَهْنُهُ ، وَكَانَ يَجْلِسُ أَحْيَانًا صَامِتًا بِضَعِّ
سَاعَاتٍ . ثُمَّ بَدَأَ يُغْدُو وَيَرُوحُ دَاخِلَ حُجْرَتِهِ الضَّيِّقَةِ . وَفِي النَّهَائَةِ أَطْلَعَ
دَائِي عَلَى خُطَّةٍ رَسَمَهَا لَهُوْبِيهِمَا مَعًا . وَكَانَتْ الْخُطَّةُ تُشْمَلُ رَسْمًا

لِحَجَرَتِهِ وَحُجْرَةِ إِذْمُون ، ثُمَّ الْمَمَرَّ السُّفْلِيَّ الَّذِي قَامَا بِحُفْرِهِ . وَفِي هَذَا الْمَمَرِّ السُّفْلِيَّ سَوَفَ يَحْفِرَانِ نَفَقًا آخَرَ يَمْتَدُّ أَسْفَلَ الطَّرِيقِ الَّذِي يَذْرَعُهُ جُنُودُ الْحِرَاسَةِ جِيئَةً وَذَهَابًا . وَكَانَ هَذَا الطَّرِيقُ مَصْنُوعًا مِنْ كُتْلٍ حَجَرِيَّةٍ ضَخْمَةٍ .

شَرَحَ فَارِيزَا لِدَانِيَّيِ الْخُطَّةَ قَائِلًا : « سَوَفَ نُزِيلُ التُّرَابَ مِنْ تَحْتِ وَاحِدٍ مِنْ تِلْكَ الْحِجَارَةِ حَتَّى يُصْبِحَ آيَلًا لِلسَّقُوطِ ، ثُمَّ نَسْنُدُهُ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْخَشَبِ ، وَعِنْدَمَا تُكُونُ مُتَاهِبِينَ لِلْهَرُوبِ نَنزِعُ قِطْعَةَ الْخَشَبِ حَتَّى إِذَا مَا جَاءَ الْحَارِسُ وَمَرَّ فَوْقَ الْحَجَرِ سَقَطَ فِي النَّفَقِ . عِنْدَئِذٍ يُمَكِّنُكَ أَنْ تَقْبِضَ عَلَيْهِ وَتَشُدَّ وَثَاقَهُ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ الْإِفْلَاتُ أَوْ الصَّرَاحُ ، وَعِنْدَئِذٍ يُمَكِّنُنَا الْوُصُولُ إِلَى الْبَحْرِ ، وَمِنْ هُنَاكَ نَسْبَحُ إِلَى إِحْدَى الْجُزُرِ الْقَرِيبَةِ . »

مَرَضٌ رَهِيْبٌ

وَبَدَأَ الْعَمَلُ فِي الْيَوْمِ الْتَالِيِ ، وَكَانَا لَا يَتَوَقَّعَانِ عَنِ الْعَمَلِ إِلَّا لِيَعُودَ كُلُّ مِنْهُمَا إِلَى حُجْرَتِهِ قَبْلَ مَقْدَمِ الْحَارِسِ يَحْمِلُ مَعَهُ إِحْدَى وَجَبَاتِ الطَّعَامِ . كَانَتْ أَسْمَاعُهُمَا يَقْطَعُ لَأَقْلَ صَوْتٍ يَصْدُرُ عَنْ أَقْدَامِهِ وَهِيَ تَقْتَرِبُ مِنْهُمَا هَابِطَةً دَرَجَاتِ السَّلَمِ ، الْأَمْرُ الَّذِي أَتَاخَ لَهُمَا أَنْ يَكُونَا دَائِمًا مُسْتَعِدَّيْنِ لِلِقَائِهِ .

أَمَّا مُحَلَّفَاتُ الْحَفْرِ فَكَانَا يُحَوِّلَانِهَا إِلَى تُرَابٍ نَاعِمٍ يُلْقِيَانِ بِهِ مِنْ

التَّافِذَةِ فِي اللَّيْلِ فَتَذَرُوهُ الرِّيَّاحُ .

وَأَخِيرًا ثُمَّ حَفَرَ الطَّرِيقَ السُّفْلِيَّ ، وَظَلَّ الْحَجَرُ فِي مَكَانِهِ مُعَدًّا لِلسَّقُوطِ فِي الْوَقْتِ الْمُحَدَّدِ عِنْدَمَا يَتَأَهَّبَانِ لِلْهَرُوبِ . وَوَصَلَ إِلَى أَسْمَاعِيهِمَا صَوْتُ وَقَعَ نُحْطَوَاتِ الْحَارِسِ وَهُوَ يَغْدُو وَيَرُوحُ فَوْقَ رَأْسَيْهِمَا .

وَكَانَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَنْتَظِرَا لَيْلَةً حَالِكَةً السَّوَادِ تُعِينُهُمَا عَلَى الْهَرَبِ ، وَكَانَتْ خَشْيَتُهُمَا الْكُبْرَى أَنْ يَسْقُطَ الْحَجَرُ قَبْلَ الْمَوْعِدِ الْمُحَدَّدِ . وَأَنْشَغَلَ دَانِيَّيِ فِي تَدْعِيمِهِ بِحَجَرٍ آخَرَ ، عَلَى حِينِ مَكَثَ فَارِيزَا فِي حُجْرَةِ إِذْمُونِ . وَفَجْأَةً سَمِعَهُ إِذْمُونُ يُطْلِقُ صَيْحَةً أَلَمٍ حَادَّةً ، فَاسْرَعَ إِلَيْهِ لِيَجِدَهُ وَاقِفًا فِي مُتَنَصِّفِ الْحُجْرَةِ وَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ شُحُوبَ الْمَوْتِ .

صَاحَ دَانِيَّيِ : « مَا الْأَمْرُ ؟ مَاذَا حَدَثَ ؟ »

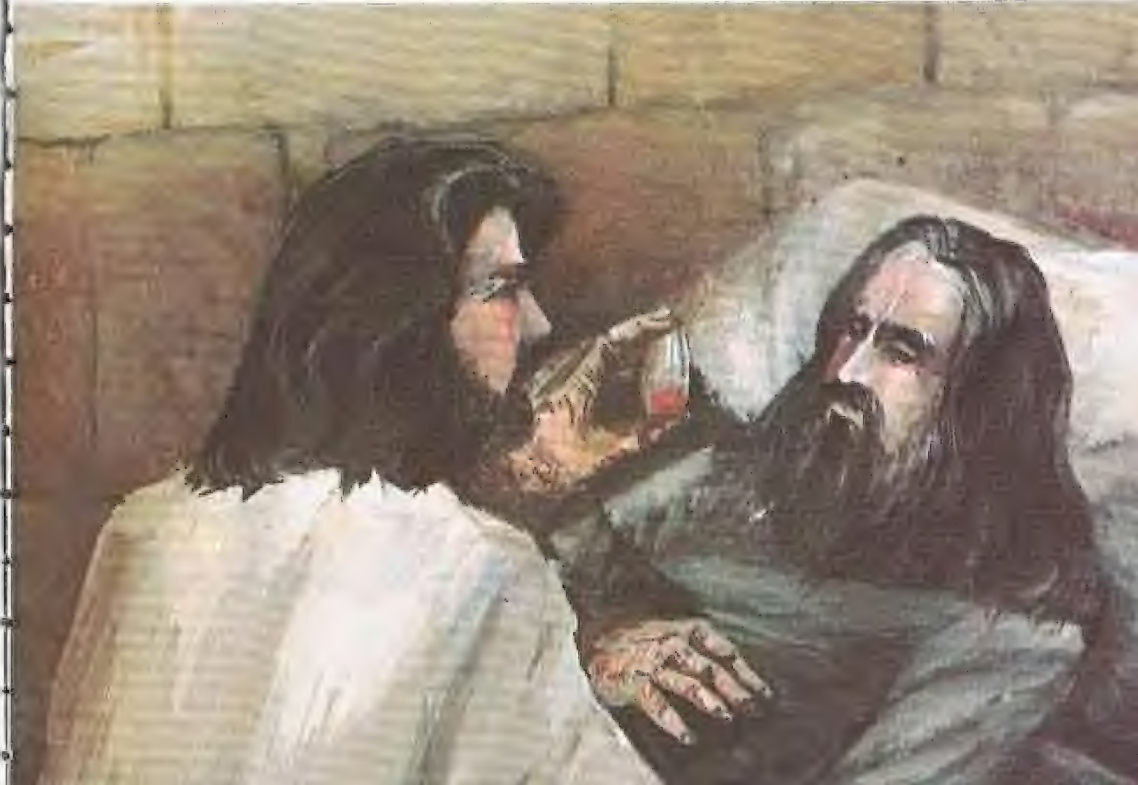
أَجَابَهُ فَارِيزَا : « اسْرِعْ يَا إِذْمُونُ ، وَأَنْصَبْ جِيدًا إِلَى مَا سَأَقُولُهُ . » نَظَرَ دَانِيَّيِ إِلَى وَجْهِ فَارِيزَا بِخَوْفٍ وَدَهْشَةٍ لِمَا أَصَابَهُ . كَانَتْ عَيْنَاهُ غَائِمَتَيْنِ تُحِيطُ بِهِمَا دَوَائِرُ عَمِيقَةٍ زُرْقَاءَ ، أَمَّا بَشَرَتُهُ فَقَدْ كَانَتْ أَشْبَهَ بِبَشَرَةِ رَجُلٍ مَيِّتٍ .

قَالَ فَارِيزَا : « دَانِيَّيِ أَصْغِرْ إِلَيَّ . لَقَدْ أَصِيبْتُ بِمَرَضٍ رَهِيْبٍ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقْضِيَ عَلَيَّ . إِنِّي أَحْسُ بِهِ يَتَشَبَّهُ فِي جَسَدِي بِسُرْعَةٍ . »

وَلَقَدْ سَبَقَ أَنْ أُصِيبْتُ بِهِ قَبْلَ أَنْ أَوْدَعَ السَّجْنَ بَعَامٍ . وَثَمَّةَ شَيْءٍ وَاجِدٍ
يَنْبَغِي عَمَلُهُ : أَنْ تُعِينَنِي عَلَى الْعَوْدَةِ إِلَى حُجْرَتِي وَأَنَا لَا أَزَالُ مُتَمَسِكًا .
وَأَسْحَبُ إِحْدَى الْأَرْجُلِ الَّتِي تُحْمِلُ سَرِيرِي ، وَسَتَجِدُ نَحْتَهَا فَتَحَةً
بِدَاخِلِهَا قَارُورَةٌ صَغِيرَةٌ بِهَا سَائِلُ أَحْمَرَ . »

كَانَ دَائِي قَدْ تَعَوَّدَ عَلَى مُوَاجَهَةِ الْأَخْطَارِ الْمُفَاجِئَةِ ، فَجَذَبَ فَارِيَا
بِسُرْعَةٍ عَبْرَ النَّفَقِ وَهُوَ يَتَحَدَّثُ إِلَيْهِ ، لِيَعُودَ بِهِ إِلَى حُجْرَتِهِ وَيَرْفُقَهُ عَلَى
فِرَاشِهِ .

وَشَكَرَهُ الرَّجُلُ الْمِسْكِينُ الَّذِي سَرَتْ الْبُرُودَةُ فِي جِسْمِهِ كَمَا لَوْ
كَانَتْ دِمَاؤُهُ قَدْ تَجَمَّدَتْ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : « عَلَيَّ الْآنَ أَنْ أُحَدِّثَكَ عَنْ
مَرَضِي . إِنَّ الَّذِي يَحْدُثُ هُوَ أَنَّهُ عِنْدَمَا يَتَلَعُّ ذِرْوَتَهُ فَإِنِّي أَرْقُدُ



بِلا حَرَكَ وَتَتَابَعِي بُرُودَةُ كِبْرُودَةِ الْمَوْتِ . عِنْدَ ذَلِكَ وَلَيْسَ قَبْلَهُ ، افْتَحَ
فَمِي عَنُودَ وَصَبَّ ثَمَانِي قَطْرَاتٍ أَوْ عَشْرًا مِنْ هَذَا السَّائِلِ الْأَحْمَرِ ،
وَأَنْتَظِرُ لَعَلِّي أُسْتَرِدُّ عَافِيَتِي . »

وَلَمْ يَسْتَطِعْ فَارِيَا أَنْ يَمْضِيَ فِي حَدِيثِهِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ؛ إِذْ ظَهَرَتْ
عَلَى وَجْهِهِ زُرْقَةُ الْمَوْتِ .

وَأَنْتَظَرُ دَائِي حَتَّى بَدَأَ فَارِيَا كَأَنَّهُ قَدْ مَاتَ ، عِنْدَيْهِ فَتَحَ فَمَهُ عَنُودَ ،
وَرَاحَ يَصُبُّ فِيهِ تِسْعَ قَطْرَاتٍ مِنَ السَّائِلِ الْأَحْمَرِ .

وَتَرَقَّبَ فَرِعًا مَا سَيَحْدُثُ ...

وَمَضَتْ سَاعَةٌ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ شَيْءٌ . وَلَمْ يَبْدُ عَلَى الْجَسَدِ الْمُمَدَّدِ
أَيَّ بَصِيصٍ مِنَ الْحَيَاةِ . غَيْرَ أَنَّ الْوَجْهَ فِي النَّهَائِيَةِ بَدَأَ يَسْتَرِدُّ بَعْضًا مِنْ
لَوْنِهِ ، وَأَخَذَتِ الْحَيَاةُ تَدَبُّ فِي الْعَيْنَيْنِ الْمَفْتُوحَتَيْنِ الْغَائِمَتَيْنِ . وَشَرَعَ
الْمَرِيضُ يُحَاوِلُ أَنْ يَتَحَرَّكَ .

« لَا تُفْقِدِ الْأَمَلَ »

لَمْ يَكُنْ فِي اسْتِطَاعَةِ الرَّجُلِ الْمَرِيضِ أَنْ يَتَكَلَّمَ ، إِلَّا أَنَّهُ أَشَارَ إِلَى
الْبَابِ وَالْخَوْفِ فِي عَيْنَيْهِ ، وَأَصْغَى دَائِي فَسَمِعَ خُطُواتِ أَقْدَامِ الْحَارِسِ
بُوضُوحٍ . وَكَانَ الْخَوْفُ قَدْ طَرَدَ مِنْ رَأْسِهِ كُلَّ تَفْكِيرٍ فِي مَوَاعِيدِ
الْحَارِسِ .

وَقَفَزَ الشَّابُّ إِلَى الْفُتْحَةِ الْمُوصَلَةِ لِلْحُجْرَتَيْنِ ، فَتَرَخَ الْحَجَرَ الَّذِي
يَسُدُّ الْفُوْهَةَ ، وَأَسْرَعَ إِلَى حُجْرَتِهِ ، وَمَا إِنْ بَلَغَهَا حَتَّى فَتَحَ الْحَارِسُ
الْبَابَ ، وَدَخَلَ لِيَجِدَ سَجِينَهُ كَعَادَتِهِ جَالِسًا عَلَى حَافَةِ الْفِرَاشِ .

تَرَكَ دَائِي طَعَامَهُ دُونَ أَنْ يَمْسَهُ ، وَمَا إِنْ سَمِعَ صَوْتَ الْفِتْحَةِ
وَهُوَ يُغْلِقُ الْبَابَ حَتَّى أَسْرَعَ عَائِدًا إِلَى غُرْفَةِ فَارِيَا . رَفَعَ الْحَجَرَ بِرَأْسِهِ
وَأَصْبَحَ مِنْ فُورِهِ بِجَوَارِ فِرَاشِ الرَّجُلِ الْمَرِيضِ .

وَتَذَكَّرَ فَارِيَا أَيْنَ هُوَ ، وَأَصْبَحَ بِمَقْدُورِهِ الْكَلَامُ ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَائِرَ
الْقَوَى .

قَالَ لِدَائِي : « لَمْ أَكُنْ أَتَوَقَّعُ أَنْ أَرَكَ مَرَّةً أُخْرَى . »

فَسَأَلَهُ الشَّابُّ : « وَلَمْ لَا ؟ هَلْ ظَنَنْتَ أَنَّكَ سَتَمُوتُ ؟ »

« لَمْ أَفَكِّرْ فِي هَذَا ، لَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مُعَدٌّ لِهَرُوبِكَ ،
فَاعْتَقَدْتُ أَنَّكَ أَتَهَيَّزُ الْفُرْصَةَ وَتَجُوتُ بِنَفْسِكَ . »

ظَهَرَ الْعُضْبُ وَاضِحًا فِي عَيْنِي دَائِي فَقَالَ : « هَلْ ظَنَنْتَنِي حَقِيرًا
لِدَرَجَةِ أَنْ أَهْرَبَ بِدُونِكَ ؟ »

قَالَ الرَّجُلُ الْعَجُوزُ : « كَانَ فِكْرِي مُشَوِّشًا . وَقَدْ أَتَى هَذَا الْمَرَضُ
عَلَى كُلِّ قَوَايِ تَقْرِيًا . »

قَالَ دَائِي : « لَا تَفْقِدِ الْأَمَلَ ، فَسَوْفَ تَسْتَرِدُّ عَافِيَتَكَ . » ثُمَّ جَلَسَ
بِجَوَارِ فَارِيَا عَلَى فِرَاشِهِ ، وَرَاحَ يُدَلِّكُ يَدَيْهِ الْبَارِدَتَيْنِ .

قَالَ فَارِيَا : « لَا ! إِنْ صَحَّحْتِي فِي تَذَهُّورٍ ، وَذَلِيلِي عَلَى ذَلِكَ أَنْ
الْمَرَضَ عِنْدَمَا هَاجَمَنِي أَوَّلَ مَرَّةٍ ، لَمْ تَسْتَمِرَّ النَّوْبَةُ غَيْرَ نِصْفِ سَاعَةٍ ،
وَعِنْدَمَا انْتَهَتْ لَمْ أَحِسَّ إِلَّا بِالْجُوعِ . وَقُمْتُ مِنْ فِرَاشِي دُونَ عَوْنٍ
مِنْ أَحَدٍ . أَمَّا هَذِهِ الْمَرَّةُ فَأِنِّي لَا أُسْتَطِيعُ أَنْ أُحْرِكَ ذِرَاعِي أَوْ رِجْلِي
الْيَمْنَى ، كَذَلِكَ أَشْعُرُ بِأَلَمٍ فِي رَأْسِي . وَاعْتَقِدُ أَنَّهُ فِي النَّوْبَةِ الثَّالِثَةِ
سَوْفَ يَنْتَهِي بَنِي الْأَمْرِ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ الشَّلَلِ . »

صَاحَ دَائِي قَائِلًا : « لَا ، لَا ، لَنْ تَمُوتَ . وَإِذَا هَاجَمَتْكَ النَّوْبَةُ
مَرَّةً أُخْرَى — وَلَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ — فَإِنَّكَ سَتَكُونُ طَلِيقًا ،
وَعِنْدَيْدِ يَسْهُلُ عَلَيْنَا أَنْ نُعَالِجَكَ ؛ لِأَنَّ الظُّرُوفَ سَتَكُونُ أَفْضَلَ ،
وَالْإِمْكَانِيَّاتِ مُتَوَفِّرَةً . »

أَجَابَ فَارِيَا : « يَا صَدِيقِي الْعَزِيزَ إِذْمُونِ ، لَا تُعَلِّلْ نَفْسَكَ بِالْأَمَانِيِّ
لَقَدْ حَكَمَ هَذَا الْمَرَضُ عَلَيَّ بِأَنْ أَبْقَى رَهْمِينَ السَّجْنِ إِلَى الْأَبَدِ ؛
إِذْ لَا يُسْتَطِيعُ الْإِنْسَانُ أَنْ يَهْرَبَ مِنَ السَّجْنِ وَهُوَ عَاجِزٌ عَنِ السَّيْرِ . »

قَالَ دَائِي : « رُبَّمَا لَا تُسْتَطِيعُ الْآنَ أَنْ تَهْرَبَ ، لَكِنْ مَا حَاجَتُنَا
إِلَى الْعَجَلَةِ ؟ لِنَنْتَظِرْ وَقْتًا أَطْوَلَ . لَقَدْ أَنْتَظَرْنَا كَثِيرًا ، فَمَاذَا يُضِيرُنَا لَوْ
بَقِينَا كَذَلِكَ أُسْبُوعًا أَوْ شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ إِذَا مَا تُطَلَّبَ الْأَمْرُ ؟ فَقَطْ

يَجِبُ أَنْ تَتَّخِذَ قَرَارًا فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ ، وَذَلِكَ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي
نُحِسُّ فِيهَا أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى السَّيَاحَةِ . »

أَجَابَ فَارِيَا : « لَقَدْ أَتَّهَى الْأَمْرُ يَا إِدْمُون ، وَلَنْ أَقْوَى عَلَى
السَّيَاحَةِ . لَقَدْ فَقَدْتُ ذِرَاعِي قُوَّتَهَا ، لَيْسَ فَقْدَانَا مُوقْتًا ، بَلْ إِلَى
الْأَبَدِ . »

« كَيْفَ تَجْزِمُ بِمَا تَقُولُ ؟ وَإِذَا كُنْتَ لَا تَسْتَطِيعُ السَّيَاحَةَ ، فَسَوْفَ
أَحْمِلُكَ عَلَى ظَهْرِي وَأُسَبِّحُ بِكَ . »

قَالَ فَارِيَا : « يَا بُنَيَّ ، نَعَمْ أَنْتَ بَحَّارٌ وَمَاهِرٌ فِي السَّيَاحَةِ ، لَكِنَّكَ
تَعْلَمُ جَيِّدًا أَنَّ الْإِنْسَانَ الَّذِي يَحْمِلُ رَجُلًا فِي مِثْلِ وَزْنِي لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ
يَسْبَحَ أَكْثَرَ مِنْ مِثْقَلِ مِثْرٍ . أَنْتَ شَابٌّ يَا إِدْمُون ، وَقَوِيٌّ ، فَلَا تُبَدِّدْ
وَقْتُكَ مَعِي . فَاتَّجِ بِنَفْسِكَ وَأَذْهَبْ . »

قَالَ دَانِيي : « أَشْكُرُكَ عَلَى هَذِهِ النَّصِيحَةِ ، لَكِنِّي أَعَاهِدُ اللَّهَ أَنْ أَبْقَى
مَعَكَ مَا دَامَ فِيكَ نَفْسٌ يَتَرَدَّدُ ، وَلَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَنَا غَيْرُ الْمَوْتِ . »

نَظَرَ فَارِيَا بِحُبٍّ إِلَى صَدِيقِهِ الشَّابِّ الَّذِي كَانَ وَجْهُهُ يَنْطَلِقُ بِصِدْقِ
كَلَامِهِ وَمَشَاعِرِهِ ، وَقَالَ بِهِدْوٍ ، وَهُوَ يَمُدُّ يَدَهُ الْوَحِيدَةَ الَّتِي تَتَحَرَّكُ :
« أَشْكُرُكَ يَا بُنَيَّ . وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يُقَدِّرَنِي عَلَى جَمِيلِكَ عَمَّا قَرِيبٍ ،
فَإِنَّكَ نِعْمَ الصَّدِيقُ . وَالآنَ مَا دُمْتُ أَنَا لَا أَسْتَطِيعُ وَأَنْتَ لَا تُرِيدُ
مُغَادَرَةَ الْمَكَانِ ، فَمِنْ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَرِدَّ الْخُفْرَةَ الَّتِي يَمُرُّ الْحَارِسُ مِنْ

فَوْقَهَا ، خَشْيَةً أَنْ يَلْحَظَ مِنْ وَقَعِ أَقْدَامِهِ عَلَى الْحَجَرِ أَنَّ هُنَاكَ تَجْوِيفًا
تَحْتَهُ ، فَيُخْبِرَ الضَّابِطَ ، وَيَكْتَشِفُوا السَّرْدَابَ ، وَيُفَرِّقُوا بَيْنَنَا . وَالآنَ
أَذْهَبْ ، وَتَعَالَ فِي الصَّبَاحِ بَعْدَ انْتِصِرَافِ الْحَارِسِ لِأَخْبِيرَكَ بِشَيْءٍ شَدِيدِ
الْأَهَمِّيَّةِ . »

فَتَنَاوَلَ دَانِيي يَدَ فَارِيَا وَضَعَهَا بِمَوَدَّةٍ وَحُبٍّ ، ثُمَّ انْتَصَرَفَ إِلَى عَمَلِهِ
الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَقُومَ بِهِ فِي نِهَائَةِ سِرْدَابِ الْهَرَبِ .

قَالَ دَائِي وَهُوَ لَا يَدْرِي بِمَاذَا يَرُدُّ : « كَنْزُكَ !؟ »

غَيْرَ أَنْ فَارِيَا مَضَى يَقُولُ : « نَعَمْ ! إِنَّكَ لَذُو قَلْبٍ نَبِيلٍ حَقًّا
يَا إِذْمُون ، وَأَرْجُو أَلَّا تَظُنَّ بِعَقْلِي الظُّنُونُ . فَإِنِّي لَسْتُ مَجْنُونًا ، وَإِنْ
ثُمَّ كَنْزًا فَعَلًا . »

تَنَاولَ إِذْمُونُ قِطْعَةً الْوَرَقَةِ الْمُحْتَرَقَةَ ، وَقَالَ : « أَنَا لَا أَرَى غَيْرَ
سُطُورٍ مَبْتُورَةٍ وَكَلِمَاتٍ نَاقِصَةٍ لَا تُعْنِي شَيْئًا ، كَمَا أَنَّهُ مِنَ الصَّعْبِ
قِرَاءَتُهَا بِسَبَبِ اخْتِرَاقِهَا . »

قَالَ فَارِيَا : « هَذَا بِالنِّسْبَةِ لَكَ يَا صَدِيقِي ، أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِي فَقَدْ
حَفِظْتُهَا لَيْلَةً بَعْدَ أُخْرَى حَتَّى اسْتَوْعَبْتُهَا تَمَامًا ، وَصَارَ مِنَ السَّهْلِ عَلَيَّ
مَعْرِفَةُ مَا خَفِيَ مِنْ كَلِمَاتٍ وَمَا اسْتَعْلَقَ مِنْ أَفْكَارٍ . »

« هَلْ تَعْتَقِدُ أَنَّكَ تَوَصَّلْتَ مِنْهَا إِلَى شَيْءٍ ؟ »

« بِالتَّأَكِيدِ ، وَسَوْفَ تَحْكُمُ أَنتَ عَلَى الْأَمْرِ بِنَفْسِكَ . وَلَكِنْ لَا بُدَّ
أَنْ أَقْصَّ عَلَيْكَ قِصَّتَهَا أَوَّلًا . »

قِصَّةُ الْوَرَقَةِ

قَالَ فَارِيَا : « كُنْتُ ، كَمَا تَعْرِفُ ، صَدِيقًا لِلْأَمِيرِ شِهَادَا ، آخِرِ
الْأَمْرَاءِ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ هَذَا الْأَسْمَ ، وَمُعَاوِنًا لَهُ وَكُنْتُ سَعِيدًا بِصَدَاقَتِهِ .

الفصل العاشر قِصَّةُ الْكَنْزِ

قِطْعَةٌ مِنَ الْوَرَقِ

عِنْدَمَا عَادَ دَائِي إِلَى حُجْرَةِ فَارِيَا صَبَاحَ الْيَوْمِ الْتَمَلَّى وَجَدَهُ أَفْضَلَ
قَلِيلًا . فِي الْبِدَايَةِ لَمْ يَتَكَلَّمْ فَارِيَا ، لَكِنَّهُ وَضَعَ أَمَامَ دَائِي قِطْعَةً صَغِيرَةً
مِنَ الْوَرَقِ .

فَسَأَلَهُ دَائِي : « مَا هَذِهِ ؟ »

أَجَابَهُ الْعَجُوزُ : « أَنْظُرْ إِلَيْهَا . »

« لَقَدْ نَظَرْتُ ، فَلَمْ أَجِدْ غَيْرَ وَرَقَةٍ اخْتَرَقَ نِصْفُهَا ، وَعَلَيْهَا كِتَابَةٌ
بِلُغَةٍ غَرِيبَةٍ . »

« إِنِّي اسْتَطَعْتُ الْآنَ أَنْ أَخْبِرَكَ ، وَأَنَا مُطْمَئِنٌّ ، بِسِرِّ هَذِهِ الْوَرَقَةِ ،
بَعْدَ أَنْ ثَبَتَ لِي إِخْلَاصُكَ وَحُبُّكَ . إِنَّ هَذِهِ الْوَرَقَةَ هِيَ كَنْزِي ، وَمِنْ
الْآنَ فَصَاعِدًا سَيَكُونُ نِصْفُ هَذَا الْكَنْزِ لَكَ . »

وَلَمْ يَكُنْ غَنِيًّا ، رَغِمَ أَنْ ثَرَوَةً أُسْرَتِهِ كَانَتْ يَوْمًا مَا مَضَرَّتْ الْأَمْثَالَ ؛
بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ، كَانَ قَلِيلَ أَمْوَالٍ . وَكُنْتُ أَشَاهِدُهُ كَثِيرًا وَهُوَ يَقْرَأُ فِي
بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ وَيَتَصَفَّحُ الْأُورَاقَ الَّتِي تَرَكَتْهَا لَهُ أُسْرَتُهُ ؛ وَلَمَّا
اسْتَفْسَرْتُ مِنْهُ يَوْمًا عَمَّا يَفْعَلُهُ نَظَرُ إِلَيَّ ، ثُمَّ فَتَحَ لِي كِتَابًا عَنْ تَارِيخِ
مَدِينَةِ رُومًا ، وَهُوَ يُطْلِقُ ضِحْكَةً حَزِينَةً ، ثُمَّ أَشَارَ بِأَصْبَعِهِ إِلَى تِلْكَ
الْسُّطُورِ الَّتِي لَنْ أُنْسَاهَا مَا حَيَّيْتُ :

« كَانَ سِيزَارُ بُورْجِيَا يَحْتَاجُ إِلَى نَقُودٍ يُدَبِّرُ بِهَا أَمْرَ حُرُوبِهِ الْكَثِيرَةِ ،
وَلَمْ يَكُنْ مِنَ السَّهْلِ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ أَنْ يَحْصُلَ عَلَى نَقُودٍ بِسَبَبِ
الْحُرُوبِ الطَّوِيلَةِ الَّتِي خَاضَتْهَا الْبِلَادُ ، وَالَّتِي تَرَكَتْهَا فِي حَالَةٍ يُرْتَى لَهَا ،
فَبَدَأَ يُعَدُّ خُطَّةً لِلْحُصُولِ عَلَى مَا يُرِيدُ .

« وَكَانَ ثَمَّةَ رَجُلَانِ اشْتَهَرَا بِثَرَوَاتِهِمَا الضَّخْمَةِ ، هُمَا :
رُوسِيغْلْيُوسِي وَسِيَادَا ، فَدَعَاهُمَا سِيزَارُ بُورْجِيَا إِلَى الْغَدَاءِ مَعَهُ فِي خَدِيقَةِ
قَصْرِهِ . وَكَانَ رُوسِيغْلْيُوسِي سَعِيدًا بِتِلْكَ الدَّعْوَةِ وَمَا تُمَثِّلُهُ مِنْ شَرَفٍ ،
فَارْتَدَى أَبْهَى مَا عِنْدَهُ مِنْ ثِيَابٍ . أَمَّا سِيَادَا فَقَدْ كَانَ رَجُلًا حَكِيمًا
يَعْرِفُ أَنَّ الْمَوْتَ وَرَاءَ هَذِهِ الْمَادِيَةِ ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ كَتَبَ بِضَعَّةٍ
أَسْطَرِ قَبْلَ أَنْ يُغَادِرَ مَنْزِلَهُ . وَكَانَ عَلَى ثِقَةٍ أَنَّ الْمَوْتَ يَكْمُنُ فِي الْكَأْسِ
الْمُقَدَّمَةِ لَهُ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ كَذَلِكَ أَنَّهُ مَيِّتٌ .. مَيِّتٌ ، حَتَّى لَوْ
لَمْ يَشْرَبِ الْكَأْسَ . وَعَلَى هَذَا فَقَدْ شَرِبَهَا ، فَلَفَظَ أَنْفَاسَهُ عِنْدَ بَابِ
الْخَدِيقَةِ .

« وَوَضَعَ سِيزَارُ بُورْجِيَا يَدَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، وَأَخَذَ أُورَاقَ الرَّجُلِ
الْمَيِّتِ بِمَا فِيهَا تِلْكَ الَّتِي كَتَبَهَا قَبْلَ مَوْتِهِ فَوَجَدَ فِيهَا :

« إِنِّي أَهْبُ كُلَّ مَا أَمْلِكُ لِابْنِ أَخِي : أَمْوَالِي كُلِّهَا ، وَجَمِيعَ
كُتُبِي ، وَمِنْ بَيْنِهَا كِتَابُ الصَّلَوَاتِ ذُو الْأَرْكَانِ الذَّهَبِيَّةِ ، فَأَرْجُوهُ أَنْ
يَحْفَظَ بِهِ وَأَنْ يَعْتَنِيَ بِهِ عِنَايَةً خَاصَّةً ، وَأُمَلِّ أَنْ يُعِينَهُ عَلَى أَنْ يَتَذَكَّرَ
عَمَّهُ الْعَزِيزَ . » وَبَحَثَ سِيزَارُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ شَيْئًا . كَانَ
ثَمَّةَ بَضْعٍ كُتُوسَ ذَهَبِيَّةٍ ، وَبَعْضُ الْجَوَاهِرِ ، وَبَعْضُ النُّقُودِ الْقَلِيلَةِ ، ثُمَّ
لَا شَيْءَ آخَرَ . أَمَّا كَنْزُ عَائِلَةِ سِيَادَا ، هَذَا إِذَا كَانَ لِمِثْلِ هَذَا الْكَثْرِ
وُجُودٌ ، فَقَدْ اخْتَفَى بِكُلِّ بَسَاطَةٍ .

« وَعِنْدَمَا طَرَدَ سِيزَارُ بُورْجِيَا مِنْ رُومًا ، ظَنَّ النَّاسُ أَنَّ ثَرَوَةً أُسْرَةٍ
سِيَادَا سَوْفَ تَظْهَرُ ثَانِيَةً ، غَيْرَ أَنَّ ذَلِكَ لَمْ يَحْدُثْ ، وَظَلَّتْ أُسْرَةُ سِيَادَا
فَقِيرَةً ، فَظَنَّ النَّاسُ أَنَّ سِيزَارَ بُورْجِيَا رُبَّمَا يَكُونُ قَدْ عَثَرَ عَلَى أَمْوَالٍ ،
رَغِمَ كُلِّ شَيْءٍ ! »

كَنْزُ آلِ سِيَادَا

كَانَ عَلَى الرَّجُلِ الْعَجُوزِ أَنْ يَتَوَقَّفَ دَقَائِقُ يَلْتَقِطُ فِيهَا أَنْفَاسَهُ ، ثُمَّ
اسْتَكْمَلَ حَدِيثَهُ قَائِلًا : « مَضَتْ السَّنَوَاتُ وَصَارَ الْآبَاءُ ثُمَّ أَبْنَاءُ الْآبَاءِ
جُدُودًا . وَكَانَ بَعْضُ أَبْنَاءِ هَذِهِ الْأُسْرَةِ جُنُودًا فِي الْجَيْشِ ، وَبَعْضُهُمْ
تَوَلَّى وُظَائِفَ حُكُومِيَّةٍ ، وَفَرِيقٌ ثَالِثٌ اشْتَغَلَ بِالتَّجَارَةِ ، فَمِنْهُمْ مَنْ



أَثَرِي ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْتَقَرَ . وَهَكَذَا نَصِلُ إِلَى آخِرِ فَرْدٍ مِنْ هَذِهِ الْأُسْرَةِ
وَهُوَ صَدِيقِي الْأَمِيرِ سَيَادَا .

« وَانْتَقَلَ أُخِيرًا كِتَابَ الصَّلَوَاتِ الشَّهِيرِ ، الَّذِي ظَلَّ مَعَ الْأُسْرَةِ
زَمَنًا ، إِلَى مِلْكِيَّةِ الْأَمِيرِ . وَكَانَ مَكْتُوبًا بِحِطٍّ جَمِيلٍ وَمُعَشَّى بِالذَّهَبِ ،
مِمَّا جَعَلَ وَزْنُهُ ثَقِيلًا ، وَاسْتَلْزَمَ أَنْ يَحْمِلَهُ الْخَادِمُ دَائِمًا لِلْأَمِيرِ كُلَّمَا
ذَهَبَ لِلصَّلَاةِ .

« وَكَمَا فَعَلَ كَثِيرٌ مِنْ أَسْلَافِي مِنْ قَبْلُ ، رُحْتُ أَفْحَصُ أَوْرَاقَ
الْأُسْرَةِ الَّتِي كَانَتْ ثَمَلًا الْحُجَرَاتِ مُحَاوِلًا أَنْ أُعْثَرَ عَلَى إِجَابَةٍ عَنْ ذَلِكَ
السُّؤَالِ الْقَدِيمِ الْمُحِيرِ : أَيْنَ تَوَجَدُ ثَرَوَةُ آلِ سَيَادَا ؟ وَظَلَّ السُّؤَالُ يُلْحُ
دُونَ أَنْ تَتَبَدَّدَ حَيَّرَتِي . قَرَأْتُ كُلَّ مَا كُتِبَ عَنْ آلِ بُورْجِيَا لِأَتَعَرَّفَ
عَمَّا إِذَا كَانَ سِيزَارُ بُورْجِيَا قَدْ عَثَرَ عَلَى الثَّرْوَةِ فِي النَّهَائِيَةِ أَمْ لَا ، وَعَرَفْتُ
مِمَّا قَرَأْتُهُ أَنَّ بُورْجِيَا قَدْ اسْتَوَى عَلَى كُلِّ ثَرَوَةٍ رُوسِيغْلْيُوسِي ، أَمَّا
بِالنَّسَبَةِ لِآلِ سَيَادَا فَلَمْ أَجِدْ ذِكْرًا لِثَرَوَاتِهِمْ ، وَفِي النَّهَائِيَةِ تَأَكَّدَ لِي أَنَّ
الْكَثْرَ ظَلَّ مُحْتَفِيًا طَوَالَ تِلْكَ الْفَتْرَةِ .

« وَظَلَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ إِلَى أَنْ مَاتَ صَدِيقِي ، وَبِمَوْتِهِ آلُ
إِلَيَّ كُلُّ مَا كَانَ لَهُ ، وَلَمْ يَطْلُبْ مِنِّي غَيْرَ أَنْ أَكْتُبَ تَارِيخَ أُسْرَتِهِ . »

« أَنْتَ أَبْنِي »

تَوَقَّفَ فَارِيَا عَنِ الْحَدِيثِ ثَانِيَةً قَبْلَ أَنْ يَسْتَأْنِفَ قَائِلًا : « فِي عَامِ

١٨٠٧ ، وَقَبْلَ أَنْ أُوَدَّعَ السَّجْنَ بِشَهْرٍ ، كُنْتُ أَقْرَأُ بَعْضَ الْأَوْرَاقِ الَّتِي
لَمْ يَكُنْ فِيهَا شَيْءٌ ذُو بَالٍ ، فَعَلَيْتَنِي التَّعَاسُ . وَكَانَ الْوَقْتُ مَسَاءً عِنْدَمَا
اسْتَيْقَظْتُ مِنْ نَوْمِي ، وَكَانَ الظَّلَامُ يُلْفُ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِي مَا عَدَا
الضُّوءَ الْجَانِبِيَّ الَّذِي كَانَ يَنْبُعُ مِنَ الْمِدْفَاةِ فَأَمْسَكْتُ الْمِصْبَاحَ بِيَدٍ ،
وَرُحْتُ أُتَحَسَّسُ بِالْيَدِ الْأُخْرَى بَاحِثًا عَنْ قِطْعَةٍ وَرَقٍ أَشْعِلُهَا .

« وَلَمْ أَشَأْ أَنْ أَشْعِلَ أَيْةَ وَرَقَةٍ هَامَّةٍ ، وَتَذَكَّرْتُ أَنَّ هُنَاكَ وَرَقَةً بَيَاضًا
دَاخِلَ كِتَابِ الصَّلَوَاتِ تُسْتَعْدَمُ لِتَحْدِيدِ الصَّفْحَةِ الَّتِي وَقَفَ عِنْدَهَا
الْقَارِئُ . كَانَتْ هَذِهِ الْوَرَقَةُ فِي مَكَانِهَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ ، فَأَخَذْتُهَا ،
وَوَضَعْتُ طَرَفَهَا فِي النَّارِ . وَكَمْ كَانَتْ دَهْشَتِي إِذْ لَاحَظْتُ أَنَّهَا عِنْدَمَا

أَشْتَعَلَتْ بَدَأَتْ تَظْهَرُ فِيهَا كِتَابَةُ صَفْرَاءَ ، فَاطْفَأَتْ النَّارَ بِأَسْرَعِ
مَا اسْتَطِيعَ ، وَأَوْقَدَتْ الْمِصْبَاحَ وَفَتَحَتْ الْوَرَقَةَ وَنَظَرَتْ إِلَيْهَا . كَانَتْ
الْكَلِمَاتُ مُدَوَّنةً فِيهَا بِنَوْعٍ مِنْ مِدَادٍ لَا يُظْهَرُ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا
إِلَّا إِذَا تَعَرَّضَتْ الْوَرَقَةُ لِلْحَرَارَةِ ، وَكَانَ جُزْءٌ مِنَ الْوَرَقَةِ قَدْ أَكَلَتْهُ النَّارُ

« إِنَّ قِطْعَةَ الْوَرَقِ الَّتِي فِي يَدِكَ هِيَ كُلُّ مَا تَبَقِيَ . اقْرَأْهَا ثَانِيَةً
يَا دَانِي ، وَسَوْفَ أَكْمِلُ لَكَ مَا اخْتَرَقَ مِنْهَا . »

قَرَأَ دَانِي السُّطُورَ الصَّفْرَاءَ الْمُدَوَّنةَ فِي الْوَرَقَةِ ، فَقَالَ لَهُ فَارِيَا وَهُوَ
يُقَدِّمُ لَهُ قِطْعَةَ وَرَقَةٍ أُخْرَى ذَاتَ سُطُورٍ مَبْتُورَةٍ : « وَآلَانَ ضَعِ الْوَرَقَتَيْنِ
مَعًا ، وَقُلْ لِي : هَلْ يَفْهَمُ آلَانَ مَا فِيهَا ؟ »

« نَعَمْ ، فَهِيَ الْوَرَقَةُ الَّتِي كَانَ كُلُّ إِنْسَانٍ يُحَاوِلُ أَنْ يَعْتَرَّ عَلَيْهَا ،
لَكِنَّ الْكِتَابَةَ فِي الْوَرَقَةِ الثَّانِيَةِ مُخْتَلِفَةٌ . »

قَالَ فَارِيَا : « إِنَّهُ خَطِيئِي أَنَا يَا إِدْمُون ، وَأَكْمَلْتُ بِهِ الْوَرَقَةَ الْقَدِيمَةَ ،
وَبَعْدَ أَنْ قَرَعْتُ مِنْ ذَلِكَ قَرَّرْتُ أَنْ أُرْجِلَ مِنْ فُورِي وَمَعِيَ الصَّفْحَاتُ
الْأُولَى مِنَ الْكِتَابِ الْعَظِيمِ الَّذِي كُنْتُ أَكْتُبُهُ عَنْ إِيطَالِيَا ، لَكِنَّ
الْحُكُومَةَ كَانَتْ قَدْ بَدَأَتْ تَشْكُ فِي ، وَلَمْ يَفْهَمِ الْمَسْئُولُونَ السِّرَّ فِي
قَرَارِ رَحِيلِي الْمُفَاجِئِ ، فَالْتَقُوا الْقَبْضَ عَلَيَّ فِي اللَّحْظَةِ الَّتِي هَمَمْتُ فِيهَا
بِرُكُوبِ السَّفِينَةِ . »

نَظَرَ فَارِيَا إِلَى دَانِي نَظْرَةً أَبْوِيَّةً ، ثُمَّ قَالَ : « لَقَدْ سَرَدْتُ عَلَيْكَ كُلَّ
شَيْءٍ ، وَأَصْبَحْتُ آلَانَ تُعْرِفُ الْأَمْرَ كَمَا أَعْرِفُهُ أَنَا بِالضَّبْطِ . وَلَوْ قُدِّرَ
لَنَا أَنْ نَهْرَبَ مِنْ هُنَا فَسَوْفَ نَحْصُلُ عَلَى نِصْفِ الْكَثَرِ ، أَمَّا إِذَا كَانَ
مَكْتُوبًا عَلَيَّ أَنْ أَمُوتَ فِي السَّجْنِ وَتَنْجُو أَنْتَ فَسَيَكُونُ الْكَثَرُ كُلُّهُ مِنْ
نَصِيْبِكَ . »

قَالَ لَهُ دَانِي : « كَلَّا يَا صَدِيقِي ، الْكَثَرُ كُلُّهُ كَثْرُكَ ، وَلَا حَقَّ لِي
فِيهِ ؛ فَلَسْتُ وَاحِدًا مِنْ أَسْرَتِكَ . »

لَكِنَّ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ صَاحَ قَائِلًا : « لَا تُقْلُ هَذَا يَا إِدْمُون ، فَأَنْتَ
أَبْنِي ، وَهَبْنِيهِ اللَّهُ فِي السَّجْنِ . »

« لَقَدْ أَرْسَلَكَ اللَّهُ لِتَكُونَ قُرَّةَ عَيْنٍ لِرَجُلٍ لَا يُمَكِّنُهُ أَنْ يَكُونَ أَبًا ،
وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ حُرًّا . »

أَيَّامَهُمَا كَأَنَّتْ تُمَضِي مُسْرِعَةً خَالِيَةً مِنَ التَّعَاسَةِ . وَلَمْ يَكُفْ فَارِيَا عَنْ
الْحَدِيثِ عَنْ كَنْزِهِ ، وَلَمْ يَكُفْ عَنِ التَّفَكِيرِ فِي طُرُقِ لِدَائِنِي لِلْهُرُوبِ
مِنَ السَّجْنِ . وَلَمَّا كَانَ يَخْشَى أَنْ يَفْقَدَ الْخِطَابَ ، فَقَدْ رَاحَ يُلْقِنُ دَائِنِي
مَا جَاءَ فِيهِ كَلِمَةٌ كَلِمَةً ، ثُمَّ أَلْقَى فِي النَّارِ بِالْوَرَقَةِ الَّتِي كَتَبَهَا يُكْمِلُ
بِهَا السُّطُورَ النَّاقِصَةَ .

الفصل الحادي عشر موت فاريّا

ذات ليلة

وَوَظَلَ فَارِيَا عَاجِزًا عَنْ تَحْرِيكِ يَدَيْهِ وَسَاقِيهِ ، وَلَكِنَّهُ اسْتَعَادَ صَفَاءَ ذَهْنِهِ
وَقُوَّةَ إِدْرَاكِهِ ، فَاسْتَمَرَ يُعَلِّمُ دَائِنِي التَّارِيخَ وَاللُّغَةَ الْإِنْجِلِيزِيَّةَ وَغَيْرَهُمَا
مِنَ الْمَوْضُوعَاتِ ؛ كَمَا عَلَّمَهُ أَيْضًا أَنَّ أَهَمَّ شَيْءٍ بِالنَّسْبَةِ لِلْسَّجِينِ هُوَ
أَنْ يَصْنَعَ شَيْئًا مِنْ لَا شَيْءٍ . وَعَلَى هَذَا فَقَدْ كَانَ وَقْتُهِمَا دَائِمًا مَشْغُولًا .
وَكَانَ فَارِيَا يَعْمَلُ بِاسْتِمْرَارٍ حَتَّى يَشْتَغَلَ نَفْسُهُ عَنِ التَّفَكِيرِ فِي تَقْدِيمِهِ
فِي الْعَمَلِ . أَمَّا دَائِنِي فَقَدْ كَانَ يُغْرِقُ نَفْسَهُ فِي الْعَمَلِ حَتَّى لَا يَتَذَكَّرُ
مَاضِيَهُ .

وَذَاتَ لَيْلَةٍ قَامَ دَائِنِي مِنْ نَوْمِهِ وَهُوَ يَعْتَقِدُ أَنَّ هُنَاكَ مَنْ يُنَادِيهِ ، فَفَتَحَ
عَيْنَيْهِ وَبَدَأَ يُصْغِي جَدًّا . كَانَ ثَمَّةَ صَوْتٍ خَافَتْ يَأْتِيهِ عَبْرَ الظَّلَامِ
يُحَاوِلُ بِالْفِعْلِ أَنْ يُنَادِيَهُ ، فَقَامَ وَسَحَبَ سَرِيرَهُ وَرَفَعَ الْحَجَرَ ، وَأَسْرَعَ
فَهَبَطَ السَّرْدَابَ الْمُوصِلَ بَيْنَ الْغُرَفَتَيْنِ ، فَوَجَدَ أَنَّ النَّاحِيَةَ الْأُخْرَى
مُفْتُوحَةٌ . وَعَلَى ضَوْءِ الْمِصْبَاحِ الْوَاهِنِ ، رَأَى فَارِيَا وَقَدْ شَحَبَ وَجْهُهُ
وَتَعَلَّقَ بِطَرْفِ سَرِيرِهِ ، وَعَلَى وَجْهِهِ عِلَامَاتٌ أَلَمَ رَهِيْبٌ .

بَدَأَ كَمَا لَوْ أَنَّ السَّجِينَيْنِ قَدْ ضَاعَتْ آخِرُ فُرْصَةٍ لِهَمَّا فِي الْهَرَبِ ،
فَقَدْ قَوَّضَ الْعَمَالُ الْمَمَرَّ الْخَارِجِيَّ لِلْسَّجْنِ ، مُلْقِينَ بِكُتْلِ الْحِجَارَةِ فِي
الشَّعْرَةِ الَّتِي كَانَ دَائِنِي قَدْ سَدَّ بِصَفْهَا ، وَبِذَلِكَ أَصْبَحَ الْمَمَرُّ جَدِيدًا
ثَمَامًا .

قَالَ دَائِنِي لِفَارِيَا : « أَرَأَيْتَ ؟ أَلَمْ أَعِدْكَ بِالْبَقَاءِ إِلَى جِوَارِكَ إِلَى
الْأَبَدِ ؟ وَالْآنَ لَمْ يَعُدْ مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ أُحْنِثَ بِعَهْدِي مَعَكَ حَتَّى لَوْ
حَاوَلْتُ الْهُرُوبَ . أَمَّا الْكَثْرُ فَإِنَّهُ لَنْ يَكُونَ مِنْ نَصِيْبِي وَلَا مِنْ
نَصِيْبِكَ ؛ لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ لِأَيُّنَا أَنْ يَخْرُجَ مِنْ هَذَا السَّجْنِ . إِنْ كُنْزِي
الْحَقِيقِيّ هُوَ مَا تُعَلِّمُنِي إِيَّاهُ ، وَتَفِيضُ عَلَيَّ بِهِ مِنْ حِكْمَتِكَ ، فَضْلًا
عَنْ مُتَعَةِ الْحَدِيثِ مَعَكَ خَمْسَ سَاعَاتٍ أَوْ سِتًّا كُلَّ يَوْمٍ . »

وَعَلَى هَذَا ، فَإِنَّ دَائِنِي وَفَارِيَا ، وَإِنْ لَمْ يَكُونَا سَعِيدَيْنِ ، إِلَّا أَنَّ

وَاسْتَطَاعَ فَارِيَا أَنْ يَنْتَرِعَ نَفْسَهُ مِنْ بَيْنِ أَلَامِ لَحْظَةٍ لِيَقُولَ لِدَائِي :
« أَطَلَّكَ تُدْرِكُ آلَانَ يَا عَزِيزِي أَنَّهُ قَدْ حَانَتْ مَنِيَّتِي . »

الْمَوْتُ

صَرَخَ دَائِي : « لَا تَقُلْ هَذَا يَا صَدِيقِي ، فَكَمَا أَتَقَدُّكَ الْمَرَّةَ
السَّابِقَةَ ، سَوْفَ أَتَقَدُّكَ هَذِهِ الْمَرَّةَ ! »

وَبِسُرْعَةٍ رَفَعَ رِجْلَ السَّرِيرِ وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْقَارُورَةَ ، وَكَانَ لَا يَزَالُ
بِهَا قَلِيلٌ مِنَ السَّائِلِ الْأَحْمَرِ ، فَصَاحَ فِي فَارِيَا قَائِلًا : « أَنْظُرْ ، لَا يَزَالُ
فِيهَا بَعْضُ الدَّوَاءِ . أَخْبِرْنِي بِسُرْعَةٍ مَا الَّذِي يَنْبَغِي عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَهُ هَذِهِ
الْمَرَّةَ ؟ »

أَجَابَهُ فَارِيَا : « لَيْسَ ثَمَّةَ أَمَلٍ ، وَمَعَ ذَلِكَ فَمِنْ الصَّوَابِ أَنْ يَبْذُلَ
الْإِنْسَانُ كُلُّ مَا فِي وَسْعِهِ لِإِنْقَادِ حَيَاةٍ . فَأَفْعَلْ إِذَا مَا فَعَلْتَهُ مِنْ قَبْلُ ،
وَلَكِنْ عَجَلْ . أُعْطِنِي أَتْنِي عَشْرَةَ قَطْرَةٍ ، فَإِذَا لَمْ أَتَحَسَّنْ ، فَأَفْرِغْ بَاقِي
مُحْتَوِيَاتِ الزُّجَاجَةِ كُلِّهِ فِي فَمِي . وَآلَانَ ضَعْنِي فِي الْفِرَاشِ . »

وَحَمَلَ إِدْمُونُ صَدِيقَهُ فَارِيَا بَيْنَ ذِرَاعَيْهِ وَوَضَعَهُ فِي فِرَاشِهِ .

قَالَ فَارِيَا : « يَا صَدِيقِي الْعَزِيزُ ، يَا فَرَحَةَ عُمْرِي وَعَظِيَّةَ السَّمَاءِ فِي
أَوَاخِرِ أَيَّامِي ؛ وَلَكِنَّهَا أُعْطِشْتُ ، وَأَنَا شَاكِرٌ لَهَا عَطِيشَتِهَا . إِذَا قُدِّرَ لَكَ
أَنْ تَهْرُبَ فَأَذْهَبْ إِلَى جَزِيرَةِ مُونْتِ كَرِيسْتُو وَخُذِ الْكَثْرَ وَتَمَتَّعْ بِهِ .

تَمَتَّعْ بِهِ فَأَتَتْ تَسْتَحِقُّهُ بَعْدَ كُلِّ ذَلِكَ الْعَنَاءِ الَّذِي تَحْمَلْتَهُ ، وَلَيْكُنْ اللَّهُ
مَعَكَ ! » ثُمَّ سَقَطَ عَلَى ظَهْرِهِ .

وَانْتَظَرَ دَائِي وَهُوَ مُمَسِّكٌ بِزُجَاجَةِ الدَّوَاءِ بِيَدِهِ ، وَكَانَ ضَوْءُ
الْمِصْبَاحِ الْمُهْتَزِّ يَمَلَأُ جُدرانَ الْحُجْرَةِ وَسَقَفَهَا بِظِلَالٍ غَرِيبَةٍ
مُتَرَاقِصَةٍ .

وَعِنْدَمَا رَأَى دَائِي أَنَّ الْوَقْتَ الْمُنَاسِبَ قَدْ حَانَ صَبَّ أَتْنِي عَشْرَةَ
قَطْرَةٍ مِنَ الدَّوَاءِ فِي فَمِ فَارِيَا وَانْتَظَرَ . لَمْ تُكُنِ الزُّجَاجَةُ قَدْ فَرِغَتْ مِنْ
مُحْتَوِيَاتِهَا بَعْدَ ، بَلْ كَانَ مُتَبَقِّيًا بِهَا الْمِقْدَارُ نَفْسُهُ الَّذِي أَفْرَغَهُ تَوًّا فِي
فَمِ فَارِيَا ، ثُمَّ انْتَظَرَ عَشْرَ دَقَائِقَ ثُمَّ يَصْفُ سَاعَةً ، بَعْدَهَا أُسْرِعَ وَفَتَحَ
فَمَ الرَّجُلِ وَصَبَّ فِيهِ كُلَّ مَا تَبَقَّى فِي الزُّجَاجَةِ .

وَتَحَرَّكَ فَارِيَا ، وَفَتَحَ عَيْنَيْهِ ، وَخَرَجَتْ مِنْهُ حَشْرَجَةٌ قَصِيرَةٌ ، ثُمَّ
سَادَ الْغُرْفَةَ صَمْتُ تَامٍ .

وَمَضَتْ يَصْفُ سَاعَةً ، فَسَاعَةً ، ثُمَّ سَاعَةً وَيَصْفُ . وَكَانَ إِدْمُونُ
جَالِسًا وَاضِعًا يَدَهُ عَلَى قَلْبِ فَارِيَا الَّذِي أَخَذَتْ دَقَاتُهُ تَضَعُفُ تَدْرِيجًا ،
ثُمَّ انْتَشَرَتْ الْبُرُودَةُ فِي جَسَدِهِ رُويْدًا رُويْدًا .

قَوَانِينُ السَّجْنِ

هَبَطَ دَائِي إِلَى السَّرْدَابِ وَأَحْكَمَ إِغْلَاقَ قُبْحَتِهِ عَلَى قَدْرِ اسْتِطَاعَتِهِ ،
وَوَصَلَ إِلَى غُرْفَتِهِ فِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ الَّذِي وَصَلَ إِلَى أَسْمَاعِهِ صَوْتُ وَقَعِ

خُطُواتِ الْحَارِسِ وَهُوَ يَقْتَرِبُ .

أتى الْحَارِسُ إِلَى حُجْرَةِ دَائِيٍّ أَوَّلًا ، ثُمَّ ذَهَبَ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى حُجْرَةِ
فَارِيَا يَحْمِلُ لَهُ بَعْضَ الْمَلَابِسِ وَطَعَامَ الْإِفْطَارِ .

وَأَحْسَنَ دَائِيٍّ أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ مَاذَا يَحْدُثُ دَاخِلَ حُجْرَةِ
صَدِيقِهِ ، فَهَبَطَ إِلَى السَّرْدَابِ وَوَصَلَ فِي اللَّحْظَةِ نَفْسِهَا الَّتِي سَمِعَ
الْحَارِسَ فِيهَا يَسْتَعِيثُ طَالِبًا التَّجْدَةَ .

وَجَاءَ حُرَّاسُ آخَرُونَ اسْتَطَاعَ دَائِيٍّ أَنْ يَسْمَعَهُمْ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ .

قَالَ أَحَدُهُمْ : « حَسَنًا ! حَسَنًا ! هَا قَدْ ذَهَبَ الْمَجْنُونُ لِيُبْحَثَ عَنْ
كَتْرِهِ . نَتَمَنَّى لَهُ رَحْلَةً مُوَفَّقَةً ! »

قَالَ آخَرُ : « إِنَّ كُلَّ نَقُودِهِ لَا تَكْفِي لِشِرَاءِ كَفَنٍ ! »

« لِشِرَاءِ كَفَنٍ ؟ ! إِنَّ كَفَنَ قَلْعَةٍ إِنْ لَا يُكَلِّفُ كَثِيرًا . مُجَرَّدُ غُرَارَةٍ
مِنْ الْخَيْشِ لَيْسَ إِلَّا . »

وَصَلَ إِلَى سَمْعِ إِذْمُونِ كُلِّ كَلِمَةٍ قِيلَتْ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَفْهَمْ كَثِيرًا
مِمَّا دَارَ مِنْ حَدِيثٍ . وَخَيَّمَ عَلَى الْمَكَانِ سُكُونٌ كَأَنَّهُمْ قَدْ خَرَجُوا ،
لَكِنَّ دَائِيٍّ لَمْ يَجْزُؤْ عَلَى دُخُولِ الْحُجْرَةِ . كَانَ يَحْشَى أَنْ يَكُونُوا قَدْ
تَرَكَوا عِنْدَ الْجَنَّةِ أَحَدَ الْحُرَّاسِ .

وَمَضَتْ سَاعَةٌ سَمِعَ دَائِيٍّ فِي أُعْقَابِهَا ضَجَّةً . وَكَانَ مَأْمُورُ السَّجْنِ
قَدْ وَصَلَ وَبِصُحْبَتِهِ شَخْصٌ آخَرُ . ثُمَّ سَمِعَ صَوْتًا لَا يَعْرِفُهُ يَقُولُ : « إِنَّهُ
مَيِّتٌ بِالْفِعْلِ . »

قَالَ مَأْمُورُ السَّجْنِ : « لَسْتُ أَشُكُّ فِي وَفَاتِهِ ، لَكِنَّا نَبْغِي ، وَفَقًا
لِلْوَائِحِ ، أَنْ نَتَحَقَّقَ وَأَنْ نَتَأَكَّدَ تَمَامًا أَنَّ السَّجْنِيَّ قَدْ مَاتَ . »

سَادَ الصَّمْتُ لَحْظَاتٍ ، وَكَانَ ثَمَّةَ شَخْصٍ بِالْأَدَاخِلِ يَفْحَصُ الْجَنَّةَ .
وَعِنْدَمَا انْتَهَى أَكَّدَ أَنَّهُ قَدْ مَاتَ فِعْلًا ، وَلَا جِدَالَ فِي هَذَا .

وَتَتَابَعَ صَوْتُ وَقَعَ الْأَقْدَامِ الدَّاخِلَةِ وَالْخَارِجَةِ ، ثُمَّ صَوْتُ غُرَارَةٍ
كَبِيرَةٍ تُجْرُ عَلَى الْأَرْضِ ، ثُمَّ صَوْتُ آخَرَ مِنْ جِهَةِ السَّرِيرِ ، ثُمَّ وَقَعَ
أَقْدَامُ لِشَخْصٍ يَبْدُو أَنَّهُ يَرْفَعُ حِمْلًا ثَقِيلًا ، ثُمَّ صَوْتُ هَذَا الْحِمْلِ وَهُوَ
يُوضَعُ عَلَى السَّرِيرِ .

قَالَ مَأْمُورُ السَّجْنِ : « فِي الْمَسَاءِ . »

سَأَلَهُ الْحَارِسُ : « مَتَى بِالضَّبْطِ ؟ »

« حَوَالَى الْعَاشِرَةِ أَوْ الْحَادِيَةِ عَشْرَةِ . »

« هَلْ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ نَبْقَى فِي حِرَاسَةِ الْجُثْمَانِ ؟ »

« كَلَّا ، بَلْ أَوْصِدَ الْبَابَ كَأَنْ لَمْ يَحْدُثْ شَيْءٌ . »

وَأَبْتَعَدَ صَوْتُ وَقَعَ الْأَقْدَامِ ، وَخَفَّتِ الْأَصْوَاتُ ، ثُمَّ سَمِعَ دَائِي
صَوْتَ بَابٍ يُعْلَقُ ، فَخِمْ عَلَى الْحَجَرِ صَمْتُ عَمِيقٍ ... عَمِيقٌ جَدًّا ،
هُوَ صَمْتُ الْمَوْتِ .

دَفَعَ دَائِي الْحَجَرَ بِرَأْسِهِ ، وَنَظَرَ فِي أَرْجَاءِ الْعَرْقَةِ ، فَلَمْ يَجِدْ أَحَدًا
فَدَخَلَ .

الفصل الثاني عشر مَقْبَرَةُ قَلْعَةِ إِفْ

فِكْرَةُ غَرِيبَةٍ

رَأَى دَائِي عَلَى ضَوْءِ الْمَصْبَاحِ الْخَافِتِ غُرَارَةً كَبِيرَةً مَصْنُوعَةً مِنْ
قُمَاشٍ أَصْفَرٍ مَوْضُوعَةً عَلَى السَّرِيرِ ، وَكَانَ فِيهَا جُثْمَانُ صَدِيقِهِ فَأَرَبَا . إِذَا
فَهَذَا هُوَ الْكَفَنُ الَّذِي لَا يُكَلَّفُ كَثِيرًا عَلَى حَدِّ قَوْلِ الْحَارِسِ .

وَهَكَذَا افْتَرَقَ الصَّدِيقَانِ . وَمِنْ آلَانَ فَصَاعِدًا لَنْ يَكُونَ بِإِمْكَانِ دَائِي
أَنْ يَرَى تِلْكَ الْعَيْنَيْنِ اللَّتَيْنِ ظَلَمْنَا مَفْتُوحَتَيْنِ ، وَكَأَنَّهُمَا تَنْظُرَانِ حَتَّى إِلَى
مَا وَرَاءَ الْمَوْتِ .

وَجَلَسَ عَلَى حَافَةِ الْفِرَاشِ وَقَدْ آمَتَلَأُ رَأْسُهُ بِالْأَفْكَارِ الْحَزِينَةِ .

وَقَالَ مُحَدِّثًا نَفْسَهُ : « هَئِنْدَا وَحِيدٌ مَرَّةً أُخْرَى ! »

وَلَكِنَّهُ تَوَقَّفَ عَنِ التَّفَكِيرِ فَجَاءَهُ . وَشَحْصَ بَصَرَهُ ، فَقَدْ طَرَأَتْ لَهُ
فِكْرَةُ جَرِئَةٍ لَا يَذْهَبُ كَيْفَ نَبَتْ هَكَذَا فِي رَأْسِهِ فَجَاءَهُ : « إِذَا كَانَ

الْمَوْتَى وَخَدَهُمُ هُمْ الَّذِينَ يُغَادِرُونَ السَّجْنَ فَلَا حُلَّ أَنَا مَحَلُّ هَذَا
الْمَيِّتِ .

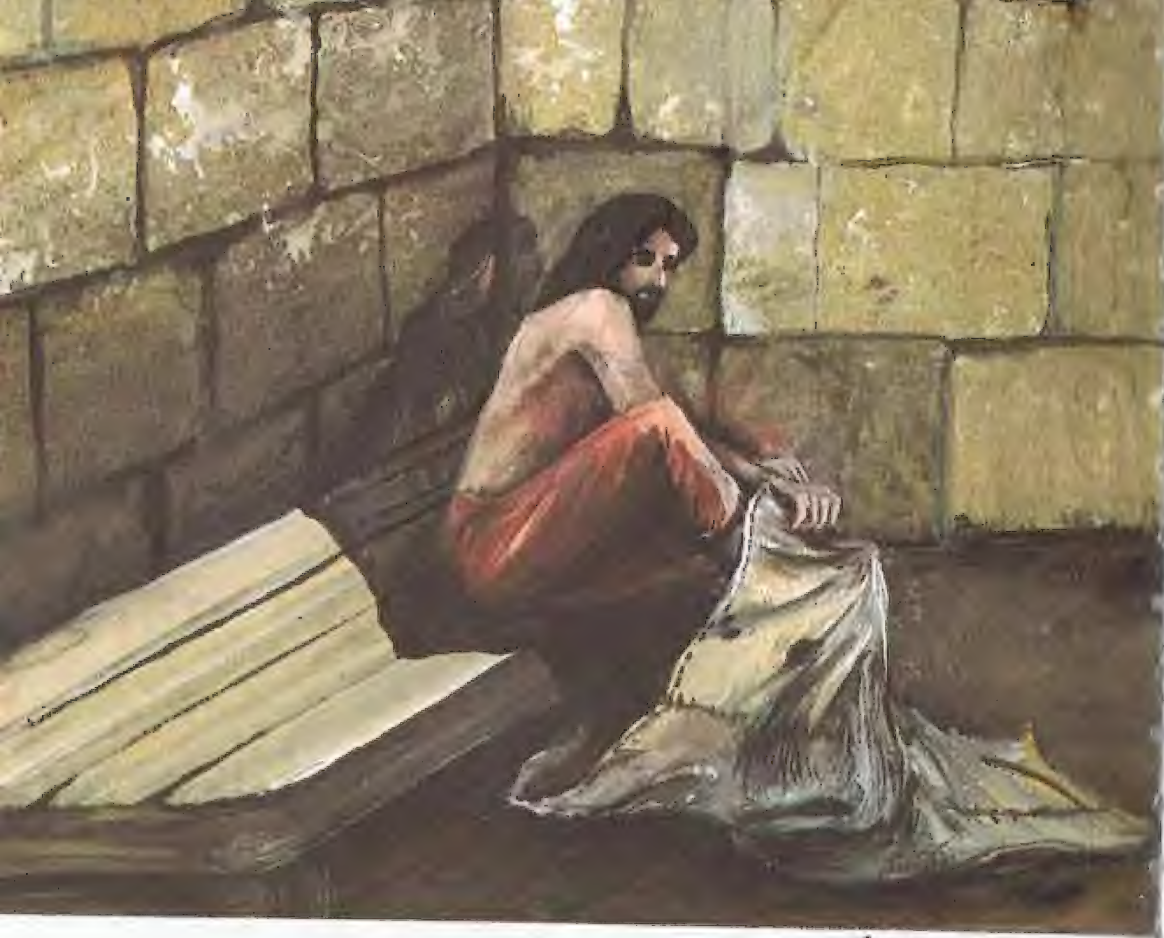
لَمْ يَتَرَدَّدْ لِحُظَةٍ فِي أَنْ يَضَعَ الْفِكْرَةَ مَوْضِعَ التَّنْفِيدِ ، فَالَوَقْتُ ضَيِّقٌ .
وَأَخَذَ السَّكِينِ الَّذِي كَانَ قَارِيَا قَدْ صَنَعَهَا وَفَتَحَ بِهَا الْغِرَارَةَ وَأَخْرَجَ
الْجُثْمَانَ وَحَمَلَهُ عَبْرَ الْفُتْحَةِ الْمُوصِلَةِ إِلَى غُرْفَتِهِ ، ثُمَّ وَضَعَهُ عَلَى فِرَاشِهِ
وَعَطَاهُ كُلَّهُ بِالْمَلَاعَةِ ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ هُوَ نَفْسُهُ عِنْدَمَا يَنَامُ عَلَى
الْفِرَاشِ . ثُمَّ قَبْلَ الْوَجْهِ الْبَارِدِ ، وَأَدَارَهُ إِلَى الْحَائِطِ حَتَّى يَظُنَّ الْحَارِسُ
عِنْدَمَا يَأْتِي بِالْعِشَاءِ أَنَّهُ نَائِمٌ كَمَا كَانَ يَحْدُثُ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَحْيَانِ .

وَعَادَ إِلَى الْحُجْرَةِ الْأُخْرَى ، وَأَخَذَ إِبْرَةً كَانَ قَدْ صَنَعَهَا هُوَ وَقَارِيَا ،
ثُمَّ خَلَعَ مَلَابِسَهُ وَخَبَأَهَا ، وَوَضَعَ نَفْسَهُ دَاخِلَ الْغِرَارَةِ فِي الْمَوْضِعِ نَفْسِهِ
وَبِالطَّرِيقَةِ نَفْسِهَا الَّتِي كَانَ جُثْمَانُ الْمَيِّتِ مُمَدَّدًا بِدَاخِلِهَا ، ثُمَّ أَخَذَ
يَخِيطُ فُتْحَةَ الْغِرَارَةِ مِنَ الدَّخِيلِ .

حَانَ الْوَقْتُ

عَزَمَ دَائِتِي عَلَى تَنْفِيدِ خُطَّتَيْهِ مَعَهُمَا كَلْفَهُ الْأَمْرُ .

وَحَتَّى إِذَا حَدَثَ أَنْ اكْتَشَفَ الْحَرَّاسُ أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَ رَجُلًا حَيًّا
لَا جُثْمَانًا هَامِدًا فَإِنَّهُ سَيَشُقُّ الْغِرَارَةَ بِالسَّكِينِ فِي لَمَحِ الْبَصَرِ ، ثُمَّ
يُسْرِعُ هَارِبًا مُنْتَهِزًا لِحُظَةِ الدَّهْوَلِ الَّذِي سَيَنْتَابُهُمْ ، فَإِذَا حَاوَلُوا إِمْسَاكَهُ



طَعَنَهُمُ بِالسَّكِينِ .

أَمَّا إِذَا وَضَعُوهُ فِي قَبْرِ ، فَإِنَّهُ سَوْفَ يَدْعُهُمْ يَهِيلُونَ عَلَيْهِ التُّرَابَ .
وَطَبْعًا سَيَتِمُّ ذَلِكَ لَيْلًا كَمَا سَمِعَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ ، وَعَلَى هَذَا فَلَنْ يَصْنَعَبَ
عَلَيْهِ أَنْ يَشُقَّ طَرِيقَهُ إِلَى خَارِجِ الْقَبْرِ بِمُجَرَّدِ أَنْ يَنْصَرِفُوا . كُلُّ مَا تَمَنَاهُ
هُوَ أَلَّا تَكُونَ طَبَقَةُ التُّرَابِ الْمُهَالَّةِ عَلَيْهِ سَمِيكَةً بِحَيْثُ يَعْجُزُ عَنِ
الْخُرُوجِ .

عَلَى أَنَّ الْخَطَرَ الْأَكْبَرَ هُوَ أَنْ يُلَاحِظَ الْحَارِسُ ، عِنْدَمَا يُحْضِرُ لَهُ
الْعِشَاءَ ، مَا حَدَثَ فِي الْغُرْفَةِ مِنْ تَغْيِيرٍ . وَلَكِنْ لِحُسْنِ الْحِظِّ أَنَّ دَائِتِي

كَانَ كَثِيرًا مَا يَتَصَادَفُ أَنْ يَكُونَ نَائِمًا ، وَحَدَّثَ ذَلِكَ عِشْرِينَ مَرَّةً عَلَى الْأَقْل ، عِنْدَ مَجِيءِ الْحَارِسِ ، فَكَانَ هَذَا يَضَعُ الطَّعَامَ عَلَى الْمَائِدَةِ وَيُنْصَرِفُ دُونَ أَنْ يَتَبَسَّ بِكَلِمَةٍ . وَلَكِنْ مِنَ الْمُمْكِنِ أَلَّا يَصْنُمَتِ الْحَارِسُ هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَقَدْ يُوَجِّهُ الْحَدِيثَ إِلَيْهِ فَلَا يَسْمَعُ رَدًّا ، فَيَقْتَرِبُ مِنْهُ وَيَكْتَشِفُ كُلَّ شَيْءٍ .

وَلَكِنْ مَرَّتِ السَّاعَاتُ دُونَ أَنْ يَحْدُثَ مَا يُغَكِّرُ صَفْوَ الْهَدْوِ دَاخِلِ السَّجْنِ . وَأَحْسَ دَائِي بِالطَّمَأْنِينَةِ ؛ فَقَدْ زَالَ أَوَّلُ الْأَخْطَارِ .

وَفِي الْمَوْعِدِ الَّذِي كَانَ قَدْ حَدَدَهُ مَأْمُورُ السَّجْنِ مِنْ قَبْلُ ، سَمِعَ دَائِي وَقَعَ أَقْدَامِ تَقْتَرِبُ مِنَ الْبَابِ . إِذَا فَالَوْقْتُ قَدْ حَانَ ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ شَجَاعًا ، بَلْ أَكْثَرَ شَجَاعَةً مِنْهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ مَضَى .

وَأَحْسَ إِذْ مُونَ بِمَنْ يَتَوَقَّفُ عِنْدَ الْبَابِ ، وَكَانَا أَتَيْنِ وَضَعَا عَلَى الْأَرْضِ لَوْحًا مِنَ الْخَشَبِ لِيَحْمِلَا عَلَيْهِ الْجُثْمَانِ .

وَفُتِحَ الْبَابُ ، فَرَأَى دَائِي عَلَى الضَّوِّءِ الْخَافِتِ الْوَاصِلِ إِلَيْهِ مِنْ خِلَالِ خُيُوطِ الْغُرَارَةِ ، شَخْصَيْنِ يَقْتَرِبَانِ مِنْ فِرَاشِهِ ، عَلَى حِينِ بَقِيَ شَخْصٌ ثَالِثٌ عِنْدَ الْبَابِ يَحْمِلُ الْمِصْبَاحَ .

وَحَمَلَهُ الرَّجُلَانِ كُلُّ مِنْ طَرَفٍ . وَقَالَ أَحَدُهُمَا ، وَكَانَ يَحْمِلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ الرَّأْسِ : « هَذَا الْجِسْدُ ثَقِيلٌ بِالنَّسَبَةِ لِعَجُوزٍ نَحِيلٍ . » فَأَجَابَهُ

الْآخَرُ ، وَكَانَ يَحْمِلُهُ مِنْ نَاحِيَةِ الْقَدَمَيْنِ : « يَقُولُونَ إِنَّ كُلَّ سَنَةٍ تَمُرُّ مِنْ عُمْرِ الْإِنْسَانِ تَزِيدُ مِنْ وَزْنِ عِظَامِهِ . »

المَقْبَرَةُ

سَأَلَ أَوْلَهُمَا : « هَلْ أُحْكِمْتَ رَبْطَ الْغُرَارَةِ ؟ »

« لَا أَرَى ضَرُورَةَ لِنَزِيدَ مِنْ وَزْنِ الْغُرَارَةِ . يُمَكِّنُنَا أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ عِنْدَمَا نَصِلُ . »

« رَأَيْكَ صَائِبٌ . »

تَسَاءَلَ دَائِي : « أَيُّ شَيْءٍ ذَلِكَ الَّذِي سَيَرْتَبِطُونَهُ ؟ »

وَوَضَعَا « أَلَمِيَّتَ » عَلَى النَّقَالَةِ ، وَصَعِدَا دَرَجَاتِ السُّلَّمِ يَتَقَدَّمُهُمَا حَامِلُ الْمِصْبَاحِ .

أَحْسَ دَائِي فَجْأَةً بِهَوَاءِ اللَّيْلِ الْمُنْعَشِ الْبَارِدِ . وَمَشَى الرَّجُلَانِ نَحْوَ عِشْرِينَ مِثْرًا ثُمَّ تَوَقَّفُوا ، وَوَضَعُوا الْجُثْمَانِ عَلَى الْأَرْضِ .

وَاتَّبَعَهُ وَاحِدٌ مِنَ الرَّجُلَانِ الثَّلَاثَةِ ، وَسَمِعَ دَائِي صَوْتَ وَقَعَ خُطُواتِهِ وَهُوَ يَمْضِي ، فَتَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ : أَيْنَ أَنَا الْآنَ ؟ »

قَالَ أَحَدُ الرَّجُلَيْنِ الْآخَرَيْنِ وَكَانَ يَجْلِسُ عِنْدَ حَافَةِ النَّقَالَةِ : « إِنَّهُ

بِالْفِعْلِ حِمْلٌ ثَقِيلٌ ! « وَلِلْحِظَةِ خَطَرٌ بِإِلْ دَائِي أَنْ يَهْرُبَ فِي الْحَالِ
غَيْرَ أَنَّهُ لِحُسْنِ الْحِظِّ لَمْ يَفْعَلْ .

قَالَ الرَّجُلُ الْآخَرُ لِحَامِلِ الْمِصْبَاحِ : « أَنْتَ ، تَعَالَ هُنَا وَأُضِيئِ لِي
حَتَّى أَعْثُرَ عَلَى مَا أَبْحَثُ عَنْهُ . »

وَأَتَجَهَّ حَامِلُ الْمِصْبَاحِ نَحْوَهُ .

وَتَسَاءَلَ دَائِي : « مَاذَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الشَّيْءُ الَّذِي يَبْحَثُ
عَنْهُ الرَّجُلُ ؟ أَمْ يَكُونُ مَعُولًا لِلْحَقِيرِ ، لَكِنْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ الْمَقْبَرَةَ
جَاهِزَةٌ الْآنَ . »

وَسَمِعَ قَائِلًا يَقُولُ : « هَإِنْدَا قَدْ عَثَرْتُ عَلَيْهِ . »

اقْتَرَبَ الرَّجُلُ مِنَ إِذْمُونِ الَّذِي أَحْسَنَ بِثِقَلِ جِسْمِهِ يُلْقَى إِلَى جَانِبِهِ ،
ثُمَّ بِشَيْءٍ يُلْفَ حَوْلَ قَدَمَيْهِ .

قَالَ الرَّجُلُ الَّذِي كَانَ يُرَاقِبُ زَمِيلَهُ : « هَلْ رَبَطْتَهُ بِأَحْكَامٍ ؟ »
« نَعَمْ ، إِنَّهُ مُحْكَمٌ ثَمَامًا . »

« تَحَرَّكْ إِذَا . »

شَعَرَ دَائِي مَرَّةً أُخْرَى أَنَّهُمْ يَحْمِلُونَهُ . وَبَعْدَ أَنْ سَارُوا بِضَعِّ

خُطَوَاتِ عَادُوا فَتَوَقَّفُوا لِيَفْتَحُوا بَابًا ، ثُمَّ أَسْتَأْنَفُوا السَّيْرَ ؛ وَإِذَا بِصَوْتِ
الْمَوْجِ يَضْرِبُ الصُّخُورَ وَيَصِلُ إِلَى سَمْعِ إِذْمُونِ وَاضِحًا جَلِيلًا .

قَالَ أَحَدُهُمْ : « هَا قَدْ وَصَلْنَا أَخِيرًا ! »

قَالَ آخَرُ : « لَا ، لَيْسَ هُنَا . أَبْعُدُ قَلِيلًا : أَنْتَ تَذْكُرُ الْمَرَّةَ السَّابِقَةَ
عِنْدَمَا عَنَقْنَا الْمَامُورَ بِشِدَّةٍ ؛ لِأَنَّا أَخْطَأْنَا فَسَقَطَ الْجُثْمَانُ مِنَّا عَلَى
الصُّخُورِ بَدَلًا مِنْ سُقُوطِهِ فِي الْبَحْرِ . »

وَتَقَدَّمُوا خَمْسَ خُطَوَاتٍ أَوْ سِتًّا إِلَى الْأَمَامِ ، ثُمَّ شَعَرَ دَائِي بِهِمْ
يَحْمِلُونَهُ مِنْ رَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ .

صَاحُوا مَعًا : « وَاحِدٌ ! اِثْنَانِ ! ثَلَاثَةٌ ! اقْدِفُوا بَعِيدًا ! »

أَحْسَنَ دَائِي أَنَّهُ يَطِيرُ فِي الْهَوَاءِ ، ثُمَّ شَعَرَ أَنَّهُ يَسْقُطُ وَيَسْقُطُ
وَيَسْقُطُ . وَمَعَ أَنْ ثِقَلًا ضَحْمًا كَانَ يَجْذِبُهُ سَرِيعًا إِلَى أَسْفَلٍ ؛ فَقَدْ حِيلَ
إِلَيْهِ أَنَّهُ فِي الْهَوَاءِ مُنْذُ مِئَةِ عَامٍ ، ثُمَّ ارْتَنَطَمَ أَخِيرًا بِالْمَاءِ الْبَارِدِ . وَصَرَخَ ،
غَيْرَ أَنَّ أَلْمِيَاءَ الَّتِي غَمَرَتْهُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ أَخْرَسَتْ صَرَخَاتِهِ . كَانَ دَائِي
يَغُوصُ سَرِيعًا إِلَى قَاعِ الْبَحْرِ بِفِعْلِ ثِقَلِ الْحَجَرِ الْمَوْثِقِ بِهِ . إِذَا فَمَقْبَرَةٌ
سِجْنٍ إِنْ هِيَ ... الْبَحْرُ !

الفصل الثالث عشر جزيرة تيولين

سباحة لمسافة طويلة

كان دائتي من الحكمة بحيث لم يضع وقتي في الكفاح من أجل استنشاق الهواء . وأحسن صنعاً عندما أغلق فمه بعد الصيحة المباعثة التي أفلتت منه . ولما كان لا يزال ممسكاً بالسكين في يده اليمنى ؛ فسرعان ما مَرَّقَ الغرارة وخلَصَ ذراعَهُ ثُمَّ جَسَمَهُ كُلَّهُ . لَكِنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُحَرِّرَ نَفْسَهُ مِنْ ثِقَلِ الْحَجَرِ الْمَرْبُوطِ فِي قَدَمَيْهِ ، وَالَّذِي جَذَبَهُ بِقُوَّةٍ إِلَى الْقَاعِ . وَفِي اللَّحْظَةِ الْأَخِيرَةِ ، عِنْدَمَا شَعَرَ بِأَنَّهُ يوشِكُ أَنْ يَفْقِدَ آخِرَ مَا تَبَقِيَ لَهُ مِنْ قُوَّةٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يُخَلِّصَ قَدَمَيْهِ مِنَ الْحَجَرِ . وَصَعِدَ إِلَى سَطْحِ الْمَاءِ ، عَلَى حِينِ اسْتَقَرَّتِ الْغَرَارَةُ وَالْحَجَرُ الْمَرْبُوطُ بِهَا فِي الْقَاعِ . وَاسْتَشَقَّ دَائِي هَوَاءَ اللَّيْلِ الصَّافِي ، ثُمَّ رَاحَ يَسْبَحُ تَحْتَ الْمَاءِ ، خَشْيَةً أَنْ يَرَاهُ أَحَدٌ .

وعندما صعد إلى سطح الماء مرة أخرى ، كان قد ابتعد بمقدار مئة متر عن المكان الذي سقط فيه . ورفَعَ رَأْسَهُ إِلَى أَعْلَى فَرَأَى السَّمَاءَ

مُلبَّدةً بِغُيُومٍ سَوْدَاءَ تَدْفَعُهَا الرِّيحُ الْعَاصِفَةُ أَمَامَهَا . أَمَّا الْبَحْرُ فَقَدْ اتَّسَطَ أَمَامَهُ حَالِكُ السَّوَادِ رَهِيْبًا ، عَلَى حِينِ اتَّصَبَّتْ قَلْعَةُ إِفَ وَرَاءَهُ بِمِثْلِ عِمْلَاقٍ حَجَرِيٍّ أَشَدَّ سَوَادًا مِنَ الْبَحْرِ وَمِنَ الْغُيُومِ ، وَتَنَازَرَتْ حَوْلَهُ الصُّخُورُ بِمِثْلِ أَذْرُعٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ لِتُمْسِكَ بِخِنَاقِهِ . وَعَلَى أَعْلَى صَخْرَةٍ فِي الْقَلْعَةِ كَانَ ثَمَّةَ مِصْبَاحٍ تَبَيَّنَ عَلَى نُورِهِ شَبَحَ رَجُلَيْنِ وَبَدَأَ لَهُ لِحْظَتُهَا أَنَّهُمَا يَنْظُرَانِ إِلَى الْبَحْرِ . وَمَنْ يَذَرِي ، رُبَّمَا سَمِعَا صَرَخَتَهُ ؛ فَعَطَسَ دَائِي مَرَّةً أُخْرَى وَبَقِيَ تَحْتَ الْمَاءِ وَقْتُاً طَوِيلاً ، وَلَمْ يَجِدْ صُعُوبَةً فِي ذَلِكَ ؛ إِذْ كَانَتْ حُشُودُ النَّاسِ تَقِفُ عِنْدَ خَلِيجِ مَارَسِيلَا تُشَاهِدُهُ وَهُوَ يَسْبَحُ تَحْتَ الْمَاءِ ، وَكَانُوا يُرَدِّدُونَ أَنَّهُ أَمْهَرُ سَبَّاحٍ فِي الْمَدِينَةِ .

وعندما صعد إلى سطح الماء مرة أخرى كان نور المصباح قد اختفى .

وكان لزاماً على دائتي أن يواصل السباحة مُتَبَعِدًا عَنِ الشَّاطِئِ . وَكَانَتْ جُزُرُ رَاتُونُو وَبُومِيغِ وَدُومِ أَقْرَبَ الْجُزُرِ إِلَى قَلْعَةِ إِفَ ، لَكِنَّهَا كَانَتْ أَهْلَةً بِالسُّكَّانِ . أَمَّا جَزِيرَتَا تِيُولِنِ وَمِيرِ فَقَدْ كَانَتَا أَكْثَرَ أَمَانًا ، وَتَبْعُدَانِ عَنِ قَلْعَةِ إِفَ خَمْسَةَ كِيلُومِترَاتٍ ، وَلَكِنْ دَائِي قَرَّرَ أَنْ يَسْبَحَ إِلَيْهِمَا .

وَاكْتَشَفَ دَائِي مُنْذُ اللَّحْظَةِ الْأُولَى أَنَّهُ مَا زَالَ سَيِّدَ الْمَاءِ بِلا مُنَازَعٍ ، وَأَنَّ سِنِينَ السَّجْنِ الطَّوِيلَةِ لَمْ تُفْقِدْهُ قُدْرَتَهُ الْقَدِيمَةَ عَلَى السَّبَّاحَةِ .

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ كَانَتْ الْمَخَاوِفُ تُلَاحِظُهُ ، إِذْ تَرَأَى لَهُ أَنَّ وَرَاءَ كُلِّ
مَوْجَةٍ قَارِبًا يَجِدُ فِي أَثَرِهِ ، فَحَاوَلَ السَّبَاحَةَ سَرِيعًا حَتَّى يَتَبَعِدَ عَنْ قَلْعَةِ
إِفْ أَطْوَلَ مَسَافَةٍ مُمَكِّنَةٍ . بَيْنَ أَنْ السَّبَاحَةَ السَّرِيعَةَ أَرْهَقَتْهُ ، فَكَانَ لَا بُدَّ
لَهُ مِنْ أَنْ يَسْبَحَ يَبْطِئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يَبْلُغَ جَزِيرَةَ تَيْبُولِنَ أَوْ مِيرَ .

وَمَضَتْ سَاعَةٌ وَهُوَ لَا يَزَالُ مُسْتَمِرًّا فِي السَّبَاحَةِ .

وَرَأَى يَقُولُ لِنَفْسِهِ : « لَقَدْ سَبَحْتُ حَتَّى آلَانَ أَكْثَرَ مِنْ سَاعَةٍ فِي
مُوجَاهَةِ الرِّيحِ ، مِمَّا عَاقَ تَقْدُمِي قَلِيلًا ، فَإِذَا لَمْ أَكُنْ مُخْطِئًا فِي
تَقْدِيرَاتِي ، فَإِنَّ تَيْبُولِنَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ قَرِيبَةً مِنِّي جِدًّا .



وَفَجْأَةً ظَهَرَ مَا بَدَأَ أَنَّهُ سَحَبٌ مُنْخَفِضَةٌ ، كَمَا أَرْدَدَتْ السَّمَاءُ
أَكْفَهْرَارًا . وَأَحْسَنَ دَائِتِي بِأَلَمٍ حَادٍّ فِي رُكْبَتَيْهِ ، فَأَنْزَلَ قَدَمَهُ ، وَوَجَدَ
صَخْرَةً . وَعِنْدَئِذٍ تَبَيَّنَ لَهُ كُنْهُ الشَّيْءِ الَّذِي بَدَأَ مِثْلَ سَحَابَةٍ سَوْدَاءَ
مُنْخَفِضَةٍ ، وَأَبْصَرَ أَمَامَهُ كُتْلًا مِنَ الصُّخُورِ : لَقَدْ كَانَتْ هَذِهِ جَزِيرَةُ
تَيْبُولِنَ الصَّخْرِيَّةِ الْوَعْرَةِ الَّتِي لَا يَسْكُنُهَا أَحَدٌ .

العاصِفةُ

اسْتَطَاعَ دَائِتِي أَنْ يَجُرَّ نَفْسَهُ إِلَى الشَّاطِئِ ، وَلَمَّا كَانَتْ الْعَاصِيفَةُ
مَا زَالَتْ عَلَى أَشَدِّهَا فَقَدْ اسْتَلْقَى تَحْتَ صَخْرَةٍ نَائِتَةٍ يَحْتَمِي بِهَا .
وَتَسَاءَلَ : كَيْفَ تَسَنَّى لَهُ أَنْ يَسْبَحَ كُلَّ تِلْكَ الْمَسَافَةِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ
الْجَوْ ؟ لَقَدْ كَانَتْ الْأَمْوَاجُ مُخِيفَةً إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهَا بَدَتْ وَهِيَ تَرْتَبِطُ
بِالصُّخُورِ وَكَأَنَّهَا سَتَحْطُمُ الْجَزِيرَةَ تَحْطِيمًا . وَتَذَكَّرَ دَائِتِي أَنَّهُ لَمْ
يَشْرَبْ مَاءً وَلَمْ يَذُقْ طَعَامًا طَوَالَ يَوْمٍ كَامِلٍ ، فَمَدَّ يَدَهُ ، وَمَلَأَ رَاحَتَيْهِ
بِمَاءِ الْمَطَرِ وَشَرِبَ مِنْهُ .

وَفَجْأَةً ، وَفِي أَوْجِ الْعَاصِيفَةِ ، رَأَى قَارِبَ صَيْدٍ تَدْفَعُهُ الرِّيحُ
الشَّدِيدَةُ وَالْأَمْوَاجُ الْمُتَلَاطِمَةُ فَوْقَ الصُّخُورِ . وَبَعْدَ دَقِيقَةٍ رَأَاهُ مَرَّةً
أُخْرَى ، وَقَدْ أَصْبَحَ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَرَأَى خَمْسَةَ رِجَالٍ يَتَشَبَّثُونَ بِهِ ، ثُمَّ
سَمِعَ صَوْتَ آرْتِطَامٍ رَهِيبٍ ، تَبَعَتْهُ صَيْحَاتُ قَزَعٍ وَأَلَمٍ . لَقَدْ تَحْطَمَ
الْقَارِبُ ثَمَامًا .

وَهَبَطَ دَائِي مُسْرِعًا إِلَى الصُّخُورِ مُعْرِضًا نَفْسَهُ لِحَظَرِ الْمَوْتِ ،
وَرَاخَ يُصْغِي لِكِنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ أَوْ يَرِ شَيْئًا . لَقَدْ تَلَاشَتْ الصَّرَخَاتُ وَلَمْ
يَبْقَ غَيْرَ زَيْبِ الْعَاصِفَةِ .

وَهَذَاتِ الرِّيحِ أُخِيرًا . وَكَانَتْ ثَمَّةُ سَحْبٍ رَمَادِيَّةٍ تَتَحَرَّكُ جِهَةَ
الْقَرْبِ ، وَظَهَرَ خَطُّ أَحْمَرَ فِي الْأَفْقِ ، وَأَصْبَحَتْ الْأَمْوَاجُ بَيضاءَ عَلَى
حِينَ رَاخَ النَّوْرُ يَعْبَثُ بِالْمَوْجِ وَيَلْمِسُ قِمَمَهُ بِأَصَابِعِهِ الذَّهَبِيَّةِ . وَكَانَ
مَوْلِدُ يَوْمٍ جَدِيدٍ .

وَقَفَ دَائِي سَاكِنًا يَرْقُبُ هَذَا الْمَنْظَرَ الْعَجِيبَ . لَقَدْ أَنْسَاهُ السَّجْنُ
أَنْ فِي الْكَوْنِ مِثْلَ هَذَا الْمَنْظَرِ السَّاحِرِ . وَأَتَجَهَّ بِبَصَرِهِ ثَانِيَةً إِلَى قَلْعَةٍ
إِفَ وَالْبَحْرِ وَالْأَرْضِ .

وَرَاخَ يَتَحَيَّلُ : « بَعْدَ سَاعَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثٍ عَلَى الْأَكْثَرِ ، سَوْفَ يَدْخُلُ
الْحَارِسُ إِلَى غُرْفَتِي لِيَكْشِفَ أَنْ الرَّاقِدَ فِي فِرَاشِي هُوَ جُثْمَانُ صَدِيقِي
الْمِسْكِينِ فَارِيَا ، فَسَيَبْحَثُ عَنِّي ، وَلَكِنَّهُ لَنْ يَغْثُرَ لِي عَلَى اثْرِ ، وَعِنْدَئِذٍ
يُنَادِي عَلَى زُمَلَائِهِ . وَسَاعَتَهَا سَيَكْشِفُونَ السَّرْدَابَ ، ثُمَّ يَبْدَعُونَ فِي
اسْتِجْوَابِ الرُّجَالِ الَّذِينَ أَلْقَوْا بِي فِي الْبَحْرِ وَالَّذِينَ لَا بُدَّ قَدْ سَمِعُوا
صَرَخَتِي . أَمَّا الْقَوَارِبُ الْمُحْتَشِدَةُ بِالْجُنُودِ فَسَوْفَ يُطْلِقُونَهَا فِي إِثْرِ
السَّجْنِ الْهَارِبِ ، عَلَى حِينِ يَدُقُّ جَرَسُ الْقَلْعَةِ الْكَبِيرِ ، وَيَرُوحُ كُلُّ
إِنْسَانٍ يَبْحَثُ عَنْ رَجُلٍ هَائِمٍ عَلَى وَجْهِهِ غُرْيَانٌ يَبْحَثُ عَنْ طَعَامٍ .
وَفِي مَارْسِيلِيَا سَتَشَدُّ الشَّرْطَةُ الْمُرَاقِبَةُ ، عَلَى حِينِ يَبْحَثُ عَنِّي مَأْمُورٌ

السَّجْنِ وَرِجَالُهُ فِي غُرْضِ الْبَحْرِ . إِنِّي أَشْعُرُ بِالْبَرْدِ وَالْجُوعِ ، وَحَتَّى
السَّكِينُ الَّتِي أَنْقَذْتَنِي فَقَذَتْهَا . يَا إِلَهِي ، حَسْبِي مَا لَقِيتُ ! عَوْنُكَ
اللَّهُمَّ ، عَوْنُكَ ! »

السَّفِينَةُ

بَيْنَمَا كَانَ دَائِي يَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ طَالِبًا مِنْهُ الْعَوْنَ ، بِعَيْنَيْنِ شَاخِصَتَيْنِ
تُجَاهَ قَلْعَةٍ إِفَ ؛ رَأَى سَفِينَةً صَغِيرَةً تَظْهَرُ عِنْدَ نَهَايَةِ جَزِيرَةِ بُومِيغٍ قَادِمَةً
مِنْ مَارْسِيلِيَا مُتَّجِهَةً بِسُرْعَةٍ إِلَى غُرْضِ الْبَحْرِ .

وَصَرَخَ دَائِي مُحَدِّثًا نَفْسَهُ : « لَوْ لَمْ أَكُنْ خَائِفًا مِنْ فَضُولِ النَّاسِ
وَكَثْرَةِ اسْتِئْثَانِهِمْ ، وَاحْتِمَالِ اكْتِشَافِ أَمْرِي وَإِعَادَتِي إِلَى مَارْسِيلِيَا ،
لَرَكِبْتُ هَذِهِ السَّفِينَةَ . مَاذَا أَفْعَلُ ؟ أَيُّ قِصَّةٍ يُمَكِّنُ أَنْ أَرْوِيهَا لَهُمْ ؟

« لَا أَسْتَطِيعُ الْإِنْتِظَارَ لِأَنَّهُ لَا بُدَّ لِي مِنْ طَعَامٍ . آه ! يُمَكِّنُنِي أَنْ
أُدْعِيَ أَنِّي كُنْتُ وَاحِدًا مِنَ الْبَحَّارَةِ الَّذِينَ تَحَطَّمَتْ بِهِمُ الْقَارِبُ لَيْلَةَ
أُمْسٍ . وَسَوْفَ يُصَدِّقُونَ رِوَايَتِي لِأَنَّ الْعَاصِفَةَ كَانَتْ عَاتِيَةً لِلْغَايَةِ ، وَلَمْ
يَنْجُ أَحَدٌ حَتَّى يُكَذِّبَ رِوَايَتِي . »

وَبَيْنَمَا كَانَ دَائِي يَتَحَدَّثُ إِلَى نَفْسِهِ رَاخَ يَجُولُ بِبَصَرِهِ عِنْدَ الصُّخُورِ
فِي الْمَكَانِ الَّذِي تَحَطَّمَتْ فِيهِ قَارِبُ الصَّيِّدِ ، فَإِذَا بِهِ يَرَى قُبْعَةً حُمْرَاءَ
لِوَاحِدٍ مِنَ الْبَحَّارَةِ مُعَلَّقَةً عَلَى نُتُوءٍ فِي الصَّخْرَةِ ، وَوَجَدَ أَيْضًا قِطْعًا مِنْ

حُطَامِ الْقَارِبِ اسْفَلَ الصَّخْرَةِ .

هَذَا اكْتَمَلَتِ الْخُطَّةُ فِي رَأْسِ دَائِي ، فَسَبَحَ إِلَى الصَّخْرَةِ ، وَأَخَذَ الْقَبْعَةَ وَوَضَعَهَا عَلَى رَأْسِهِ . وَأَخَذَ قِطْعَةً مِنْ حُطَامِ الْقَارِبِ ، وَاتَّجَهَ نَاجِيَةَ السَّفِينَةِ بِحَيْثُ يَرَاهُ قَائِدُهَا .

وَأَقْتَرَبَتِ السَّفِينَةُ مِنْهُ ، فَفَقَزَ فَوْقَ الْمَوْجِ وَصَرَخَ مُلَوِّحًا يَدَيْهِ . وَمَالَتِ السَّفِينَةُ نَحْوَهُ وَدَلُّوا لَهُ أَحَدَ قَوَارِبِ النُّجَاةِ وَفِيهِ رَجُلَانِ ؛ فَتَرَكَ دَائِي قِطْعَةَ الْخَشَبِ وَبَدَأَ يَسْبَحُ نَحْوَ الْقَارِبِ . وَلَكِنَّهُ شَعَرَ بِقَوَاهُ تَخَوُّهُ مِنْ فَرَطِ الْإِرْهَاقِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ تَحْرِيكَ ذِرَاعَيْهِ أَوْ رِجْلَيْهِ ؛ فَصَرَخَ مُسْتَنْجِدًا ، فَزَادَ الرَّجُلَانِ مِنْ سُرْعَةِ تَجْدِيفِهِمَا وَهُمَا يَصِيحَانِ : « تَشَجُّعْ ! هَا نَحْنُ آتِيَانِ ! »

وَصَلَتِ الْكَلِمَاتُ إِلَى سَمْعِ دَائِي مَعَ مَوْجَةِ بَحْرِ عَاتِيَةٍ غَمَرَتْهُ تَمَامًا ، ثُمَّ طَفَأَ ثَانِيَةً لَكِنَّهُ وَجَدَ نَفْسَهُ يَغْرُقُ ، كَأَنَّ الْحَجَرَ الثَّقِيلَ مَا زَالَ مَشْدُودًا إِلَى قَدَمَيْهِ ، وَإِذَا بِالْمِيَاهِ تَعْمُرُهُ وَتُعْطِي رَأْسَهُ ، وَبَدَتْ السَّمَاءُ حُمْرَاءَ . وَعِنْدَئِذٍ أَحَسَّ أَنَّ شَخْصًا يَجْذِبُهُ مِنْ شَعْرِهِ إِلَى أَعْلَى ، ثُمَّ مَا لَبِثَ أَنْ رَاحَ فِي غَيْبِيَّةٍ فَلَمْ يَعُدْ يَسْمَعُ أَوْ يَرَى شَيْئًا .

إِلَى لِيغْهُورُنْ

عِنْدَمَا فَتَحَ دَائِي عَيْنَيْهِ ، وَجَدَ نَفْسَهُ فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، فَأَوَّلُ



مَا فَعَلَ هُوَ أَنَّهُ نَظَرَ لِيَرَى إِلَى أَيْنَ تَتَّجِهُ السَّفِينَةُ .

فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُمْ يَتْرَكُونَ قَلْعَةً إِفٍ وَرَاءَهُمْ ، لَمْ يَسْتَطِيعْ أَنْ يُقَاوِمَ صَرَخَةَ فَرَحِ خَافَتِهِ .

وَوَجَدَ بَحَارًا يُدَلِّكُ لَهُ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ بِقِطْعَةٍ مِنَ الْقُمَاشِ الْخَافِ ، وَآخِرَ يُمَسِّكُ فِتْنَجَانًا مَمْلُوءًا بِسَائِلِ مُقْرَبَا إِيَّاهُ مِنْ فَمِهِ حَتَّى يُعِينَهُ عَلَى احْتِسَاءِ مَا بِهِ ، وَكَانَ هُوَ الشَّخْصَ نَفْسَهُ الَّذِي شَجَّعَهُ وَطَلَبَ مِنْهُ أَنْ يَصْمُدَ ، عَلَى حِينِ وَقَفَ بَحَارٌ ثَالِثٌ عَجُوزٌ ، هُوَ رُبَّانُ السَّفِينَةِ يُرَاقِبُ مَا يَجْرِي .

بدا على دائتي أنه استعاد بعض قوته بتأثير الشراب الذي قدموه له ،
فسأله الربان : « من أنت ؟ »

أجابهُ : « أنا من مالطة . كنا قادمين من سرقوسة ، وكانت معنا
حمولة قمح ، لكن عاصفة الليلة الماضية حاصرتنا ، وخطمت سفينتنا
على هذه الصخور . »

« من أين كنت قادمًا ؟ »

« من تلك الصخور . سبحت إليها إلى أن بلغتُها ، وبقيت هناك
متشبثًا بها . أما المجموعة بما فيهم الربان فقد غرقوا . وقد أحسست
بالخوف من أن أظل على تلك الجزيرة المهجورة وحدي أواجه
الموت . وعندما رأيت سفينتكم أتت نحوكم مستعينا بلوح خشبي
من حطام قاربنا . فشكرا لكم على أنكم أنقذتم حياتي ، وشكرا للبحار
الذي أنقذني بجذبي من شعر رأسي ، بعد أن أوشكت على الغرق . »

صاح بحار ضخم وسيم : « إنه أنا ! لقد أمسكت بك في آخر
لحظة . »

مدّ دائتي يده إليه قائلا : « أشكرك ! أشكرك ثانية ! »

غير أن البحار بادره فقال : « لا تؤاخذني إذا ما أبديت شكوكي
في قصيتك . إن ملامحك ولحياتك المرسلة وشعرك الطويل لا تنبئ

بأنك بحار ، بل لص . »

وتذكرّ دائتي أنه بالفعل لم يخلق لحيته أو يقص شعر رأسه طيلة
المدة التي قضاها في السجن ، فاستدرك يقول : « هو نذر نذرته
حينما حاق بي محنة رهيبه ، إن نجاني الله ألا أخلق ذقني أو أقص
شعري مدة أعوام أربعة . وها قد أوشكت المدة أن تنتهي . »

سأله الربان : « وآلآن ما الذي يمكن أن تصنعه لك ؟ »

« ما تحب ، فقد مات رباني ، ونجوت لتوي بحياتي ، وأنا بحار
ماهر ، فإذا أنزلتموني في أول ميناء تقفون فيه فسوف يكون من السهل
عليّ الحصول على عمل . »

« هل تعرف هذه البحار ؟ »

« نعم ، لقد أبحرت فيها منذ كنت طفلا . وأنا أعرف كل خليج ،
وكل رأس على شواطئ فرنسا وإيطاليا . »

قال البحار ، الذي انتشله من الغرق ، للربان : « يا سيدي الربان ،
إذا كان ما يقوله صحيحا فلم لا يبقى معنا ؟ »

ردّ الربان : « هذا إذا كان ما يقوله صحيحا . أما في ظروفه الراهنة
فإنه سوف يعد بأي شيء ، ثم هو وحظه بعد ذلك فاما وفي واما
عجز . »

قَالَ دَانِي : « بَلْ أَنَا عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِأَنْ أَقْدَمَ لَكُمْ مَا هُوَ أَكْثَرُ مِنَ
الْوَعْدِ . إِلَى أَيْنَ أَنْتُمْ ذَاهِبُونَ ؟ »

« إِلَى لِيْغْهَوْرَن . »

« لِمَاذَا لَا تَجْرُونَ مَعَ الرِّيحِ ؟ »

« لِأَنَّا لَا نُرِيدُ أَنْ نَضْطَرَّ بِمُباشَرَةٍ بِجَزِيرَةِ رِيُو . »

« بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَبْتَعدَ عَنْهَا مَسَافَةً ثَلَاثِينَ مِثْرًا . »

بَدَتْ الدَّهْشَةُ عَلَى وَجْهِ الرُّبَّانِ فَسَأَلَ دَانِي : « هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَفْعَلَ
ذَلِكَ حَقًّا ؟ »

أَصْدَرَ دَانِي أَمْرًا سَرِيعًا بِطَيِّ الْأَشْرَعَةِ ، فَغَيَّرَتِ السَّفِينَةُ مَسَارَهَا .

بَدَا عَلَى السَّفِينَةِ كَمَا لَوْ كَانَتْ قَدْ أَحْسَتْ بِأَنْ قَبْضَةَ سَيِّدٍ خَبِيرٍ
تَقْوُذُهَا ، عَلَى حِمْنٍ رَاحٍ يَتَرَاقِصُ عَلَى جَانِبَيْهَا شَرِيطُ مَاءٍ أَيْضُ كَالثَّلْجِ .
وَوَقَفَ الرُّبَّانُ يَرْقُبُ .

وَلِدَقِيقَةٍ تَسْلَلُ الْخَوْفُ إِلَى قَلْبِهِ ، وَبَعْدَهَا مَرَّتِ السَّفِينَةُ بِالْجَزِيرَةِ .
وَأَجْتَازَتْهَا عَلَى مَبْعَدَةِ ثَلَاثِينَ مِثْرًا إِلَى الْيَمِينِ كَمَا قَالَ دَانِي تَمَامًا .

رَيْنُ الْجَرَسِ

قَالَ الرُّبَّانُ : « عَظِيمٌ ! »

وَصَاحَ الْبَحَّارَةُ : « أَحْسَنْتَ ! »

وَنَظَرَ الْجَمِيعُ بِإِعْجَابٍ إِلَى قُوَّةِ وَمَهَارَةِ هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ مِنْذُ
لَحْظَةٍ وَجِيزَةً مُمَدِّدًا عِنْدَ أَقْدَامِهِمْ كَالْمَيِّتِ .

قَالَ دَانِي وَهُوَ يَتَقَدَّمُ إِلَى الْأَمَامِ : « كَمَا تَرَوْنَ ، سَوْفَ أَكُونُ نَافِعًا
لَكُمْ ، عَلَى الْأَقْلَ خِلَالَ هَذِهِ الرَّحْلَةِ . فَإِذَا اسْتَعْنَيْتُمْ عَنِّي فِي لِيْغْهَوْرَن
فَيُمْكِنُكُمْ أَنْ تَتْرَكُونِي هُنَاكَ وَأَنَا مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَدْفَعَ لَكُمْ أَجْرَ الطَّعَامِ
وَالْمَلَابِسِ الَّتِي أُعْطِيتُمُونِيهَا ، وَذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ أَجْرِ اتِّقَاضِهِ . »

قَالَ الرُّبَّانُ : « إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَدْفَعَ لَكَ ، إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تَطْلُبُهُ
كَثِيرًا . »

أَجَابَهُ دَانِي : « أَنَا لَا أُرِيدُ أَكْثَرَ مِمَّا تَدْفَعُهُ لِلْآخَرِينَ . »

قَالَ الْبَحَّارُ الَّذِي اتَّقَدَّهُ : « هَذَا لَيْسَ عَدْلًا ؛ لِأَنَّكَ تَعْرِفُ أَكْثَرَ مِمَّا
نَعْرِفُ . »

قَالَ الرُّبَّانُ : « لِمَاذَا تَقُولُ هَذَا يَا جَاكُوبُو ؟ كُلُّ إِنْسَانٍ خَرٌّ فِي أَنْ
يَطْلُبُ مَا يُرِيدُ . »

أَجَابَ جَاكُوبُ : « هَذَا صَحِيحٌ يَا سَيِّدِي ، وَلَكِنِّي قُلْتُ مَا خَطَرَ
لِي . »

قَالَ الرَّبَّانُ : « إِنَّهُ مِنْ الْأَفْضَلِ لَوْ أُعْطِيْتَهُ بَعْضَ الْمَلَايِسِ . »

قَالَ جَاكُوبُ : « نَعَمْ ، سَأَفْعَلُ ذَلِكَ . » وَأَسْرَعَ وَأَخْضَرَ مَا يَلْزَمُ
إِذْمُونٍ مِنْ مَلَايِسٍ .

وَسَأَلَ الرَّبَّانُ دَانِيَّ : « هَلْ تُرِيدُ شَيْئًا آخَرَ ؟ »

« قَلِيلًا مِنَ الْخُبْزِ ، وَشَيْئًا أُشْرِبُهُ فَإِنِّي لَمْ أَذُقْ طَعَامًا أَوْ شَرَبًا مِنْ
مُدَّةٍ طَوِيلَةٍ . »

وَلَمْ يَكُنْ قَدْ ذَاقَ الطَّعَامَ أَوْ الشَّرَابَ لِثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ سَاعَةً ،
فَأَخْضَرُوا لَهُ قِطْعَةً خُبْزٍ وَكَوْبَ مَاءٍ .

وَفَجْأَةً دَوَى رَنْبِينَ جَرَسٍ فِي أَرْجَاءِ الْفَضَاءِ ، فَصَاحَ الرَّبَّانُ مُتَسَائِلًا :
« مَا هَذَا ؟ »

أَدَارَ دَانِيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ يَرْفَعُ الْكَوْبَ إِلَى فَمِهِ .

وَتَسَاءَلَ الرَّبَّانُ ثَانِيَةً : « مَا مَعْنَى هَذَا ؟ »

أَجَابَهُ دَانِيَّ : « لَا بُدَّ أَنْ سَجِينًا قَدْ هَرَبَ مِنْ سِجْنِ قَلْعَةِ إِف . »

نَظَرَ إِلَيْهِ الرَّبَّانُ ، وَلَكِن دَانِيَّ كَانَ قَدْ وَضَعَ الْكَوْبَ عَلَى فَمِهِ وَأَخَذَ
يَشْرَبُ كَأَنَّ الْأَمْرَ لَا يَعْنِيهِ ؛ فَتَلَاشَتْ مَخَاوِفُ الرَّبَّانِ إِنْ كَانَتْ ثَمَّةَ
مَخَاوِفٍ قَدْ سَاوَرَتْهُ .

وَقَالَ الرَّبَّانُ لِنَفْسِهِ : « حَتَّى إِذَا كَانَ هُوَ السَّجِينُ الْهَارِبُ . فَسَوْفَ
يَنْفَعُنَا كَثِيرًا . »

جَلَسَ دَانِيَّ إِلَى جَوَارِ جَاكُوبُ وَسَأَلَهُ : « فِي أَيِّ يَوْمٍ مِنَ الشَّهْرِ
نَحْنُ الْيَوْمَ ؟ وَفِي أَيِّ سَنَةٍ ؟ »

« هَلْ قُلْتَ : فِي أَيِّ سَنَةٍ ؟ »

« نَعَمْ . »

وَعَمَرَتْ وَجْهَ دَانِيَّ مَسْحَةٌ مِنَ الْحُزْنِ ، وَتَسَاءَلَ فِي نَفْسِهِ :
« أَلَا يَزَالُ أَيُّ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ ؟ مَاذَا حَدَّثَ لِمَرْسِيدِي ؟ هَلْ تَعْتَقِدُ
أَنِّي قَدْ مِتُّ ؟ هَلْ هِيَ ... ؟ »

كَانَتْ السَّفِينَةُ تَطِيرُ طَيْرَانًا مُبْتَعِدَةً عَنْ مَارْسِيلِيَا وَمُتَّجِهَةً إِلَى
لِيغْهُوْرُنَ .

إِلَيْهِ حَتَّى إِذَا مَا وَصَلُوا لِيَغْهُوْرُنْ كَانَ وَاضِحًا أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ بَيْنَهُمَا قَدْ
صَارَ عَلَى خَيْرٍ مَا يُرَامُ .

وَفِي لِيَغْهُوْرُنْ غَادَرَ دَائِنِي السَّفِينَةَ لِيَقْصَّ شَعْرَ رَأْسِهِ وَيَخْلُقَ لِحْيَتَهُ ،
وَلَمْ يَكُنْ قَدْ رَأَى وَجْهَهُ طَوَالَ هَذِهِ السَّنَوَاتِ . صَحِيحٌ أَنَّهُ يَذْكُرُ جَيِّدًا
كَيْفَ كَانَ يَبْدُو لَحْظَةً أَنْ دَخَلَ سِجْنٍ قَلْعَةٍ إِنْ ، لَكِنَّهُ كَانَ يَتَوَقَّى إِلَى
مَعْرِفَةِ مَا طَرَأَ عَلَيْهِ مِنْ تَغْيِيرٍ .

بَعْدَ أَنْ أَنْتَهَى مِنْ قَصِّ شَعْرِ رَأْسِهِ وَحِلَاقَةِ ذَقْنِهِ ، طَلَبَ مِنَ الْحَلَّاقِ
مِرَاةً . كَانَ وَجْهُهُ عِنْدَمَا دَخَلَ السِّجْنَ طَلْقًا مُسْتَدِيرًا ، كَانَ وَجْهَ شَابٍ
سَعِيدٍ . أَمَّا الْآنَ فَثَمَّةٌ تَغْيِرَاتٌ هَائِلَةٌ : فَقَدْ اسْتَطَالَ وَجْهُهُ ، وَصَارَ فَمُهُ
أَصْلَبَ وَأَقْوَى ، وَغَارَتْ عَيْنَاهُ وَبَانَ فِيهِمَا التَّفَكُّيرُ وَالْهَمُّ . أَمَّا بَشَرَتُهُ
فَقَدْ أَصْبَحَتْ أَكْثَرَ بَيَاضًا لِعَدَمِ تَعَرُّضِهِ كُلِّ هَذِهِ السَّنِينَ لِلشَّمْسِ
وَالْهَوَاءِ . حَتَّى صَوْتُهُ أَصْبَحَ مِنْ قَرِيطٍ مَا عَانَاهُ خَافِتًا تَشْوِبُهُ رَنَّةُ حُزْنٍ .

إِنَّ أَصْدِقَاءَهُ الْمُقَرَّبِينَ سَوْفَ يَعْجِزُونَ الْآنَ عَنِ التَّعَرُّفِ عَلَيْهِ ، فَهُوَ
نَفْسُهُ قَدْ أَنْكَرَ مَا آتَانَاهُ مِنْ تَغْيِرَاتٍ .

وَعَادَرَ مَحَلَّ الْحِلَاقَةِ ، وَذَهَبَ لِيَتَنَاعَ بَعْضَ الْمَلَابِسِ ، وَعِنْدَمَا عَادَ
إِلَى إِمِيلِيَا الصَّغِيرَةِ كَانَ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَى رَجُلٍ آخَرَ .

عِنْدَمَا صَعِدَ دَائِنِي إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ ، وَجَدَ بَحَارَتَهَا يَخْدُمُونَ رُبَانَهُمْ

الفصل الرابع عشر السَّفِينَةُ « إِمِيلِيَا الصَّغِيرَةُ »

تِجَارَةُ الْبَضَائِعِ الْمُهَرَّبَةِ

اِكْتَشَفَ دَائِنِي نَوْعَ التَّجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ تَقُومُ بِهَا السَّفِينَةُ الَّتِي يُبْحِرُ
عَلَيْهَا ، وَالَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا اسْمُ « إِمِيلِيَا الصَّغِيرَةِ » . لَقَدْ سَمِعَ
الْبَحَّارَةَ وَهُمْ يَتَحَدَّثُونَ ، وَعَرَفَ فِي الْحَالِ أَنَّ إِمِيلِيَا الصَّغِيرَةَ لَيْسَتْ
إِلَّا سَفِينَةً لِلْبَضَائِعِ الْمُهَرَّبَةِ ، وَأَنَّ بَحَارَتَهَا يُتْرَلُونَ بِضَائِعِهَا عَلَى الشَّاطِئِ
فِي اللَّيَالِي الْمُظْلِمَةِ ، وَدَاخِلَ خَلِيجٍ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ قَطُّ عُيُونُ رِجَالِ
الْجَمَارِكِ ، وَبِذَلِكَ يَتَسَنَّى لَهُمْ أَنْ يُفْلِتُوا مِنْ دَفْعِ الضَّرَائِبِ .

فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ لَمْ يَكُنْ لَدَى الرُّبَّانِ مَا يَجْعَلُهُ يَتَّقِي بِدَائِنِي أَوْ يَطْمَئِنُّ
إِلَيْهِ ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ، كَانَ يَخْشَى أَنْ يَكُونَ دَائِنِي وَاحِدًا مِنْ ضَبَاطِ
الْجَمَارِكِ وَأَنْ تَكُونَ قِصَّةُ الْعَاصِفَةِ وَالسَّفِينَةِ الْمَالِطِيَةِ قِصَّةً مُخْتَلَفَةً مِنَ
الْأَسَاسِ ، تَسْجُهَا خَيَالُهُ لِيَتَنَاحَ لَهُ أَنْ يَصْعَدَ إِلَى السَّفِينَةِ وَيَضْبُطَهَا . غَيْرَ
أَنَّ دَائِنِي اسْتَطَاعَ فِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ أَنْ يَجْعَلَ الرُّبَّانَ يَتَّقِي بِهِ وَيَطْمَئِنُّ

بإخلاص شديد . وَكَانُوا يَعْمَلُونَ بِحَدٍّ فَلَمْ يُدْدُوا دَقِيقَةً وَاحِدَةً مِنْ وَقْتِهِمْ خِلَالَ الْمُدَّةِ الَّتِي رَسَتْهَا السَّفِينَةُ فِي لِيغْهُورُن . وَفِي الْحَالِ كَانَتْ السَّفِينَةُ قَدْ حُمِلَتْ بِالْبَضَائِعِ الْجَدِيدَةِ . وَكَانَ عَلَى الرَّبَّانِ أَنْ يُغَادِرَ لِيغْهُورُن بِالْبَضَائِعِ بِأَسْرَعِ مَا يَسْتَطِيعُ ، وَيُفْرِغَهَا عَلَى الشَّاطِئِ عِنْدَ كُورَسِيكا .

وَأُبْحَرَتِ السَّفِينَةُ ، فَأَحَسَّ إِذْمُونُ بِنَشْوَةِ وَهُوَ يَسْتَنَشِقُ هَوَاءَ الْبَحْرِ الَّذِي تَأَقَّ إِلَيْهِ كَثِيرًا وَهُوَ سَجِينٌ . وَمَرَّوا بِجَزِيرَةِ بِيَانُوسَا ، وَكَانَتْ إِلَى يَمِينِهِمْ ، مُتَّجِهِينَ إِلَى كُورَسِيكا . وَفِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ وَجَدَ الرَّبَّانُ إِذْمُونُ وَاقِفًا عَلَى جَانِبِ السَّفِينَةِ ، شَاخِصًا بَبَصَرِهِ إِلَى كُتْلَةِ صُخُورٍ صَبَّغَتْهَا أَشِعَّةُ الشَّمْسِ الْمُشْرِقَةِ بِلَوْنٍ وَرْدِيٍّ جَمِيلٍ . وَلَمْ تَكُنْ تِلْكَ الصُّخُورُ سِوَى جَزِيرَةِ مُونْتِ كْرِيسْتُو . وَاجْتَازَتْهَا إِمِيلِيَا الصَّغِيرَةُ بِمَسَافَةِ سِتَّةِ كِيلُومِتْرَاتٍ إِلَى الْيَسَارِ ، وَاسْتَمَرَّتْ فِي طَرِيقِهَا إِلَى كُورَسِيكا .

الاجتماع

خَطَرَ بِإِلِ دَانْتِي وَهُمْ يَمُرُّونَ بِجَزِيرَةِ مُونْتِ كْرِيسْتُو أَنْ يَقْفِزَ مِنَ السَّفِينَةِ ، وَيَسْبَحَ فِي الْمَاءِ مُتَّجِهَاً إِلَيْهَا وَيَصِلَهَا خِلَالَ سَاعَةٍ . غَيْرَ أَنَّهُ رَاحَ يَتَسَاءَلُ فِي نَفْسِهِ : « كَيْفَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُخْرِجَ الْكَثْرَ مِنَ الْجَزِيرَةِ ؟ مَاذَا سَيَقُولُ الرَّبَّانُ وَالْبَحَّارَةُ عَنْهُ ؟ لَقَدْ تَعَلَّمَ الصَّبْرَ وَالْإِنْتِظَارَ ، وَقَدْ

اِنْتَظَرَ سِنِينَ طَوِيلَةً لِيُصْبِحَ حُرًّا ، وَيُمْكِنَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ بِضْعَةَ أَشْهُرٍ لِيَصِيرَ غَنِيًّا .

« قَدْ يَكُونُ الْكَثْرُ مُجَرَّدَ حُلْمٍ ، وَقَدْ يَكُونُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ لَيْسَ إِلَّا اخْتِرَاعًا مِنْ بَنَاتِ أَفْكَارٍ فَارِيَا . غَيْرَ أَنَّ خِطَابَ الْأَمِيرِ سَبَّادَا حَقِيقَةً مُؤَكَّدَةٌ تُعْلِنُ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ مِنْ نَسْجِ الْخَيَالِ . » وَاسْتَرْجَعَ دَانْتِي كَلِمَاتِ الْخِطَابِ ، وَاکْتَشَفَ أَنَّهُ يَحْفَظُهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ ، وَأَنَّهُ لَمْ يَنْسَ مِنْهُ كَلِمَةً وَاحِدَةً .

وَأَقْتَرَبَ اللَّيْلُ ، فَبَدَتْ الْجَزِيرَةُ جَمِيلَةً مَعَ أَضْوَاءِ الْمَسَاءِ . وَظَلَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ حَتَّى اخْتَفَتِ الْجَزِيرَةُ كُلُّهَا فِي الظَّلَامِ ، لَكِنَّ دَانْتِي الَّذِي كَانَتْ عَيْنَاهُ قَدْ تَعَوَّدَتَا عَلَى اخْتِرَاقِ الظَّلَامِ ظَلَّ يَرَاهَا بَعْدَ أَنْ اخْتَفَتِ مِنْ أَمَامِ أَغْنِي الْآخَرِينَ .

وَمَرَّةً أُخْرَى تَسَاءَلَ دَانْتِي : « كَيْفَ أَتْلُغُ الْجَزِيرَةَ وَأُخْرِجَ الْكَثْرَ مِنْهَا فِي أَمَانٍ ... إِنْ كَانَ ثَمَّةَ كَثْرٍ ! الْكَثْرُ لِي ، وَهَذِهِ حَقِيقَةٌ ، وَلَكِنِّي لَا أُمْلِكُ ثَقُودًا أَتْبَاعُ بِهَا قَارِبًا يُعِينُنِي عَلَى الْحُصُولِ عَلَيْهِ . »

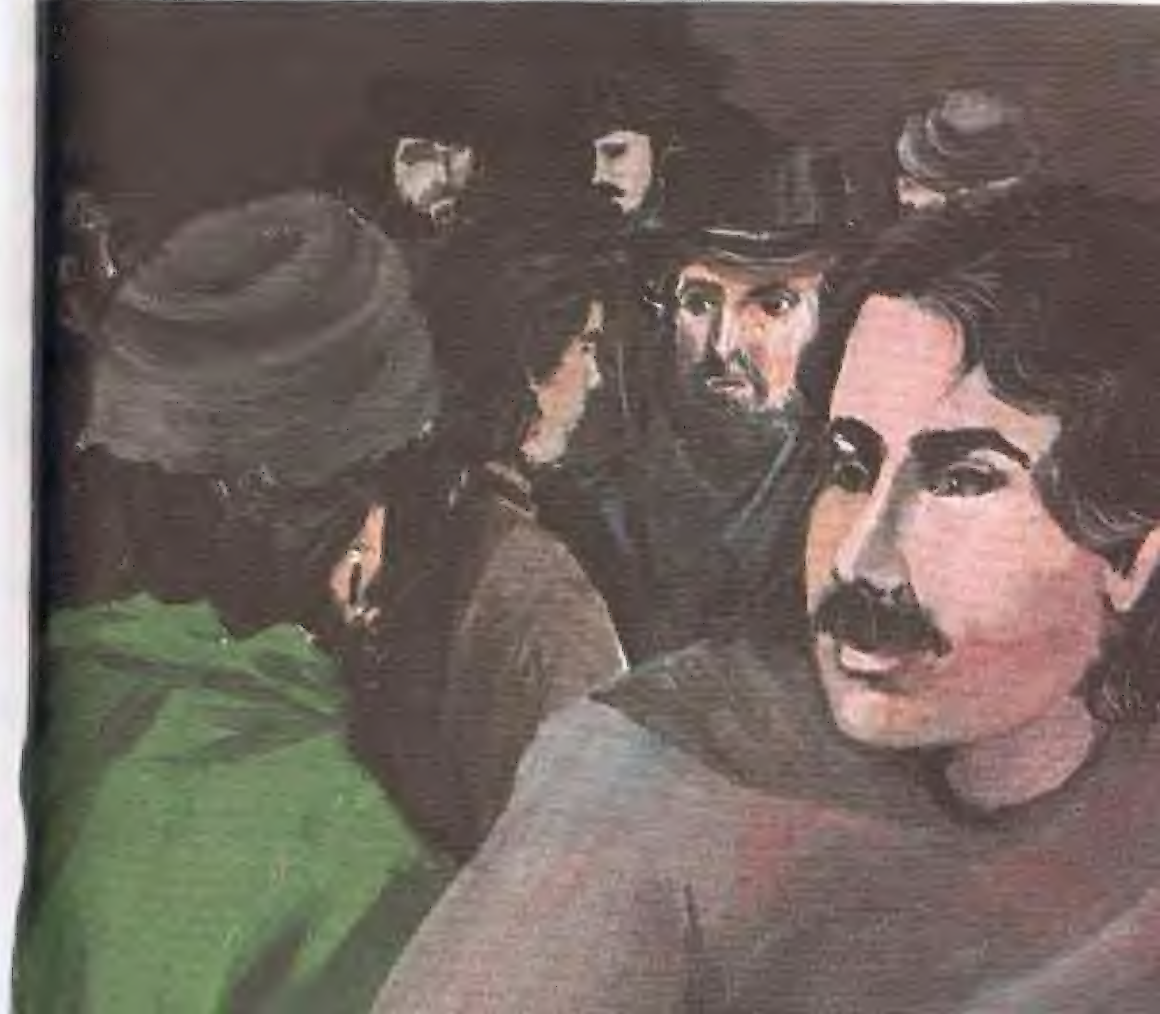
كَانَ لَا يَرَى الْقَلْبُ هَذَا السُّؤَالَ فِي ذَهْنِهِ وَهُمْ فِي طَرِيقِ عَوْدَتِهِمْ مِنْ كُورَسِيكا إِلَى لِيغْهُورُن .

وَفِي لِيغْهُورُن ، ذَاتَ مَسَاءٍ ، طَلَبَ الرَّبَّانُ مِنْ دَانْتِي أَنْ يَذْهَبَ وَيَحْضُرَ مَعَهُ اجْتِمَاعًا . لَقَدْ أَصْبَحَ الرَّبَّانُ آلَانَ يَتَّقِي بِدَانْتِي تَمَامَ الثَّقَةِ ،

لَوْ أَنَّهَا لَمْ تَوْضَعْ فِي مَكَانِهَا مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا لِهَذَا الْغَرَضِ .

عَمَرَ دَائِي قَرَحٌ عَظِيمٌ عِنْدَمَا سَمِعَ اسْمَ مُونْتِ كَرِيسْتُو ، فَتَهَضَّ مِنْ مَكَانِهِ حَتَّى لَا يَلْحَظُ أَحَدٌ أَنْفِعَالَاتِ وَجْهِهِ . وَعِنْدَمَا عَادَ إِلَى الْاجْتِمَاعِ وَجَدَ أَنَّهُمْ قَدْ عَقَدُوا الْعَزَمَ عَلَى الْإِبْحَارِ إِلَى مُونْتِ كَرِيسْتُو فِي اللَّيْلَةِ الْتَالِيَةِ مُبَاشَرَةً . وَالتَفَتَ الرَّبَّانُ إِلَى دَائِي يَسْتَفْسِرُ مِنْهُ عَنْ رَأْيِهِ ؛ فَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ يَعْتَقِدُ أَنَّهَا مِنْ أَكْثَرِ الْأَمَاكِينِ أَمَانًا بِالنَّسْبَةِ لِهَذَا الْغَرَضِ .

وَكَانَ هَذَا الْاجْتِمَاعُ لِمُنَاقَشَةِ أَمْرِ هَامٍ . وَذَهَبَ إِدْمُونُ مَعَ الرَّبَّانِ إِلَى حُجْرَةٍ اعْتَادَ مُهَرَّبُو الْبِضَائِعِ الْاجْتِمَاعَ فِيهَا . كَانَ مَوْضُوعُ الْمُنَاقَشَةِ يَدُورُ حَوْلَ شِخْنَةٍ مِنَ الْحَرِيرِ غَالِيَةِ الثَّمَنِ تَحْمِلُهَا سَفِينَةٌ قَادِمَةٌ مِنْ تُرْكِيَا . وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِمْ أَنْ يَجِدُوا بُقْعَةً هَادِئَةً يُقَابِلُونَ فِيهَا هَذِهِ السَّفِينَةَ ، أَوْ جَزِيرَةً صَخْرِيَّةً بَعِيدَةً عَنْ أَعْيُنِ رِجَالِ الْجَمَارِكِ ؛ فَقَدِ اقْتَرَحَ الرَّبَّانُ أَنْ تَكُونَ جَزِيرَةُ مُونْتِ كَرِيسْتُو هِيَ الْمَكَانَ . كَانَتْ بِالْفِعْلِ جَزِيرَةً صَخْرِيَّةً لَمْ يَذْهَبْ إِلَيْهَا ضَابِطُ جُمْرِكٍ قَطُّ . وَبَدَتْ كَمَا





الفصل الخامس عشر جزيرة مونت كريستو

الإبحار للجزيرة

كَانَ دَانْتِي مَحْظُوظًا أَنْ يَصِلَ إِلَى جَزِيرَةِ مُونْتِ كْرِيسْتُو دُونَ أَنْ يُحَاطَ بِالْأَمْرِ بِالشُّكُوكِ حَوْلَ السَّبَبِ الْحَقِيقِيِّ الَّذِي دَعَاهُ إِلَى زِيَارَةِ الْجَزِيرَةِ .

وَطَلَعَ النَّهَارُ أَخِيرًا ، ثُمَّ جَاءَ اللَّيْلُ . وَأَمْسَى كُلُّ شَيْءٍ جَاهِزًا . وَلَمَّا كَانَ رُبَّانُ السَّفِينَةِ وَبَحَارَتُهَا قَدْ أَحْبَبُوا دَانْتِي وَوَقَّعُوا بِهِ ؛ فَقَدْ أَسْنَدُوا إِلَيْهِ أَمْرَ الْإِعْدَادِ لِلرَّحْلَةِ .

كَانَتْ أَوَامِرُ دَانْتِي وَاضِحَةً وَسَهْلَةً ، مِمَّا دَعَا الرِّجَالَ إِلَى أَنْ يَمْتَثِلُوا لَهَا بِسُرْعَةٍ وَحِمَاسَةٍ . وَكَانَ الْبَحْرُ هَادِئًا ، فَأَبْحَرُوا مَعَ رِيحٍ تَهْبُ مِنْ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ . وَطَلَبَ دَانْتِي مِنَ الرِّجَالِ أَنْ يَذْهَبُوا جَمِيعًا لِيُنَالُوا قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ ، عَلَى حِينِ تَوَلَّى وَحْدَهُ قِيَادَةَ السَّفِينَةِ . وَكَانَ دَانْتِي

يَفْعَلُ ذَلِكَ كَثِيرًا . كَانَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ وَحْدَهُ ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ مَكَانٍ أَفْضَلَ مِنْ ظَهْرِ سَفِينَةٍ فِي اللَّيْلِ حَيْثُ يَخْلُو الْإِنْسَانُ إِلَى نَفْسِهِ وَسَطَ السُّكُونِ الشَّامِلِ ، وَمَعَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتَطِعْ دَائِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ أَنْ يَتَّقَى وَحِيدًا فِي هُدُوءٍ . كَانَتْ الْأَفْكَارُ تَرْحَمُ رَأْسَهُ ، عَلَى حِينِ رَاحَتِ ظِلْمَةُ اللَّيْلِ تَبْرُقُ بِالْأَحْلَامِ .

كَانَتْ السَّفِينَةُ تُبْجِرُ بِكُلِّ أَشْرَعَتِهَا بِسُرْعَةٍ ثَمَانِيَةِ عَشَرَ كِيلُومِتْرًا فِي السَّاعَةِ لَحْظَةً أَنْ صَعِدَ الرُّبَّانُ إِلَى ظَهْرِهَا . وَكَانَتْ جَزِيرَةُ مُونْتِ كْرِيسْتُو تُبْدُو مِثْلَ كُتْلَةٍ سَوْدَاءٍ عِنْدَ نُقْطَةِ الْتِقَاءِ الْبَحْرِ بِالسَّمَاءِ .

وَلَمَّا رَأَى إِدْمُونُ الرُّبَّانَ قَادِمًا ، تَرَكَ لَهُ قِيَادَةَ السَّفِينَةِ وَذَهَبَ لِيَنَالَ قِسْطًا مِنَ النَّوْمِ .

وَبَعْدَ سَاعَتَيْنِ صَعِدَ إِدْمُونُ إِلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ فِي الْوَقْتِ الَّذِي تَرَكَتْ فِيهِ خَلْفَهَا جَزِيرَةُ إِلْبَا فِي الطَّرِيقِ إِلَى جَزِيرَةِ بِيَانُوسَا الْخَضِرَاءِ .

وَبَدَتْ قِمَّةُ مُونْتِ كْرِيسْتُو شَامِخَةً أَمَامَ دَائِي ، مُحْمَرَّةٌ يَفْعَلُ أَشِعَّةُ الشَّمْسِ الَّتِي غَمَرَتْهَا ، فَأُصْدِرَ أَوَامِرُهُ إِلَى الْبَحَّارَةِ أَنْ يَتْرَكُوا بِيَانُوسَا يَمِينَهُمْ فَيُخْتَصِرُوا بِذَلِكَ خَمْسَةَ كِيلُومِتْرَاتٍ .

وَسَرَّعَانَ مَا رَأَوْا جَمِيعَهُمْ جَزِيرَةَ مُونْتِ كْرِيسْتُو ، فَنَظَرَ إِدْمُونُ إِلَى كُتْلَةِ الصُّخُورِ الَّتِي رَاحَتْ تَعْكِسُ كُلَّ الْوَانِ الْمَسَاءِ بَدْءًا بِاللُّونِ الْأَحْمَرِ

حَتَّى الْأَزْرَقِ الْعَمِيقِ ، وَغَامَتْ عَيْنَاهُ لِلْحَظَةِ . كَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فِي حَيَاتِهِ يُدْرِكُ فِيهَا أَنَّ الْأَمَلَ قَدْ يَكُونُ مَجْلِبَةً لِلْآلَامِ .

وَحَلَّ الْمَسَاءُ فَتَوَقَّفُوا عَنِ الْمَسِيرِ . كَانَتْ إِمِيلِيَا الصَّغِيرَةُ هِيَ السَّفِينَةُ الَّتِي وَصَلَتْ أَوَّلًا إِلَى مَكَانِ الْاجْتِمَاعِ ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ دَائِي أَنْ يَنْتَظِرَ ، فَكَانَ هُوَ أَوَّلَ مَنْ وَضَعَ قَدَمَهُ عَلَى الشَّاطِئِ . وَكَانَ الظَّلَامُ حَالِكًا ، غَيْرَ أَنَّ الْقَمَرَ مَا لَيْثَ أَنْ ظَهَرَ حَوَالِي الْعَاشِرَةِ ، فَغَمَرَ ضَوْؤُهُ الْبَحْرَ ، وَكَسَا الْأَمْوَاجَ لَوْنًا فِضِّيًّا .

وَلَمْ تُكُنِ الْجَزِيرَةُ غَرِيبَةً عَلَى بَحَّارَةِ إِمِيلِيَا ، فَقَدْ كَانُوا جَمِيعًا يَعْرِفُونَهَا ، الْأَمْرُ الَّذِي دَعَا دَائِي إِلَى أَنْ يَسْأَلَ جَاكُوبُو : « أَيْنَ سَنَقْضِي اللَّيْلَةَ ؟ »

« عَلَى السَّفِينَةِ ، بِالطَّبَعِ . »

« أَلَا يُمَكِّنُنَا أَنْ نَقْضِيَ اللَّيْلَ عَلَى الْجَزِيرَةِ ؟ أَلَا تَوْجَدُ كُهُوفَ بَيْنَ هَذِهِ الصُّخُورِ حَيْثُ يُمَكِّنُ لِلوَاحِدِ مِنَّا أَنْ يُمَضِيَ لَيْلَتُهُ ؟ »

« لَا يَوْجَدُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ . »

وَلَمْ يَسْتَطِعْ دَائِي أَنْ يَجْمَعَ شَتَاتَ ذَهْنِهِ ، وَتَذَكَّرَ الْحُفْرَةَ . لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ سَبَادًا قَدْ أُخْفَاهَا أَوْ اخْتَفَتْ هِيَ نَفْسُهَا بِمَضِيِّ الزَّمَنِ تَحْتَ الْأَخْجَارِ الْمَتَساقِطَةِ ، أَوْ نَمَتْ فَوْقَهَا الْأَشْجَارُ وَالنَّبَاتَاتُ .

كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ يَنْبَغِي أَنْ يَقُومَ بِهِ دَائِتِي أَنْ يَكْشِفَ الْحُفْرَةَ
الْمُخْتَفِيَةَ ، وَمَا دَامَ لَيْسَ فِي وَسْعِهِ أَنْ يَفْعَلَ ذَلِكَ بِاللَّيْلِ ، فَلَيْسَتْ تَنْتَظِرُ إِذَا
حَتَّى صَبَاحَ الْيَوْمِ الْآتِي .

الْحِجَارَةُ الْمَعْلُومَةُ

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ ، وَعَلَى مَسَافَةِ كِيلُومِترٍ مِنَ الشَّاطِئِ ، شُوهِدَتْ
سَفِينَةٌ قَادِمَةٌ تَرْفَعُ بَعْضَ الْأَعْلَامِ ، فَمَا كَانَ مِنْ إِمْلِيَا إِلَّا أَنْ رَدَّتْ
بِالْمِثْلِ ، إِذَا فَقَدْ حَانَ وَقْتُ الْعَمَلِ .

وَوَصَلَ أَحَدُ الْقَوَارِبِ ، وَوَقَفَ بِجِذَاءِ الشَّاطِئِ ، ثُمَّ بَدَأَ الشُّغْلَ .
كَانَ دَائِتِي يَعْجَلُ شَارِدَ الذَّهْنِ . وَرَاحَ يَتَسَاءَلُ عَمَّا إِذَا كَانَ فَقَدْ تَحَدَّثَ
مَعَ جَاكُوبُوكُ أَكْثَرَ مِمَّا يَنْبَغِي ، وَعَمَّا إِذَا كَانَ الْبَحَارَةُ قَدْ لَاحَظُوا شَيْئًا
غَرِيبًا فِي تَصَرُّفَاتِهِ خِلَالِ الْأَيَّامِ الْقَلِيلَةِ الْمَاضِيَةِ ، أَوْ أَنَّهُمْ عَرَفُوا شَيْئًا عَنْ
الْكَنْزِ . وَظَلَّ يَتَسَاءَلُ عَلَى ذَلِكَ النَّحْوِ طَوِيلًا إِلَى أَنْ هَذَا وَأَطْمَأَنَّ إِلَى
أَنْ سِرَّهُ مَا زَالَ فِي أَمَانٍ لَا يَعْلَمُ بِهِ أَحَدٌ .

لَمْ يَبْدُ عَلَى أَيِّ مِنَ الْبَحَارَةِ أَنَّهُ انْتَفَتْ إِلَى غِيَابِ دَائِتِي عِنْدَمَا أَخَذَ
يَتَجَوَّلُ ، عَلَى حِينٍ كَانُوا يَسْتَرِيحُونَ مِنْ عَنَاءِ الْعَمَلِ فِي صَبِيحَةِ الْيَوْمِ
الْآتِي .

تَسَلَّقَ دَائِتِي الصُّخُورَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى نُقْطَةٍ عَالِيَةٍ بَدَأَ لَهُ مِنْهَا الْبَحَارَةُ

صِغَارًا جِدًّا ، ثُمَّ مَا لَيْتَ أَنْ وَجَدَ طَرِيقًا شَقَّهُ لِنَفْسِهِ مَجْرَى مَاءٍ بَيْنَ
جِدَارَيْنِ مِنَ الصُّخُورِ قَادَهُ قَرِيبًا مِنَ الْمَكَانِ الَّذِي يَعْتَقِدُ أَنَّ الْكَنْزَ مُخْبَأً
فِيهِ .

وَبَيْنَمَا كَانَ يَمْضِي بِمُحَاذَاةِ الشَّاطِئِ يَتَفَحَّصُ كُلَّ شَيْءٍ بِعَيْنَيْهِ شَدِيدَةً
خَيْلَ إِلَيْهِ أَنَّهُ رَأَى عِلَامَاتٍ مَحْفُورَةً عَلَى بَعْضِ الْأَحْجَارِ يَفْعَلُ فَاعِلٌ .

وَلَمَّا كَانَتْ الْأَشْجَارُ وَالنَّبَاتَاتُ قَدْ نَمَتْ نُمُوًا كَبِيرًا حَتَّى غَطَّتْ
بَعْضَ الْأَحْجَارِ ؛ فَقَدْ أَضْحَى مِنَ الصَّعْبِ أَحْيَانًا الْحُكْمَ بِمَا إِذَا كَانَ
هُنَاكَ عِلَامَةٌ عَلَيْهَا أَمْ لَا . وَعِنْدَمَا وَصَلَ دَائِتِي إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي اعْتَقَدَ
أَنَّهُ الْحَجَرُ الْحَادِي وَالْعِشْرُونَ ؛ وَجَدَ أَنَّ الْعِلَامَاتِ قَدْ انْتَهَتْ ، وَمَعَ
ذَلِكَ ، لَمْ يَعْثُرْ دَائِتِي عَلَى أَيَّةِ حُفْرَةٍ مِنْ أَيِّ نَوْعٍ . كَانَ كُلُّ مَا رَأَاهُ
هُوَ صَخْرَةٌ كَبِيرَةٌ بَدَتْ لَهُ ثَقِيلَةً جِدًّا وَمُسْتَقَرَّةٌ تَمَامًا فِي مَكَانِهَا لِذَرَجَةِ
أَنَّهُ اسْتَبْعَدَ أَنْ تَكُونَ قَدْ زُحِرِحَتْ يَوْمًا مِنْ مَكَانِهَا .

قَالَ دَائِتِي لِنَفْسِهِ : « عَلَيَّ إِذَا أَنْ أَبْدَأَ مِنْ جَدِيدٍ . » وَاسْتَدَارَ وَشَرَعَ
يَعُودُ إِلَى أَصْدِقَائِهِ .

كَانَ الرِّجَالُ قَدْ انْتَهَوْا لِتَوَهُمِهِمْ مِنْ إِعْدَادِ وَجَبَةِ طَعَامٍ ، وَتَاهَبُوا
لِلْجُلُوسِ وَالْأَكْلِ عِنْدَمَا رَأَوْا دَائِتِي يَقْفُزُ مِنْ صَخْرَةٍ إِلَى أُخْرَى مُتَّجِهًا
إِلَيْهِمْ .

وَبَيْنَمَا كَانَتْ كُلُّ الْأَنْظَارِ مُتَّجِهَةً إِلَيْهِ أَبْصَرُوهُ فَجَاءَ يَسْقُطُ عَلَى

الْأَرْضِ ، فَاسْرِعُوا جَمِيعُهُمْ إِلَيْهِ . وَكَانَ جَاكُوبُ أَوَّلَ مَنْ وَصَلَ
لِنَجْدَتِهِ ، فَوَجَدَهُ رَاقِدًا كَأَنَّهُ جُثَّةٌ هَامِدَةٌ .

وَبَعْدَ فِتْرَةٍ فَتَحَ دَانِيَّ عَيْنَيْهِ وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ يُحْسُ فِي رُكْبَتَيْهِ وَسَاقِيهِ
بِأَلَمٍ شَدِيدٍ وَابْتِغَالَ فِي رَأْسِهِ .

وَلَمَّا ارَادُوا أَنْ يَحْمِلُوهُ إِلَى الشَّاطِئِ لَمْ يَسْتَطِيعُوا ؛ لِأَنَّهُ صَرَخَ مُتَأَلِّمًا
عِنْدَمَا لَمَسُوهُ ، وَقَالَ لَهُمْ إِنَّهُ لَنْ يَحْتَمِلَ ثِقَلَهُ .



وَلَمْ يَكُنْ بِطَبِيعَةِ الْحَالِ يُرِيدُ طَعَامًا ، وَلَكِنَّهُ طَلَبَ مِنَ الْآخَرِينَ أَنْ
يَذْهَبُوا وَيَتَنَاوَلُوا طَعَامَهُمْ ، وَعِنْدَمَا يَعُودُونَ فَسَوْفَ تَكُونُ حَالَتُهُ قَدْ
تَحَسَّنَتْ ؛ فَانْصَرَفُوا .

بِمُقَرَّدِهِ

عَادَ الرِّجَالُ بَعْدَ سَاعَةٍ ، وَكَانَ إِذْمُونُ قَدْ تَحَرَّكَ حَوْلَى عَشْرَةِ أُمْتَارٍ
وَجَلَسَ مُسْنِدًا ظَهْرَهُ إِلَى صَخْرَةٍ ، إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَدَّ عَلَيْهِ أَيُّ تَحَسُّنٍ يُذَكِّرُ ،
بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ، بَدَأَ كَأَنَّ آلامَهُ قَدْ زَادَتْ .

وَلَمَّا كَانَ عَلَى الرَّبَّانِ أَنْ يُجِرَ ذَلِكَ الصَّبَاحَ فَقَدْ سَأَلَ دَانِيَّ : « أَلَنْ
تُحَاوِلَ الْوُقُوفَ ؟ »

وَحَاوَلَ دَانِيَّ أَنْ يَفْعَلَ ، غَيْرَ أَنَّهُ كَانَ فِي كُلِّ مَرَّةٍ يَسْقُطُ وَهُوَ يَصْرُخُ
مِنْ شِدَّةِ أَلَمِهِ .

قَالَ الرَّبَّانُ فِي صَوْتٍ خَفِيفٍ : « لَا بُدَّ أَنْ عَظُمَتِ السَّاقِ أَوْ الرُّكْبَةُ
قَدْ انْكَسَرَتْ . وَلَكِنَّهُ إِنْسَانٌ مُمْتَارٌ ، فَيَجِبُ أَلَّا تَتْرَكَهُ . فَلْتُحَاوِلْ أَنْ
تَحْمِلَهُ إِلَى السَّفِينَةِ . »

لَكِنَّ دَانِيَّ قَالَ إِنَّهُ يُفَضِّلُ الْمَوْتَ عَلَى أَنْ يَتَحَرَّكَ .

فَقَالَ الرَّبَّانُ : « لِنَنْتَظِرْ إِلَى الْمَسَاءِ . فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُقَالَ عَنَّا إِنَّا تَرَكْنَا

خَلَفْنَا زَمِيلًا مَاهِرًا مِثْلَكَ فَوْقَ جَزِيرَةٍ مَهْجُورَةٍ . »

كَانَ هَذَا الْقَرَارُ مِنَ الرُّبَّانِ مَوْضِعَ دَهْشَةٍ وَاسْتِعْرابٍ مِنْ جَانِبِ
الْبَحَّارَةِ ؛ فَهُمْ يَعْرِفُونَ رُبَّانَهُمْ رَئِيسًا صَارِمًا . وَكَانَتْ هَذِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ
يَرَوْنَهُ عَلَى اسْتِعْدَادٍ لِتَضْيِيعِ وَقْتِهِ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ .

وَلَكِنَّ دَائِي رَفَضَ رَفْضًا بَاتًا أَنْ تُكْسَرَ الْقَوَاعِدُ مِنْ أَجْلِهِ ، فَقَالَ
لِلرُّبَّانِ : « كَلَّا ! إِنَّهَا غَلَطَتِي ، وَمِنْ الْعَدْلِ أَنْ أَتَحْمَلَ نَتَائِجَهَا . كُلُّ
مَا أُرِيدُهُ مِنْكُمْ هُوَ مَوَوَّةٌ مِنَ الطَّعَامِ وَفَأْسٌ وَبَعْضُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَلْزُمُنِي
لِبِنَاءِ كُوخٍ لِي . »

« لَكِنَّكَ سَتَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ يَا دَائِي . »

« إِنَّ الْجُوعَ أَفْضَلُ عِنْدِي مِنْ ذَلِكَ الْأَلَمِ الشَّدِيدِ الَّذِي تُسَبِّهُ لِي
الْحَرَكَةَ . »

اِنْتَفَتَحَ الرُّبَّانُ نَاحِيَةَ سَفِينَتِهِ الَّتِي كَانَتْ تَنْتَظِرُ فِي الْخَلِيجِ مُتَاهِبَةً
لِلْبُحَّارِ ، وَتَسَاءَلَ : « مَاذَا يُمْكِنُنَا أَنْ نَفْعَلَ ؟ نَحْنُ لَا نَسْتَطِيعُ أَنْ
نَدْعَكَ وَحْدَكَ هُنَا ، وَلَكِنَّنَا لَا نَسْتَطِيعُ أَيْضًا أَنْ نَبْقَى . »

تَوَسَّلَ إِلَيْهِ دَائِي قَائِلًا : « إِذْهَبْ ! بِرَبِّكَ أَذْهَبْ ! »

رَدَّ الرُّبَّانُ : « إِنَّا سَوْفَ نَتَغَيَّبُ أُسْبُوعًا عَلَى الْأَقْلَ ، ثُمَّ نَغَيِّرُ مَسَارَنَا

وَنَأْتِي إِلَى هُنَا لِنَلْتَقِطَكَ . »

أَجَابَ دَائِي قَائِلًا : « حَسَنًا ! إِذَا مَرَّتْ بِكُمْ سَفِينَةُ صَيِّدٍ خِلَالَ
يَوْمَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ ، فَاسْأَلُوهُمْ أَنْ يَحْضُرُوا إِلَى هُنَا لِيَأْخُذُونِي ، وَسَوْفَ
أُدْفَعُ لَهُمْ أَجْرَ وَصُولِي إِلَى لِيَغْهُورِن . أَمَّا إِذَا لَمْ يُصَادِفْكُمْ أَتِي قَارِبٌ ،
فَإِنَّهُ يُسْعِدُنِي جِدًّا أَنْ تَعُودُوا إِلَيَّ مَرَّةً أُخْرَى . »

وَلَمْ يَبْدُ عَلَى الرُّبَّانِ أَنَّ الْفِكْرَةَ رَافَقَتْهُ ؛ فَقَالَ جَاكُوبُ : « إِذْهَبْ أَنْتَ
أَيُّهَا الرُّبَّانُ وَسَامَكُثُ أَنَا مَعَهُ لِأَعْتَنِي بِهِ . »

فَقَالَ دَائِي عَلَى الْفَوْرِ : « وَتَتَخَلَّى عَنْ نَصِيكَ مِنْ مَكَاسِبِ
الْعَمَلِيَّةِ ؟ ! »

قَالَ جَاكُوبُ بِدُونِ تَرَدُّدٍ : « نَعَمْ ، بِالتَّأَكِيدِ ! »

كَانَ دَائِي قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَبْقَى وَحْدَهُ عَلَى الْجَزِيرَةِ مَهْمَا كَانَ
السَّبَبُ . وَبَدَتْ عَلَى وَجْهِهِ نَظْرَةٌ غَرِيبَةٌ وَهُوَ يَضْغَطُ عَلَى يَدِ جَاكُوبُ
قَائِلًا : « أَنْتَ صَدِيقُ مُخْلِصِ طَيْبِ الْقَلْبِ . جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا عَلَى هَذَا
الْعَطْفِ ، وَلَكِنِّي لَا أُرِيدُ أَنْ يَبْقَى مَعِيَ أَحَدٌ . وَلَسَوْفَ أَكُونُ بِخَيْرٍ
بَعْدَ قَلِيلٍ مِنَ الرَّاحَةِ . »

وَتَرَكَ الرِّجَالُ لِأَدْمُونِ كُلِّ مَا طَلَبَهُ مِنْهُمْ ، وَأَنْطَلَقُوا بِسَفِينَتِهِمْ بَعْدَ
أَنْ اِنْتَفَحُوا مُلَوِّحِينَ لَهُ بِأَيْدِيهِمْ عِدَّةَ مَرَّاتٍ ، فَكَانَ يُرَدُّ بِتَحْرِيكِ يَدِهِ فَقَطْ

كَمَا لَوْ كَانَ عَاجِزًا عَنْ أَنْ يُحَرِّكَ بَاقِيَ أَجْزَاءِ جَسَدِهِ .

قَالَ دَانْتِي بَعْدَ أَنْ أَنْصَرَفُوا : « مِنْ الْغَرِيبِ أَنْ يَجِدَ الْمَرْءُ مِثْلَ هَذَا
الْعَطِيفِ مِنْ نَاسٍ مِثْلِ هَؤُلَاءِ ! »

وَصَعِدَ دَانْتِي بِحَذَرٍ فَوْقَ أَغْلَى الصَّخْرَةِ ، وَمِنْ هُنَاكَ اسْتَطَاعَ أَنْ
يَرَى الْبَحْرَ ، وَيُشَاهِدَ السَّفِينَةَ وَهِيَ تَتَاهَبُ لِتَغَادِرِ الْجَزِيرَةِ ، وَقَدْ بَدَتْ
كَطَائِرٍ أَيْضَ جَمِيلٍ ، مَا لَيْثَ أَنْ اخْتَفَى عَنِ الْأَبْصَارِ بَعْدَ سَاعَةٍ .

عِنْدَئِذٍ قَفَزَ دَانْتِي وَاقِفًا ، وَأَسْرَعَ تَجَاهَ الصَّخْرَةِ الَّتِي أَنْتَهَتْ عِنْدَهَا
الْعَلَامَاتُ .

الفصل السادس عشر الكنز

الصخرة الثانية والعشرون

هَبَطَ دَانْتِي مِنْ فَوْقِ الصَّخْرَةِ بِحَذَرٍ خَشِيَّةٍ أَنْ يَسْقُطَ فِعْلًا هَذِهِ
الْمَرَّةَ ، لَا أَنْ يَتَظَاهَرَ بِالسَّقُوطِ .

وَبَدَأَ يَتَّبِعُ سِلْسِلَةَ الْعَلَامَاتِ الْمَوْضُوعَةِ عَلَى الْحِجَارَةِ . وَلاَحَظَ أَنَّهَا
تُبْدَأُ مِنْ خَلِيجٍ صَغِيرٍ لَا يَتَسِعُ إِلَّا لِسَفِينَةٍ صَغِيرَةٍ مِثْلَ تِلْكَ الَّتِي مِنْ
الْمُمْكِنِ أَنْ يَكُونَ قَدْ اسْتَعْدَمَهَا سِبَادًا ، وَتَنْتَهِي عِنْدَ الصَّخْرَةِ الْكَبِيرَةِ
الْمُسْتَدِيرَةِ .

وَتَسَاءَلَ دَانْتِي كَيْفَ تَسَنَّى لِلْأَمِيرِ سِبَادًا أَنْ يَرْفَعَ صَخْرَةً كَهَذِهِ
وَيَضَعَهَا فِي هَذَا الْمَكَانِ ؟ إِنَّهُ حِمْلٌ لَا يَقْوَى عَلَيْهِ عِشْرُونَ رَجُلًا ، وَإِذَا
لَمْ تُكُنْ هِيَ الصَّخْرَةُ الْمَقْصُودَةُ فَأَيْنَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ مَكَانُ الْكَنْزِ ؟ !

وَفَجْأَةً خَطَرَتْ لَهُ فِكْرَةٌ أُخْرَى : « إِنْ الصَّخْرَةُ قَدْ أُسْقِطَتْ بَدَلًا

مِنْ أَنْ تُكَوْنَ قَدْ رُفِعَتْ ! » وَقَفَرَ بَعِيدًا عَنِ الصَّخْرَةِ لِيَفْحَصَ الْأَرْضَ
الَّتِي تَعْلُوهَا ؛ فَوَجَدَ عِلَامَاتٍ وَاضِحَةً تُدَلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ هُنَاكَ ذَاتَ مَرَّةٍ
مَجْرَى عَمِيقٌ انْحَدَرَتْ فِيهِ هَذِهِ الصَّخْرَةُ ، وَأَنَّ نَمَّةً حَجَرًا وَضِعَ فِي
طَرِيقِهَا لِإِقْفَافِهَا وَإِقْبَائِهَا فِي مَكَانِهَا الْحَالِيِّ ، وَقَدْ غَطَّى الْعُشْبُ الْحَجَرَ
كُلَّهُ تَقْرِيْبًا ، وَأَنَّ الْأَمَاكِنَ الَّتِي لَمْ تَسْتَقِرْ فِيهَا الصَّخْرَةُ جَيِّدًا وَبَقِيَتْ
فِيهَا بَعْضُ الْفَجَوَاتِ ، قَدْ رُدِمَتْ بِقِطْعٍ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالتُّرَابِ .

وَأَزَالَ دَائِتِي قِطْعَ الْحِجَارَةِ الصَّغِيرَةِ الْمَوْجُودَةَ حَوْلَ الصَّخْرَةِ .
وَبَعْدَ عَشْرِ دَقَائِقَ كَانَ فِي أَسْطِطَاعَتِهِ أَنْ يُمَدَّ ذِرَاعُهُ إِلَى دَاخِلِ الْخُفْرَةِ .
وَأَخَذَ فَأَسَهُ وَقَطَعَ بِهَا أَقْوَى شَجَرَةٍ فِي الْمَكَانِ ، ثُمَّ نَزَعَ عَنْهَا
أَغْصَانَهَا ، وَأَدْخَلَ أَحَدَ طَرَفَيْهَا فِي الْخُفْرَةِ ، وَرَاحَ يَضْغُطُ بِأَقْصَى طَاقَتِهِ
عَلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ . وَظَلَّ يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى تَحَرَّكَتِ الصَّخْرَةُ ؛ فَضْغَطَ
عَلَيْهَا ثَانِيَةً وَبِقُوَّةٍ أَكْبَرَ إِلَى أَنْ أَرْتَفَعَتْ مِنْ مَكَانِهَا ، لَكِنَّهَا عَادَتْ ثَانِيَةً
إِلَيْهِ . وَجَلَسَ دَائِتِي وَنَالَ قِسْطًا مِنَ الرَّاحَةِ ، ثُمَّ قَامَ مِنْ جَدِيدٍ لِيُدْفَعَ
الصَّخْرَةَ بِأَقْوَى مَا فِي وَسْعِهِ ، حَتَّى تَحَرَّكَتْ هَذِهِ الْمَرَّةَ مِنْ مَوْقِعِهَا ،
ثُمَّ تَدَحَّرَجَتْ هَابِطَةً سَفَحَ التَّلِّ إِلَى أَنْ سَقَطَتْ فِي الْبَحْرِ .

وَرَأَى دَائِتِي فِي مَكَانِهَا حَجَرًا مُرَبَّعًا كَبِيرًا فِي وَسْطِهِ حَلَقَةٌ .

الْغُرْفَةُ الْأُولَى

أَطْلَقَ دَائِتِي صَرْخَةً فَرَحٍ وَدَهْشَةٍ ، وَانْتَظَرَ دَقِيقَةً لِيَسْتَرْجِعَ قُوَاهُ .



ثُمَّ قَامَ وَوَضَعَ طَرَفَ الشَّجَرَةِ فِي الْحَلَقَةِ ، وَضْغَطَ عَلَى الطَّرَفِ الْآخَرِ ،
وَإِذَا بِالْحَجَرِ يَرْتَفِعُ مِنْ مَكَانِهِ ، وَرَأَى بِضَعِ دَرَجَاتٍ تَقُودُ إِلَى خُفْرَةٍ
سُفْلِيَّةٍ يَسُودُهَا الظُّلَامُ .

وَتَسَاءَلَ عَمَّا إِذَا كَانَ قَدْ جَاءَ قَبْلَهُ أَحَدٌ : سِيزَارُ بُورْجِيَا بِنَفْسِهِ مَثَلًا .
وَلَكِنْ لَوْ أَنَّ ذَلِكَ قَدْ حَدَثَ ؛ فَهَلْ كَانَ بُورْجِيَا سَيَبْدُ وَقْتَهُ وَجَهْدَهُ
فِي إِعَادَةِ الصَّخْرَةِ إِلَى مَكَانِهَا !؟

هَبَطَ الدَّرَجُ فَوَجَدَ بَدَلًا مِنَ الظَّلَامِ الَّذِي كَانَ يَتَوَقَّعُهُ ضَوْءًا أَرْقَ ،
وَأَحْسَ بِهَوَاءٍ مُنْعَشٍ . وَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ الضَّوَّءَ وَالْهَوَاءَ يَأْتِيَانِ مِنْ خِلَالِ
فَجَوَاتٍ صَغِيرَةٍ فِي الصَّخْرَةِ الَّتِي تَعْلُو رَأْسَهُ . وَرَفَعَ رَأْسَهُ وَنَظَرَ خِلَالِ
الْفَجَوَاتِ لِيَرَى السَّمَاءَ الزَّرْقَاءَ وَأَغْصَانِ الشَّجَرِ وَهِيَ تَتَمَايَلُ . وَبَعْدَ
عَدَّةٍ دَقَائِقَ اسْتَطَاعَ أَنْ يُبْصِرَ كُلَّ أَرْجَاءِ الْمَكَانِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَجِدْ هُنَاكَ
شَيْئًا . عِنْدَئِذٍ تَذَكَّرَ كَلِمَاتِ الْخِطَابِ : « اقْتَحِمِ الْعُرْفَةَ الثَّانِيَةَ . »
فَكَانَ لَا بُدَّ أَنْ يَعْتَرَّ عَلَى تِلْكَ الْعُرْفَةِ .

بَدَأَ يَطْرُقُ جُدْرَانِ الْحُجْرَةِ بِفَاسِهِ ، وَلَا حَظَّ فِي مَكَانٍ مَا أَنَّ الصَّوْتِ
يَخْتَلِفُ قَلِيلًا ، فَضَرَبَهُ بِقُوَّةٍ أَكْبَرَ ، وَإِذَا بِشَيْءٍ غَرِيبٍ يَحْدُثُ : لَقَدْ
سَقَطَ بِسَهُولَةٍ مَا كَانَ يَبْدُو أَنَّهُ صَخْرَةٌ جَامِدَةٌ لِيُظْهَرَ خَلْفُهَا جِدَارٌ مِنْ
حِجَارَةٍ بَيَاضَ مُرْبَعَةٍ . إِذَا لَقَدْ تَمَّ بِنَاءُ الْفُتْحَةِ وَطَلَاؤُهَا بِحَيْثُ تَبْدُو
كَأَنَّهَا صَخْرَةٌ .

بَدَأَتْ قُوَّةُ دَائِتِي تَقِلُّ ؛ فَوَضَعَ الْفَاسَ عَلَى الْأَرْضِ ، وَمَسَحَ وَجْهَهُ
بِيَدِهِ ، ثُمَّ صَعِدَ دَرَجاتِ السُّلَمِ ، وَخَرَجَ إِلَى الْهَوَاءِ الطَّلَقِ . وَجَدَ كُلَّ
شَيْءٍ هَادِئًا فِي ضَوْءِ الشَّمْسِ السَّاطِعَةِ ، وَلَمْ يُشَاهِدْ سِوَى بَضْعِ قَوَارِبِ
صَيْدٍ بَعِيدَةٍ فَوْقَ صَفْحَةِ الْبَحْرِ الزَّرْقَاءِ . وَمَعَ أَنَّهُ لَمْ يَذُقْ طَعَامًا أَوْ شَرَبًا
لِعِدَّةِ سَاعَاتٍ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَشْعُرُ بِالْجُوعِ . وَتَنَاوَلَ قِطْعَةً مِنَ الْخُبْزِ ،
وَشَرَبَ جُرْعَةً مِنَ الْمَاءِ ، ثُمَّ عَادَ لِيَسْتَأْنِفَ الْبَحْثَ . وَأَحْسَ هَذِهِ الْمَرَّةَ
أَنَّ فَاسَهُ قَدْ أَصْبَحَتْ خَفِيفَةً ، وَاکْتَشَفَ أَنَّ الْجِدَارَ الَّذِي أَمَامَهُ لَمْ يَكُنْ

غَيْرَ مَجْمُوعَةٍ أَحْجَارٍ رُصٍّ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، فَانْتَزَعَهَا كُلُّهَا وَاحِدَةً
وَاحِدَةً .

الصُّدُوقُ

اسْتَطَاعَ دَائِتِي أُخِيرًا أَنْ يَدْخُلَ الْحُجْرَةَ الثَّانِيَةَ . وَكَانَتْ أَصْغَرَ وَأَكْثَرَ
ظِلَامًا مِنَ الْحُجْرَةِ الْأُولَى . وَكَانَتْ رَائِحَةُ الْغُبَارِ تَمَلُّهُ هَوَاءَهَا ؛ فَانْتَظَرَ
قَلِيلًا حَتَّى يَتَجَدَّدَ الْهَوَاءُ دَاخِلَهَا ، ثُمَّ دَخَلَ .

كَانَ ثَمَّةَ رُكْنٍ مُظْلِمٍ إِلَى يَسَارِ الْفُتْحَةِ ، غَيْرَ أَنَّ عَيْنِي دَائِتِي لَمْ تُعْرِفَا
شَيْئًا أَسْمُهُ الظَّلَامُ ؛ فَتَلَفَّتْ فِي أَرْجَاءِ هَذِهِ الْعُرْفَةِ أَيْضًا ، لَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ
فِيهَا شَيْئًا .

لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ الْكَثْرُ ، إِذَا كَانَ ثَمَّةَ كَثْرٌ ، فِي ذَلِكَ الرُّكْنِ
الْمُظْلِمِ .

وَأَدْرَكَ دَائِتِي أَنَّ الْوَقْتَ قَدْ حَانَ لِيَعْرِفَ الْحَقِيقَةَ . فَاتَّجَهَ إِلَى الرُّكْنِ
الْمُظْلِمِ ، وَاسْتَجْمَعَ كُلَّ قُوَاهُ ، وَبَدَأَ يَخْفِرُ . وَفَجْأَةً أَصْطَدَمَتِ الْفَاسُ
بِشَيْءٍ صُلْبٍ فَاتَّبَعَتْ مِنْهُ صَوْتٌ خَفَقَ لَهُ قَلْبُهُ خُفُوقًا لَمْ يَكُنْ لِيُخَفِّقَهُ
وَلَا حَتَّى لِيَصَوْتَ الْجَرَسِ الضَّخْمِ فِي قَلْعَةِ إِف . وَرَفَعَ فَاسَهُ وَضَرَبَ
بِهَا مَرَّةً أُخْرَى ؛ فَاتَّبَعَتْ الصَّوْتُ نَفْسَهُ .

وَصَاحَ أَخِيرًا : « إِنَّهُ صُنْدُوقٌ خَشِيبِي كَبِيرٌ بِشَرَائِطَ قَوِيَّةٍ مَتِينَةٍ
خَوَّلَهُ ! »

فِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ رَأَى دَائِي شَبَحًا يَتَحَرَّكُ أَمَامَ الْمَدْخَلِ ، فَأَمْسَكَ
بِفَاسِهِ وَأَسْرَعَ نَحْوَهُ صَاعِدًا دَرَجَاتِ السَّلَمِ حَتَّى اكْتَشَفَ أَنَّ الْأَمْرَ
لَمْ يَكُنْ غَيْرَ عَنَزِ بَرِّيَّةٍ وَرَأَى آثَارَ أَظْلَافِهَا ، وَكَانَتْ تَأْكُلُ طَعَامَهَا فِي
هُدُوءٍ بَيْنَ الْأَشْجَارِ .

وَوَقَفَ دَائِي يُفَكِّرُ ، ثُمَّ أَخَذَ عُصْنًا جَافًا وَأَشْعَلَهُ ، ثُمَّ هَبَطَ مَرَّةً
أُخْرَى . وَكَانَ يُرِيدُ أَنْ يَرَى كُلَّ شَيْءٍ ؛ وَعِنْدَمَا اقْتَرَبَ مِنْ مَكَانِ الْحَفْرِ
تَأَكَّدَ أَنَّ مَا كَشَفَ عَنْهُ التُّرَابَ بِفَاسِهِ إِنَّمَا هُوَ غِطَاءُ صُنْدُوقٍ مَرْبُوطٍ
بِشَرَائِطَ مَتِينَةٍ .

فَثَبَّتَ فِي الْأَرْضِ الْعُصْنَ الْمُشْتَعِلَ ، ثُمَّ أَزَاحَ التُّرَابَ عَنِ الْغِطَاءِ .
وَكَانَ طَوْلُهُ يَبْلُغُ مِثْرًا وَعَرْضُهُ نِصْفَ مِثْرٍ ، وَكَانَتْ مُثَبَّتَةً فِي وَسْطِهِ قِطْعَةٌ
فِضِّيَّةٌ مَرْسُومٌ عَلَيْهَا شِعَارُ عَائِلَةِ سَيَادَا .

ذَهَبٌ وَجَوَاهِرُ

لَمْ يَعُدْ هُنَاكَ أَذَى شَكٍّ فِي أَنَّ الْكَثْرَ صَارَ حَقِيقَةً وَاقِعَةً ، فَلَا يُعْقَلُ
أَنْ يَتَحَمَّلَ إِنْسَانٌ كُلَّ ذَلِكَ الْعَنَاءِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُخْفِيَ صُنْدُوقًا فَارِغًا .
وَحَفَرَ دَائِي حَوْلَ الصَّنْدُوقِ ، ثُمَّ حَاوَلَ أَنْ يَرْفَعَهُ ، لَكِنَّ مُحَاوَلَتَهُ

بَاءَتْ بِالْفَسَلِ . وَحَاوَلَ أَنْ يَفْتَحَهُ دُونَ أَنْ يَنْقُلَهُ مِنْ مَكَانِهِ ، لَكِنَّهُ لَمْ
يَجِدْ لَهُ مِفْتَاحًا ؛ فَضَرَبَهُ بِالْفَأْسِ . وَلَمَّا كَانَ خَشَبُ الصَّنْدُوقِ قَدِيمًا
وَمُتَاكِلاً فَقَدْ تَهَشَّمَ غِطَاؤُهُ بِسُهُولَةٍ .

وَتَرَجَعَ دَائِي إِلَى الْوَرَاءِ خُطُوبَاتٍ ، وَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ كَمَا يَفْعَلُ
الْأَطْفَالُ عِنْدَمَا يَنْظُرُونَ إِلَى آلاِفِ النُّجُومِ الْمُتَلَالِفَةِ فِي السَّمَاءِ فِي لَيْلَةٍ
صَافِيَةٍ ، ثُمَّ فَتَحَ عَيْنَيْهِ ثَانِيَةً ، وَوَقَفَ كَأَنَّهُ فِي حُلَمٍ .

كَانَ الصَّنْدُوقُ مُقْسَمًا إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ بِوَاسِطَةِ الْوَاحِ مِنْ الْخَشَبِ .
وَكَانَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ عُمَلَاتٌ ، ذَهَبِيَّةٌ لِبِلَادٍ مُخْتَلِفَةٍ وَعُصُورٌ مُخْتَلِفَةٌ ،



وَكَانَ مُعْظَمُهَا مِنْ أَيَّامِ سِيزَارِ بُورْجِيَا . أَمَّا الْجُزْءُ الثَّانِي فَكَانَ يَحْتَوِي
عَلَى سَبَائِكَ ذَهَبِيَّةٍ . وَمَدَّ دَانْتِي يَدَهُ وَاعْتَرَفَ مِنْ الْجُزْءِ الثَّلَاثِ بَعْضَ
مَا فِيهِ مِنْ جَوَاهِرٍ ، ثُمَّ اسْقَطَهَا فَأَحْدَثَتْ صَوْتًا يُشْبِهُ نَقْرَاتِ حَبَاتِ
الْمَطَرِ عَلَى النَّافِذَةِ .

وَبَعْدَ أَنْ لَمَسَ دَانْتِي كُلَّ هَذِهِ الْكُنُوزِ ، وَتَحَسَّسَهَا ، وَمَلَأَ عَيْنَيْهِ
مِنْهَا رَجَعَ عَائِدًا إِلَى الدَّرَجَاتِ كَأَنَّهُ يَبْهَوُّ لَوُثَةِ . وَرَاحَ يَقْفِزُ إِلَى صَخْرَةٍ
عَالِيَةٍ اسْتَطَاعَ أَنْ يَرَى الْبَحْرَ مِنْهَا مُمتدًا أَمَامَهُ .

كَانَ دَانْتِي وَحْدَهُ مَعَ كُلِّ تِلْكَ الْكُنُوزِ الَّتِي لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى ،
وَالَّتِي لَمْ تَخْطُرْ عَلَى بَالِ أَحَدٍ . أَوْ فِي عِلْمٍ هُوَ أَمٌّ فِي حُلْمٍ ؟

وَأَخِيرًا هَذَاتُ مَشَاعِرُهُ مَعَ اقْتِرَابِ الْمَسَاءِ . وَلَمْ يَكُنْ عَشَاؤُهُ سِوَى
كِسْرَةِ خُبْزٍ وَشَرْبَةِ مَاءٍ . ثُمَّ تَمَدَّدَ بَعْدَهَا وَرَاحَ فِي سُبَاتٍ عَمِيقٍ فَوْقَ
الْفَجْوَةِ الَّتِي تَقُودُ إِلَى غُرْفَةِ الْكَنْزِ .

الفصل السابع عشر في مارسيليا

دانتِي يُغَادِرُ الْجَزِيرَةَ

عِنْدَمَا طَلَعَ النَّهَارُ تَسَلَّقَ دَانْتِي إِلَى قِمَّةِ أَعْلَى صَخْرَةٍ فِي الْجَزِيرَةِ .
وَكَانَ هَدَفُهُ أَنْ يَرَى هَلْ هُنَاكَ أَيُّ بُيُوتٍ أَوْ بَشَرٍ عَلَى الْجَزِيرَةِ ، فَلَمْ
يَجِدْ . لَقَدْ كَانَتْ ، فِي الْوَاقِعِ ، جَزِيرَةٌ مَهْجُورَةٌ : مُجَرَّدَ صُخُورٍ
صَلْبَةٍ ، مَعَ بَعْضِ الْأَشْجَارِ وَالْأَعْشَابِ الَّتِي تَبْتَثُ فِي طَبَقَةِ التُّرْبَةِ الرَّفِيقَةِ
فِي سَطُوحِ التَّلَالِ وَالصُّخُورِ .

وَعَادَ إِلَى مَكَانِ الْكَنْزِ ؛ فَدَخَلَ الْغُرْفَةَ الثَّانِيَةَ ، وَأَخَذَ مِنَ الْجَوَاهِرِ
بِقَدْرِ مَا اسْتَطَاعَتْ جُبُوبُ مَلَابِسِهِ أَنْ تُخْفِيَ بِدَاخِلِهَا ، ثُمَّ هَالِ التُّرَابِ
عَلَى الصُّنْدُوقِ ، وَغَطَّاهُ بِبَعْضِ الرَّمْلِ حَتَّى لَا يَلْحَظَ أَيُّ إِنْسَانٍ ، كَائِنًا
مَنْ كَانَ ، أَنَّهُ كَانَ ثَمَّةَ حَفَرٍ فِي هَذَا الْمَكَانِ . ثُمَّ وَضَعَ حَجَرًا كَبِيرًا
سَدًّا بِهِ الْفُتْحَةَ وَغَطَّاهُ بِالتُّرَابِ ، ثُمَّ زَرَعَ فِيهِ بَعْضَ النَّبَاتَاتِ السَّرِيعَةِ
النُّمُوِّ ، وَرَاحَ يَتَجَوَّلُ فِي أَرْجَاءِ الْمَكَانِ يُزِيلُ كُلَّ أَثَرٍ لِأَقْدَامِهِ .
وَعِنْدَمَا غَادَرَ الْمَكَانَ بَدَأَ كُلُّ شَيْءٍ مِنْ حَوْلِهِ كَأَنَّمَا لَمْ تَطَّأَهُ قَدَمٌ

إِنْسَانٍ مِنْ قَبْلِ . وَبَدَأَ يُعِدُّ نَفْسَهُ لِعَوْدَةِ أَصْدِقَائِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ آلا يُنْتَظَرُ سَهْلًا ، كَذَلِكَ لَمْ يُحَسَّ بِأَيَّةِ مَتْعَةٍ فِي الْجُلُوسِ بِجَوَارِ الْكَثَرِ وَمُرَاقِبَتِهِ ، بَلْ عَلَى الْعَكْسِ ، فَإِنَّ رَغْبَتَهُ فِي أَنْ يَعِيشَ بَيْنَ النَّاسِ قَدْ أَزْدَادَتْ بِفَضْلِ ذَلِكَ الْكَثَرِ الَّذِي هَبَطَ عَلَيْهِ . لَقَدْ عَرَفَ آلَانَ حَجْمَ الْقُوَّةِ الَّتِي مِنَ الْمُمَكِّنِ أَنْ تَمْنَحَهُ إِيَّاهَا تِلْكَ الثَّرْوَةُ الْكَبِيرَةُ . إِنَّ دَانْغَلَرَزَ وَكَادِيرُوسَ وَحَتَّى فِيلْفُورَ لَنْ يَكُونُوا مِنْ آلَانَ شَيْئًا بِالنَّسَبَةِ إِلَيْهِ ، بَلْ مُجَرَّدَ نَاسٍ حَقِيرِينَ لَا يَسْتَحِقُّونَ أَنْ يَشْغَلَ بِهِمْ بِأَلَهُ .

وَسَأَلَ أَيُّ عَمَلٍ خَيْرٍ يُمَكِّنُ أَنْ يَقُومَ بِهِ مُسْتَعِينًا بِذَلِكَ الْمَالِ الْوَفِيرِ ؟! وَآيَةُ بَهْجَةٍ يُمَكِّنُ أَنْ يُدْخِلَهَا عَلَى قُلُوبِ أَحِبَائِهِ ؟!

وَعَادَتْ إِمِيلْيَا الصَّغِيرَةُ بَعْدَ سِتَّةِ أَيَّامٍ ، عَرَفَهَا دَانْتِي مِنْ بَعْدٍ مِنْ أَشْرَعَتِهَا وَمِنْ طَرِيقَةِ سَيْرِهَا ، فَهَبَطَ إِلَى الشَّاطِئِ مُتَظَاهِرًا بِأَنَّ سَاقَهُ مَا زَالَتْ تُؤَلِّمُهُ ، وَسَأَلَهُمْ عَنْ سَيْرِ الْأَحْوَالِ فَأَجَابُوهُ بِأَنَّهُمْ أَفْرَعُوا الْبَضَائِعَ عَلَى الْبَرِّ فِي أَمَانٍ . لَكِنَّهُمْ مَا إِنْ أَنْتَهَوْا حَتَّى سَمِعُوا أَنَّ سَفِينَةَ حُكُومِيَّةً قَدْ غَادَرَتْ طُولُونَ لِمُطَارَدَتِهِمْ وَالْقَبْضَ عَلَيْهِمْ فَاسْرَعُوا مِنْ فَوْرِهِمْ يَلُودُونَ بِالْفِرَارِ . وَقَالُوا لَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُمْ ؛ إِذْ مِنَ الْمُؤَكَّدِ أَنَّ وُجُودَهُ كَانَ سَيَنْفَعُهُمْ كَثِيرًا . كَمَا أَخْبَرُوهُ أَنَّهُمْ كَادُوا أَنْ يَسْقُطُوا فِي أَيْدِي الشَّرْطَةِ لَوْلَا حُلُولُ الظَّلَامِ الَّذِي أَنْتَهَزُوهُ فَغَيَّرُوا مَسَارَهُمْ عَائِدِينَ أَدْرَاجَهُمْ ، وَأَفْلَتُوا بِذَلِكَ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِمْ .

كَانُوا جَمِيعًا شَدِيدِي الْأَسَفِ أَنَّ دَانْتِي حُرِمَ مِنْ نَصِيبِهِ فِي الْمَكَاسِبِ الَّتِي كَانَتْ كَبِيرَةً جَدًّا ، عَلَى حَدِّ تَغْيِيرِهِمْ ، وَمَنْعَ دَانْتِي نَفْسَهُ مِنْ

الضَّحِكِ .

إِنَّ إِمِيلْيَا الصَّغِيرَةَ عَلَى آيَةٍ حَالٍ لَمْ تَأْتِ إِلَى جَزِيرَةِ مُونْتِ كَرِيسْتُو إِلَّا لِكَيْ تَلْتَقِطَهُ ؛ فَتَهْضُرَ وَرَكِبَ ، وَأَنْطَلَقَتِ السَّفِينَةُ إِلَى لِيغْهُورُنْ .

الْبَحْثُ

قَصَدَ دَانْتِي ، وَهُوَ فِي لِيغْهُورُنْ ، بَيْتَ تَاجِرٍ يَعْرِفُهُ ، وَبَاعَ لَهُ أَرْبَعًا مِنْ أَصْغَرِ الْجَوَاهِرِ الَّتِي مَعَهُ . وَكَانَ يَخْشَى أَنْ يَسْأَلَهُ التَّاجِرُ عَنْ مَصْدَرِهَا ، وَهُوَ الْبَحَّارُ الْعَادِي ، غَيْرَ أَنَّ التَّاجِرَ لَمْ يَسْأَلْهُ عَنْ شَيْءٍ ، وَدَفَعَ لَهُ فِيهَا مَا هُوَ أَقْلُ بِكَثِيرٍ مِنْ قِيَمَتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ .

وَفِي الْيَوْمِ الْتَالِيِ اشْتَرَى دَانْتِي لِجَاكُوبُو سَفِينَةً جَدِيدَةً وَمَنْحَهُ بَعْضَ أَمْالٍ ، ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى الرَّبَّانِ وَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَمَّهُ ، الَّذِي مَاتَ لِتَوَّهِ ، قَدْ تَرَكَ لَهُ ثَرْوَةً كَبِيرَةً مِنْ أَمْالٍ ، وَأَنَّهُ لِهَذَا السَّبَبِ يَرْغَبُ فِي أَنْ يَتَرَكَ السَّفِينَةَ . وَكَانَ الرَّبَّانُ حَزِينًا لِفَقْدِهِ بَحَّارًا مَاهِرًا مِثْلَ دَانْتِي ، فَحَاوَلَ بِكُلِّ مَا أَوْتِيَ مِنْ قُوَّةٍ أَنْ يَثْنِيَهُ عَنْ عَزْمِهِ ، وَلَكِنْ عَبَثًا . ثُمَّ قَدَّمَ دَانْتِي هَدِيَّةً لَطِيفَةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْبَحَّارَةِ ، فَدَعَوْا لَهُ مِنْ أَعْمَاقِ قُلُوبِهِمْ بِالسَّعَادَةِ .

بَعْدَ ذَلِكَ غَادَرَ دَانْتِي لِيغْهُورُنْ ، وَذَهَبَ إِلَى جِنُوَا .

وَفِي جِنُوَا رَأَى صَانِعَ سُفُنٍ يُجَرِّبُ فِي مِيَاهِ الْخَلِيجِ سَفِينَةً صَغِيرَةً جَمِيلَةً أَنْتَهَى لِتَوَّهِ مِنْ صُنْعِهَا ، كَيْحَتٍ لِأَحَدِ الْأَثْرِيَاءِ . وَكَانَتِ السَّفِينَةُ

صَغِيرَةً جِدًّا إِلَى دَرَجَةٍ أَنْ دَائِي كَانَ مُتَأَكِّدًا أَنَّهُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُقْلِعَ بِهَا
وَحْدَهُ دُونَ مُسَاعَدَةٍ مِنْ أَحَدٍ . كَمَا كَانَتْ أَيْضًا سَرِيعَةً إِلَى دَرَجَةٍ أَنَّهُ
لَمْ تَكُنْ هُنَاكَ أَيُّهُ سَفِينَةٍ أُخْرَى عَلَى سَطْحِ الْمَاءِ تَسْتَطِيعُ التَّلْحَاقَ بِهَا .

وَعَرَّضَ دَائِي عَلَى الرَّجُلِ مَبْلَعًا مِنَ الْمَالِ يَفُوقُ بِكَثِيرٍ ثَمَنَهَا الْحَقِيقِيَّ
عَلَى أَنْ يَسْمَحَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ مَعَ السَّفِينَةِ كُلَّ أَوْرَاقِ الْمَلِكِيَّةِ . وَلَمْ يوافقِ
الرَّجُلُ مُبَاشَرَةً ، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَتَوَقَّعُ أَنْ يَأْتِيَ صَاحِبُهَا قَبْلَ بَضْعَةِ
أَشْهُرٍ . وَلَمَّا كَانَ عَلَى ثِقَةٍ مِنْ قُدْرَتِهِ عَلَى صُنْعِ يَحْتَ مُمَائِلَ قَبْلَ ذَلِكَ
الْوَقْتِ فَقَدْ وافَقَ عَلَى بَيْعِهَا لِدَائِي .

وَعَرَّضَ الرَّجُلُ أَنْ يَبْحَثَ لِدَائِي عَنْ بَحَّارَةٍ يُعِينُونَهُ فِي الْعَمَلِ ، غَيْرَ
أَنْ دَائِي رَفَضَ ذَلِكَ مُعَلِّيًا أَنَّهُ لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ ، وَأَنْ مُتَعَتَهُ الْحَقِيقِيَّةُ
فِي الْإِبْحَارِ وَحْدَهُ ، وَفِي الْقِيَامِ بِنَفْسِهِ بِكُلِّ مَا يَتَطَلَّبُهُ الْعَمَلُ فِي
السَّفِينَةِ . وَطَلَبَ مِنَ الرَّجُلِ أَنْ يَصْنَعَ لَهُ عِنْدَ رَأْسِ سَرِيرِهِ بِالضَّبْطِ
مَخْبَأً مُقَسَّمًا إِلَى ثَلَاثَةِ أَجْزَاءٍ ، وَوَعَدَهُ الرَّجُلُ بِأَنْ يَكُونَ طَلَبُهُ جَاهِزًا
فِي الْعَدِّ .

الْعَوْدَةُ إِلَى مَارْسِيلَا

فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ أُبْحَرَ عَلَى السَّفِينَةِ بِمُفْرَدِهِ تَارِكًا وَرَاءَهُ جِنُودًا . وَتَجَمَّعَ
عِنْدَ الشَّاطِئِ جُمْهُورٌ غَفِيرٌ لِيُشَاهِدَ ذَلِكَ الثَّرِيَّ الَّذِي تَعَوَّدَ أَنْ يَقُودَ
يَحْتَهُ بِنَفْسِهِ . وَكَانَ الْجَمِيعُ يُطْلِقُونَ صَيِّحَاتٍ إِعْجَابٍ عَالِيَةٍ وَهُمْ يَرَوْنَ

السَّفِينَةَ تَتَحَرَّكُ طَوَّعَ يَدَيْهِ الْمَاهِرَتَيْنِ فِي سُهُولَةٍ وَيُسْرٍ . وَظَلَّ النَّاسُ
يَتَابِعُونَ السَّفِينَةَ حَتَّى غَابَتْ عَنْ أَنْظَارِهِمْ وَهُمْ يَتَسَاءَلُونَ عَنْ وَجْهَتِهَا ،
فَقِيلَ لَهُمْ : « كُورُسيكا » ، وَقِيلَ لَهُمْ : « إلبا » . وَظَنَّ آخَرُونَ أَنَّهُ
مِنْ الْمُمَكِّنِ أَنْ تَكُونَ « إفريقيَّة » . غَيْرَ أَنَّ أَحَدًا مِنْهُمْ لَمْ يُفَكِّرْ فِي
أَنْ تَكُونَ جَزِيرَةً مُوتَتْ كَرِيستو هِيَ الْوِجْهَةُ .

وَوَصَلَ دَائِي إِلَى مُوتْ كَرِيستو فِي الْيَوْمِ التَّالِيِ بَعْدَ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ
سَاعَةً مِنْ مُغَادَرَتِهِ جِنُودًا .

وَرَاقَبَ دَائِي الشَّاطِئَ بِعِنَايَةٍ ، وَبَدَلًا مِنْ أَنْ يَرْسُوَ فِي الْمَكَانِ الْمُعْتَادِ
دَخَلَ بِسَفِينَتِهِ إِلَى الْخَلِيجِ الصَّغِيرِ . وَلَمْ يَكُنْ ثَمَّةَ أَحَدٍ بِالْجَزِيرَةِ ، وَلَمْ
يُزِرْهَا أَحَدٌ مُنْذُ أَنْ غَادَرَهَا . وَكَانَ الْكَثْرُ فِي مَكَانِهِ كَمَا تَرَكَهُ .

وَفِي سَاعَةٍ مُبَكَّرَةٍ مِنْ صَبَاحِ الْيَوْمِ التَّالِيِ ، بَدَأَ دَائِي بِنَقْلِ الْكَثْرِ
إِلَى السَّفِينَةِ ، وَقَبْلَ أَنْ يَحُلَّ الظَّلَامُ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ قَدْ نُمَّ نَقْلُهُ بِأَمَانٍ ،
وَوُضِعَ فِي الْمَخْبَأِ السَّرِيِّ عِنْدَ رَأْسِ السَّرِيرِ .

وَذَاتَ صَبَاحٍ مُشْرِقٍ ، وَصَلَ إِلَى مِينَاءِ مَارْسِيلَا يَحْتَ جَمِيلٌ
صَغِيرٌ . وَرُبِطَ بِالضَّبْطِ بِجَوَارِ دَرَجَاتِ السَّلْمِ ، الَّتِي نَزَلَهَا دَائِي ذَاتَ
لَيْلَةٍ لَا تُنْسَى إِلَى الْقَارِبِ الَّذِي أَقْلَهُ إِلَى سِجْنِ قَلْعَةِ إِف .

وَصَعَدَ رِجَالُ الْجَمَارِكِ يَفْخَصُونَ أَوْرَاقَ السَّفِينَةِ . وَكَانَ ثَمَّةَ جُنْدِيٍّ
يَقِفُ بِجَوَارِ دَرَجَاتِ السَّلْمِ ، وَحَتَّى تِلْكَ اللَّحْظَةِ كَانَ مَنظَرُ أَيِّ جُنْدِيٍّ
كَافِيًا لِيُلْقِيَ الرُّعْبَ فِي قَلْبِ دَائِي .

كَانَ دَائِي قَدْ عَزَمَ عَلَى أَنْ يَنْتَحِلَ اسْمَ شَخْصٍ ثَرِيٍّ ؛ فَقَدَّمَ لِرِجَالِ
الْجَمَارِكِ أَوْراقَ السَّفِينَةِ الَّتِي آتَاها مِنْ جَنَوا ، وَقَدْ سُجِّلَ فِيها أَنَّ
الْيَحْتَ مِلْكٌ لِكُونِ مُونْتِ كَرِيسْتُو .

فَحَصَّ رِجالُ الْجَمَارِكِ أَوْراقَ دَائِي ، ثُمَّ قالُوا وَهُمْ يُحاوِلُونَ عَدَمَ
إِزْعاجِهِ : « لِلسَّيِّدِ مُطْلَقُ الْحُرِّيَّةِ فِي أَنْ يَنْزَلَ إِلَى الشَّاطِئِ فِي الْحَالِ ،
فَكُلُّ الْأَوْراقِ سَلِيمَةٌ . »

يَثُ وَالِدِهِ

كَانَ أَوَّلُ إِنْسَانٍ قابِلُهُ عَلَى الشَّاطِئِ هُوَ نِيْكُولا الْعَجُوزُ ، الَّذِي كَانَ
يَعْمَلُ مَعَهُ عَلَى السَّفِينَةِ فِرْعَوْنُ . فَاتَّخَذَ طَرِيقَهُ إِلَيْهِ ، وَسَأَلَهُ عَنْ بَعْضِ
الْأَشْيَاءِ ، وَأَخَذَ يُراقِبُ بِاهْتِمَامٍ تَعْبِيرَاتِ وَجْهِهِ ، فَلَمْ يَبْدُ عَلَيْهِ أَوْ يَتَفَوَّهَ
بِمَا يَنْبَغُ عَلَى أَنَّهُ عَرَفَهُ ، فَمَنَحَهُ بَعْضَ النُّقُودِ ، ثُمَّ مَضَى . وَلَكِنَّهُ لَمْ
يَكَدْ يَتَبَعِدُ عِدَّةَ خُطُواتٍ حَتَّى سَمِعَ نِيْكُولا يُنادِيهِ بِصَوْتٍ عالٍ ؛
فَالْتَفَتَ دَائِي إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْعَجُوزُ : « لَا بُدَّ أَنَّكَ أخطأتَ يا سَيِّدِي !
إِنَّكَ بَدَلًا مِنْ أَنْ تُعْطِيَنِي قِطْعَةً مِنَ الْفِضَّةِ أخطأتَ وَأَعْطَيْتَنِي بِلَكِ الْقِطْعَةِ
الذَّهَبِيَّةِ . »

قالَ دَائِي : « نَعَمْ أَيُّها الرَّجُلُ الطَّيِّبُ ، لَقَدْ أخطأتَ بِالْفِعْلِ ، لَكِنَّهُ
خُطَأٌ صَغِيرٌ ، وَمَا دُمْتُ قَدْ أَوْضَحْتُ لِي ذَلِكَ فَإِلَيْكَ قِطْعَةُ أُخْرَى مِنْ
الذَّهَبِ . »

تَمَلَّكَتِ الرَّجُلَ الْعَجُوزَ الدَّهْشَةُ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ بِكَلِمَةٍ واحِدَةٍ ،
وَوَقَفَ يَنْظُرُ إِلَى دَائِي وَهُوَ يَمْضِي فِي طَرِيقِهِ وَقَالَ لِنَفْسِهِ : « لَا بُدَّ
أَنَّهُ واحِدٌ مِنْ أَثَرِ بَلاءِ الْهِنْدِ ! فَمَنْ سِواهُمْ يُنْفِقُ بِمِثْلِ هَذَا السَّخَاءِ ؟ »

اسْتَمَرَ دَائِي فِي طَرِيقِهِ . وَكَانَتْ كُلُّ خُطْوَةٍ يَخْطُوها تُحْمِلُ مَزِيجًا
مِنَ الْمَخَوفِ وَالْأَمالِ ، وَكَانَتْ كُلُّ شَجَرَةٍ ، وَكُلُّ شَارِعٍ ، يَزْدَجِمُ
بِذِكْرِياتِ الْماضِي .

وَاسْتَمَرَ فِي سَيْرِهِ حَتَّى لَاحَ لَهُ يَثُ أَبِيهِ ، وَهُنا أَحَسَّ بِسَاقِيهِ تَكَادَانِ
تَعْجِزانِ عَنْ حَمْلِهِ بِسَبَبِ طُعْيَانِ الذِّكْرِياتِ وَتَفَكِيرِهِ فِي أَبِيهِ وَفِي حُبِّهِ
لَهُ . وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ واصلَ السَّيْرَ وَلَمْ يَتَوَقَّفْ حَتَّى وَجَدَ نَفْسَهُ عِنْدَ
بَابِ الْبَيْتِ .

وَفُتِحَ الْبَابُ ، وَرَأَى شَيْئًا أبيضَ — خِطابًا — مُلقًى عَلَى الْأَرْضِ .
فَالْتَفَتَهُ وَلَكِنَّهُ أَخَذَ يَرْدُدُ : « هَلْ أَصِبتُ بِالْعَمَى ؟! إِذا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ
كَذَلِكَ ، فَلِمَ إِذا لَا أُسْتَطِيعُ قِراءَةَ الْأَسْمِ الْمَكْتُوبِ عَلَيْهِ ؟! لِمَ إِذا
لَا أُسْتَطِيعُ قِراءَتَهُ صَحِيحًا ؟! يَبْدُو كَأَنَّهُ مَرْسِيْدِيْسُ لَكِنْ لِمَ إِذا ؟! لَا بُدَّ
أَنِّي أُحْلُمُ . »

المَحْجُوبانِ

وَصلَ دَائِي إِلَى بابِ حُجْرَةِ أَبِيهِ فَوَجَدَهُ مُغْلَقًا ، لَكِنَّهُ سَمِعَ أَصْواتَ
أَقْدَامٍ تَعْدُو وَتَرُوحُ فِي الْحُجْرَةِ فِي هُدُوءٍ وَلُطْفٍ ، ثُمَّ تَبَعَ ذَلِكَ لِحُظَّةٍ

صَمْتُ بَدَدَتْهَا صَرْخَةُ الْمِ وَاهِنَةٌ .

وَوَصَلَ إِلَى سَمْعِهِ صَوْتُ وَاهِنٍ بَعِيدٍ ، كَمَا لَوْ كَانَ صَوْتُ طَائِرٍ
ضَلَّ طَرِيقَهُ فِي الظَّلَامِ .

وَتَنَاهَى إِلَى سَمْعِهِ صَوْتُ رَقِيقٍ يَرُدُّ قَائِلًا : « نَعَمْ ، حَالًا ، آلَانْ !
وَلَكِنْ أَبَقْ هَادِتًا ، فَأَنْتِ فِي حَاجَةٍ إِلَى كُلِّ قُوَّتِكَ . »

مَدَّ دَائِي يَدَهُ لِيَفْتَحَ أَلْبَابَ ، لَكِنْ يَدُهُ هَوَتْ إِلَى جَانِبِهِ ، أَمَّا قَدَمَاهُ
فَقَدْ تَسَمَّرَتَا فِي الْأَرْضِ ؛ إِذْ سَمِعَ الصَّوْتَ الْوَاهِنَ مَرَّةً أُخْرَى وَهُوَ
يَقُولُ : « لَقَدْ قُلْتُ لَكَ إِنَّهُ هُنَا ، فَلِمَاذَا لَا تَذْهَبِينَ وَتَأْتِينَ بِهِ آلَانْ ؟ »
« حَاوِلْ أَنْ تَغْفُو آلَانْ قَلِيلًا . وَرُبَّمَا عِنْدَمَا تَسْتَيْقِظُ ... »

« قُلْتُ لَكَ إِنَّهُ هُنَا . لَقَدْ رَأَيْتُهُ قَادِمًا فِي الشَّارِعِ حَتَّى وَقَفَ تَحْتَ
هَذِهِ النَّافِذَةِ يَنْظُرُ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ الْحَبِيبَتَيْنِ . لَقَدْ تَغَيَّرَ . تَغَيَّرَ كَثِيرًا . »
« نَعَمْ ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ قَدْ تَغَيَّرَ . »

« أَخْبِرْنِي أَنْ يُسْرِعَ . وَقُولِي لَهُ إِنَّ الْمَوْتَ يَقِفُ عَلَى رَأْسِ أَيْكَ
يَنْتَظِرُهُ حَتَّى يَرَاكَ ، وَعِنْدَيْدٍ يَخْطِفُ رُوحَهُ . » ثُمَّ أَرْتَفَعَ الصَّوْتُ بِكُلِّ
مَا فِي صَاحِبِهِ مِنْ خِلَاوَةِ الرُّوحِ : « قُلْتُ لَكَ أَفْتَحِي أَلْبَابَ وَأَتْنِي بِهِ
إِلَيَّ . »

فَسَمِعَ دَائِي وَقَعَ أَقْدَامِ ، ثُمَّ فُتِحَ أَلْبَابُ . كَانَتْ مُرْسِيدِيسُ وَاقِفَةً
هُنَاكَ وَعَيْنَاهَا قَدْ أَضْنَاهُمَا أَلْسَهُرٌ عَلَى أَبِيهِ وَتَمْرِيسُهُ . فَنَظَرَتْ إِلَيْهِ غَيْرَ

مُصَدِّقَةٍ ؛ إِذْ وَجَدَتْهُ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرًا . ثُمَّ خَطَّتْ إِلَيْهِ وَقَدْ نَدَّتْ عَنْهَا
صَرْخَةُ الْمِ مِنْ فَرْطِ سَعَادَتِهَا الْغَامِرَةِ ، فَأُمْسَكَتْ بِيَدِهِ قَائِلَةً لَهُ :
« هَيَّا ! تَعَالِ بِسُرْعَةٍ حَتَّى يَسْتَطِيعَ أَنْ يَرَاكَ . »

وَتَطَلَّعَتْ إِلَيْهِ عَيْنَا أَبِيهِ الْعَجُوزِ الذَّابِلَتَانِ وَالْجَمِيلَتَانِ بِمَا فِيهِمَا مِنْ
نَظَرَةٍ حُبِّ صَامِتَةٍ أَخِيرَةٍ .

ثُمَّ أَغْلَقَتِ الْعَيْنَانِ وَهُوَ يَقُولُ : « قَبْلَنِي ! ضَمْنِي بَيْنَ ذِرَاعَيْكَ
يَا إِدْمُون ! وَآلَانْ أَيُّهَا الْمَوْتُ ، يُمَكِّنْكَ أَنْ تَأْتِيَ . »

وَعِنْدَ عَوْدَةِ نَابُلْيُونِ عَامَ ١٨١٥ ، كَانَ دَانْغَلُزْ قَدْ غَادَرَ فَرَنْسَا ،
وَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مَرَّةً أُخْرَى ، وَاعْتَقَدَ النَّاسُ أَنَّ سَفِينَتَهُ قَدْ حَطَمَتْهَا
عَاصِفَةٌ ، أَمَّا فِرْنَانُ فَقَدْ قُتِلَ فِي مَعْرَكَةِ وُوترلو . وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ
كَادِيرُوسُ قَدْ أَصْبَحَ عَجُوزًا لَا يَقْدِرُ عَلَى الْإِشْتِرَاكِ فِي الْحَرْبِ وَكَانَ
لَا يَزَالُ حَيًّا ، كَمَا قَالَتْ مُرْسِيدِيسُ ، وَلَكِنَّهُ مُعَدِّمٌ .

قَالَ نِيكُولَا الْعَجُوزُ لِلْجُنْدِيِّ الْوَاقِفِ عِنْدَ الدَّرَجِ : « أَنْظُرْ . »
كَانَ فِي الْأَفْقِ ، عِنْدَ خَطِّ الْإِتْقَاءِ الْبَحْرِ بِالسَّمَاءِ ، شِرَاعٌ أبيضٌ فِي
حُجْمِ جَنَاحِ طَائِرٍ .

وَمَضَى نِيكُولَا الْعَجُوزُ قَائِلًا : « لَقَدْ رَحَلَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الْثَرِيُّ . »
أَجَابَهُ الْجُنْدِيُّ : « نَعَمْ . لَقَدْ رَأَيْتُهُ يَرَحُلُ ، وَرَأَيْتُهَا أَيْضًا تَرَحُلُ
مَعَهُ . »



© الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان
١١٠ شارع حسين وأحمد ، ميدان السماسة ، الدقي - الجيزة

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ١٩٨٩

رقم الإيداع : ١٩٨٩/٢٧٦١

التوزيع الدولي : ١-٢٢-١١١٦-٩٧٧ ISBN

رقم مرجع كمبيوتر 01 C 198108

طبع بمطابع أخبار اليوم

الروايات المشهورة

- ١ — جين إير
- ٢ — فرانكنشتاين
- ٣ — مونفليت
- ٤ — دراكولا
- ٥ — لورنادون
- ٦ — دكتور جيكل ومستر هايد
- ٧ — شي الملكة الأسطورة
- ٨ — كونت مونت كريستو
- ٩ — الرجل الخفي
- ١٠ — الزمن العصيب



مَكْتَبَةُ لِبْنَان
سَاحَةُ رِيَّاضِ الصِّلَح - بَيْرُوت